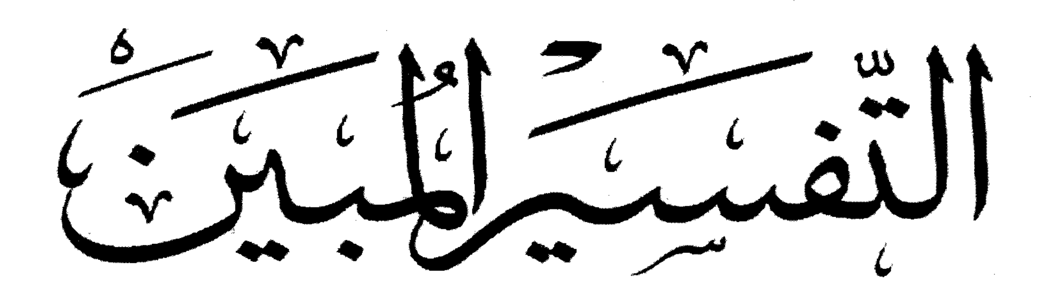


ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الخامس

ⓒ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٦مج
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٥-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩/٣٦١٤

رقم الايداع : ١٤٢٩/٣٦١٤
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٥-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من
الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض
هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون آية

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾.

بيان الآيات:

﴿الٓمٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ هذا عطف على ما قبله، وهو القرآن والمراد أنه الكتاب الذي أنزل إليك من ربك يا محمد وهو الحق الذي لا مراء فيه, وفي هذا رد على المشركين الذين قالوا:

إن محمداً أتى به من عنده ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أن أكثر الناس لا يؤمنون بالقرآن مع أنه الحق الذي أنزل إليك ونظيره قول الله تعالى ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ لما بيَّن الله عز ذكره أنه الذي أنزل القرآن بيَّن أنه ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وفي هذا حجة ظاهرة على المشركين، فإن كانوا لا يصدقون بالقرآن -كما كانوا- فلينظروا من الذي رفع السموات فوق رؤوسهم ويرون ذلك رؤية لا جدال فيها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلال قدره ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما وطوَّعهما ابتغاء منافع خلقه ومصالحهم ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يجري كل منهما إلى أجل معلوم هو قيام الساعة. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: يصرفه ويقضي به كما يشاء يقول للشيء كن فيكون ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: يبينها ليكون في ذلك حجة عليكم ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ أي: لعلكم تصدقون ما جاءكم من الحق وتنجون من عذاب الله؛ بسبب تصديقكم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بعد أن بيَّن الله آية خلق السموات وكيف أنها قائمة على غير عمد بيَّن آيات الأرض أنه بسطها ﴿وَجَعَلَ

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٣ .

فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: أرساها بالجبال ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ أي: جعل المياه تجري فيها ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: جعل من الثمرات صنفين مختلفين في شكلهما كالرطب واليابس أو مختلفين في طعمهما كالحلو والمر ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطي كل منهما الآخر، فالليل يطلب النهار بظلامه، والنهار يطلب الليل بضيائه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن هذا الذي يراه الإنسان بعينه ويعيه بعقله مدعاة للتفكر والتدبر في مخلوقات الله وحكمته وعظيم صنعه بما يوجب عليه الإيمان به والإقرار بتفرده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ المراد أن في الأرض التي بسطها الله قطعاً يجاور بعضها بعضا، مع أنها تختلف في خواصها المادية، فهذه أرض تربتها طينية، وهذه تربتها رملية، وهذه سبخة التربة وتلك متحجرة وهذه تصلح للاستغلال بسهولة وتلك لا تصلح إلا بصعوبة وكل ذلك بحكمة الله ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ أي: جعل في الأرض جنات من النخيل والزروع والنخيل، بعضها مجتمع، وبعضها متفرق. ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ أي: إن الماء الذي تسقى به واحد في نوعه، وإن اختلف في تكوينه كالعذب والمالح.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ أي: أن بعضها يتفاضل

على بعض من حيث الأكل، فمنها: ما هو حلو، ومنها: ما هو مر ومنها: ما هو حامض وهكذا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: إن في اختلاف هذه الأصناف من حيث طبيعتها وتكوينها وألوانها وما يؤكل منها وما لا يؤكل آيات للذين يعقلون ويتدبرون في عجيب صنع الله وتدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة عدة أحكام: منها: التوكيد على نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ، وذلك بإنزال الله القرآن عليه بالوحي. ومنها: الحكم بأن الله هو الخالق، وأنه المتصرف في ملكوته يرفع السموات بغير عمد، وقد استوى على العرش، وسخر الشمس، والقمر، وسائر الأفلاك؛ لمنافع خلقه وفصَّل لهم الآيات وما يقتضيه ذلك من وجوب شكرهم له. ومنها: الحكم بأن الله هو الذي بسط الأرض وأرسى فيها الجبال الثوابت. ومن الأحكام: وجوب التفكر في آيات الله التي وضعها في الأرض للدلالة على وحدانيته وعظيم صنعه كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾ أي: إن كنت يا محمد قد عجبت من هؤلاء المشركين الذين كذبوك وجحدوا آياتنا الظاهرة فلم يؤمنوا ولم يصدقوا فاعجب من قولهم ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ أي قولهم: هل نبعث إذا تحولنا إلى تراب؟ ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ أي: قولهم: وهل سنخلق من جديد؟ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ أي: أن هؤلاء بقولهم هذا كفروا بالبعث، وبلقاء ربهم الذي يميت الأحياء، ثم يبعثهم يوم القيامة قوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ أي: إن هؤلاء المنكرين المكذبين سوف يسحبون في النار بالأغلال المركبة في أعناقهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: وهم ماكثون في النار.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ المـراد بهم الذين يكذبون بالبعث، ولشدة عنادهم وتكذيبهم، يستعجلون العذاب لعدم

تصديقهم به ونظيره قول الله تعالى عنهم -كما سبق ذكره- ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: العقوبات وقد سبقهم أمم كذبت فأهلكناهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: يتجاوز عن المشركين إذا تركوا الشرك، ويتجاوز عن الظالمين إذا تركوا الظلم، وعن الكافرين إذا تركوا كفرهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن يصر على شركه أو ظلمه أو كفره.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ويقول هؤلاء الذين كذبوا بالبعث وكفروا بما جاءهم من البينات ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي: هلا تنزل عليه آية من ربه فنصدقه كما سبق أن قالوا: أزح عنا الجبال واجعل مكانها أنهاراً وجنات ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ هذا توجيه من الله لرسوله محمد ﷺ أنه معلم لهم فحسب ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: كما أن لكل قوم نبيّاً يدعوهم إلى الله ويدلهم على الحق فأنت مثلهم تدعو قومك إلى الله والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القادر على الخلق هو القادر على إعادته يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(١) سورة الأنفال من الآية ٣٢ .

وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. ومن الأحكام: تقرير أن العذاب يحيط بالذين يستعجلونه تكذيباً به وإمعاناً في عدم تصديقه. ومنها: الحكم بأن الله يتجاوز عن الظالم إذا تاب إليه وأناب وحقق التوبة بشروطها؛ لأنه عز وجل لا يؤاخذ عباده بما يكسبون إذا رجعوا إليه كما قال عز ذكره ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[2]. وقوله عز ذكره ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]. ومن الأحكام: تقرير أن النبوة والرسالة دعوة إلى الله؛ لأن الله هو الهادي كما قال تعالى ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[4]. وقوله عز ذكره ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5].

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٧ .

(٣) سورة الحجر الآية ٤٩ .

(٤) سورة النور من الآية ٥٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٦ .

بيان الآيتين:

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه يعلم بعلمه المطلق الغيب ويعلم ما تحمله كل أنثى من الولد ذكرا كان أو أنثى أبيض أو أسود صحيحاً أو مريضاً قابلاً للحياة أو غير قابل لها ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ ﴾ غيض الأرحام نقصانها وما تزداد أي: ما تأخذه زائداً والمراد أن الله عز ذكره يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض رحمها وازدياده، وقد يكون الغيض بمعنى السقط؛ لعدم تمامه، أما الزيادة فهو من كانت ولادته بالتمام ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ أي: مقدر ومعلوم ليس فيه زيادة ولا نقصان فهو حين ينزل المطر ينزله بقدر حاجة الناس إليه وهو حين يرسل الرياح يرسلها لحمل السحاب من مكان إلى آخر، وهذا الإرسال يكون بقدر معلوم، وهو حين يسير الشمس والقمر والنجوم إنما يسيرها بقدر معلوم ومحكم ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: يعلم ما خفي عن خلقه وغاب عنهم وما شهدوه فهو المتفرد بعلم الغيب لا يعلمه إلا هو ﴿ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ أي: الذي يصغر كل شيء دونه ﴿ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ أي: فوق كل شيء بعظمته وسلطانه.

أحكام ومسائل الآيتين:

من هذه الأحكام: الحكم بأن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة

أشهر، وأكثر العلماء على أن أقله ستة أشهر كما قال تعالى ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[١] فالفصال: أربعة وعشرون شهرا فتكون مدة الحمل ستة أشهر، وقد تكون مدته تسعة أشهر، وهو الجاري في الأحوال العادية، وقد تكون أكثر من ذلك أي: سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً. ومن هذه الأحكام: أن كل شيء يرسله الله يكون بقدر معلوم بعيداً عن الزيادة والنقصان، فلا ينزل المطر إلا بقدر حاجة الخلق إليه ولا تسير الكواكب إلا بالقدر الذي أراد الله به منفعة خلقه، ولا تجري الأنهار إلا بالقدر الذي ينفعهم. ومن الأحكام في الآية: أن الله هو المتفرد بعلم الغيب كما قال عز وجل ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٢]. ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٣] أي: بالوحي.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ (١٠) لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ (١١)﴾.

بيان الآيتين:

لما ذكر الله عز وجل أنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام

(١) سورة الأحقاف من الآية ١٥ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٣) سورة الجن من الآية ٢٧ .

أخبر أنه يعلم جميع مكنونات خلقه، سواء من أسر قوله في نفسه، أو من جهر به إلى غيره فقال ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ ثم أخبر عز وجل أنه يعلم كل مستخف في بيته كما يعلم حال كل من هو سائر في النهار.

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ المراد أن للعبد ملائكة من بين يديه ومن خلفه ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ وهم على قسمين: ملائكة يحفظونه من الأخطار ما دام أن أجله لم يحن، وملائكة يكتبون أعماله حسنها وسيئها. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ المراد أن الله عز ذكره لا يغير على قوم ما هم فيه من النعم حتى يتغيروا في أنفسهم بالمعصية أو يغير عليهم أحد هذه النعم بالمعصية فيرضون عنه أو يسكتون عنه ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ أي: أراد بهم عذاباً فلا راد ولا معقب له ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ أي: لا ناصر لهم منه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله يعلم كل أحوال خلقه، سواء ما أسروه في أنفسهم أو ما جهروا به إلى غيرهم كما قال عز وجل ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1]. وقوله ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ

(١) سورة غافر الآية ١٩ .

﴿ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[(١)]. وقوله ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[(٢)]. وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول[(٣)]. ومن الأحكام: تقرير أن على العبد حفظة وشهوداً، فأما الحفظة فيحفظونه من أخطار الجن والإنس والدواب ما لم يكن قد قدَّر الله عليه ما قدَّر فيصيبه، وأما الشهود فيكتبون أعماله حسنها وسيئها كما قال عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾[(٤)]. ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[(٥)]. ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[(٦)]. وقوله عز ذكره ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[(٧)]. وفي الحديث: **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم**

---

(١) سورة طه الآية ٧ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١ .

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾، ج١٣ ص٣٨٤، وابن ماجة في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٨٨)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٧، والنسائي في كتاب الطلاق، باب الظهار، برقم (٣٤٦٠)، سنن النسائي ج٦ ص٤٨٠.

(٤) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٦) سورة الانفطار الآية ١٢ .

(٧) سورة ق الآية ١٨ .

عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)[(١)].

وفي الحديث أيضاً: **(ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)**[(٢)].

والحكم بأن الله عز وجل لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فإذا أنعم عليهم بنعمة من نعمه فكفروا بها عذبهم كما قال عزوجل ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[(٣)]. وإذا أمنهم فاستحلوا محارمه وعصوه جعل بأسهم بينهم، أو سلط عليهم عدوّاً من غيرهم، وإذا جاهروه بالمعاصي سلط عليهم من يهتك سترهم.

ولا فرق بين أن يكون التغير منهم أنفسهم، أو من غيرهم إذا رضوا به أو سكتوا عنه أو داهنوا فيه؛ ذلك أن من يرضى بوجود المعصية ولا ينكرها، فمثله كمثل من يعملها وشاهده أن الله ما لعن بني إسرائيل إلا لما فشت فيهم المنكرات فلم ينكر من لم يفعلها على من فعلها كما قال عز وجل ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، برقم (٧٤٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص١٤٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، برقم (٢٨١٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٠٧ .

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[١]. ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: أنه يُرِي عباده البرق بما يحمله من المخاطر، فالمرء يخاف ما يحمله البرق من خطر قد يكون قاتلاً، والمرء يطمع فيه ليكون مؤذنا بنزول المطر وهو ما يطمع الإنسان فيه. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ أي: يكوِّن السحاب الثقيلة التي تحمل الماء الغزير ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: أن صوت الرعد تسبيح لله عز وجل. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي: من الخوف منه ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.

قيل: في نزول هذه الآية عدة أقوال منها: أنها نزلت في أربد بن ربيعة أخي لبيد بن ربيعة وفي عامر بن الطفيل قال ابن عباس:

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان يريدان النبي ﷺ وهو في المسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال: (**دعه فإن يرد الله به خيراً يهده**) فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد مالي إن أسلمت ؟ فقال: (**لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين**) قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: (**ليس ذلك إلي، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء**) قال: أفتجعلني على الوبر وأنت على المدر ؟ قال: (**لا**) قال: فما تجعل لي؟ قال: (**أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها في سبيل الله**) قال: أوليس لي أعنة الخيل اليوم؟ قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أومأ إلى أربد إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يخاصم النبي ﷺ ويراجعه فاخترط أربد من سيفه شبراً ثم حبسه الله إليه فلم يقدر على سلّه، ويبست يده على سيفه، وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاحٍ فأحرقته، وولى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك على أربد حتى قتلته والله لأملأنها عليك خيلاً جردا وفتيانا مردا. فقال عليه السلام: (**يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة**) (يعني الأوس والخزرج)، فنزل عامر بيت امرأة سلولية وأصبح وهو يقول: والله لئن أصحر لي محمد وصاحبه -يريد ملك الموت- لأنفذتهما

برمحي، فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية ثم ركب على فرسه فمات على ظهره[1].

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ قيل: هو جدال أربد -كما سبق ذكره- ومن على شاكلته ممن كان يجادل قدرة الله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي: شديد العظمة والقوة وإهلاك الظالمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الإقرار بعظمة الله وقدرته فيما يصرفه في خلقه من رؤيتهم للبرق، وخوفهم منه، وطمعهم فيه، وإنشاء السحب الممطرة. ومن الأحكام: أن صوت الرعد تسبيح لله كما قال عز وجل ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2]. ومنها: قدرة الله عز وجل في إرسال الصواعق لتكون هلاكاً للمكذبين بآياته.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص٢٩٦-٢٩٧، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِۤ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: كلمة لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ المراد أن من يدعو من دون الله لا يستجيب له بما يدعوه؛ لأن هذا المدعو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؛ فإن الله هو النافع الضار ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ أي: مثل من يدعو غير الله كمثل من يمد يده إلى البئر يريد الماء والماء بعيد عنه، أو مثل من بسط يده إلى الماء يطلبه فلا يجيبه؛ لأن الماء جماد لا يسمع ما يقال له أو يطلب منه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: إن دعاء الكافرين للأصنام وعبادتهم لها ليست إلا ضلالاً.

﴿وَلِلَّهِۤ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ هذا بيان من الله عن قوة سلطانه وعظيم جلاله بأن من في السموات من الملائكة يسجد له، وأن من في الأرض يسجد له طوعاً وكرهاً، فالمؤمن يسجد له إجلالا وإقرارا بعظيم قدره، والمنافق يسجد نفاقا؛ لأن الكفر وقر في نفسه فهو لا يسجد إلا مصانعة أو خوفاً ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أي: إن ظلال الخلق تسجد لله في الغدو أي: في أول النهار وتسجد له في الآصال أي: آخر النهار.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن دعوة الحق هي كلمة التوحيد لا إلَه إلا الله وأن من يدعو أحدا من دون الله لا يستجيب له بحال، وأن دعاء الكافرين لأصنامهم ليس إلا شركا وضلالا وإثما مبينا. ومن الأحكام: الحكم بأن كل من في السموات والأرض يسجد لله، فمنه ما يكون سجود عبادة كحال الملائكة والمؤمنين في الأرض، ومنه ما يكون سجود دلالة، فالكافر وإن لم يسجد لله فهو مكلف أن يسجد له عبادة ودلالة فإن سجد بحكم ما كلف به وإلا عوقب على عدم فعله وهي عقوبة الكفر.

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله

محمد ﷺ أن يسأل المشركين من هو رب السموات والأرض الذي كونها؟ ثم يقول لهم: الذي خلقها هو الله وحده ويستمر سؤالهم؛ لكي تقوم الحجة عليهم حين يسألون عن شركهم إن استمروا عليه ولم يتوبوا منه قبل موتهم. ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ والمراد أنكم إذا كنتم تقرّون بأن الله هو ربكم وأنه خالق السموات والأرض فكيف تتخذون معه أولياء تعبدونهم وتتقربون إليهم؟ وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؛ لأنهم أحجار وأشجار لا تملك النفع ولا الضر ولا السمع ولا البصر ثم قل لهم يا محمد ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: هل الأعمى الذي فقد بصره فلا يرى الأشياء مثل البصير الذي يراها ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ أي: هل الظلام مثل النور ؟ وهل الإسلام مثل الكفر؟

﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أن هؤلاء المشركين جعلوا أوثاناً تماثل الرب في خلقه فتخلق كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون عندئذ خلق الله من خلق أوثانهم ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله هو الخلاق لكل شيء فهو خالقهم وخالق آلهتهم فعليهم أن يعبدوه وحده ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ أي: هو المتفرد بالخلق والمتفرد بالعبودية وهو القادر على كل شيء.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ ذكر الإمام الطبري ما

ذكره علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها؛ فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ وهو الشك ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾أي: حال كونه جفاء وهو ما رمى به الوادي مما نفاه السيل. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك[1].

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله رب السموات والأرض المتفرد بالعبودية وأن كل أعمال المشركين خسران وضلال، وأن من حكمة الله أن يضرب الأمثال للناس لتسهيل الدعوة لهم وتقريب الحق إلى أفهامهم ابتغاء إيمانهم، وذلك لإقامة الحجة عليهم والخوف عليهم من العذاب إذا لم يستجيبوا لدعوته. كما قال تعالى ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[2]. ومن الأحكام: أنّ الحق يدوم ويعلو، مثله مثل الماء الذي يستقر في الأرض، وأن الباطل يضمحل ويزول، مثله في ذلك مثل زبد الماء الذي يذهب جفاء.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ هذا بيان من الله ووعد، ووعده الحق أن الذين استجابوا لدعوته وصدقوا ما جاء به رسوله ونبيه محمد ﷺ ستكون لهم الحسنى وهي الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ أي: لم يجيبوا ما دعاهم الله إليه على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ من الإيمان وترك الشرك والظلم ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لو كان لهم كل ما في الأرض من متاع الدنيا ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ﴾ أي: جعلوه فداء لهم مما سيلاقونه من العذاب. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لهم الخسران، فلا يقبل منهم عمل ولا يغفر لهم ذنب ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ أي: ستكون النار مقرهم ومستقرهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: بئس القرار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ﴾ المراد أنه لا يستوي من يعلم أن الذي أنزل إليك من ربك - وهو القرآن - هو الحق ومن هو الأعمى فلا يفهم أن هذا هو الحق. وقيل: إن هذا مثل ضربه الله

للتفريق بين حمزة بن عبد المطلب الذي آمن بالله وصدق رسوله وبين أبي جهل الذي كفر بالله وشاق الله وشاق رسوله[١] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: إن الذين يتذكرون ويتفكرون هم أصحاب العقول الذين يفرقون بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وعد الله بالجنة للذين يستجيبون لندائه، وتقرير وعيده للذين لم يستجيبوا لهذا النداء. ومن الأحكام: تقرير التفريق بين المؤمن الذي يعرف الحق ويعمل به، وبين الكافر الذي لا يعرف الحق ويكابر في إنكاره. وتقرير أنّ العقلاء هم الذين يتفكرون في آيات الله ويهتدون بهديه ويسترشدون بإرشاده.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) تفسير البغوي ص٦٧٣.

بيان الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ هذا نعت من الله للذين ينجزون ما تحملوه من الأمانة فيأتمرون بما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه فيحلون ما أحله، ويحرمون ما حرمه ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ أي: لا ينقضون ما عاهدوا الله عليه من فعل الطاعات وترك المعاصي ولا ينقضون ما عاهدوا غيرهم عليه في أمور الدنيا ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وهذه صفة أخرى من صفاتهم فهم يصلون أرحامهم، ويوفون بكل ما أمرهم الله به من أفعال الطاعات ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: يخافون الله في قطع أرحامهم ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي: يخافون من عسر الحساب وتدقيقه عليهم ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ وهذه صفة أخرى من صفات المؤمنين، يصبرون على فعل الطاعات، ويصبرون على ترك المعاصي ويصبرون على ما يصيبهم في الدنيا من المصائب فلا يجزعون ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وهم على صفاتهم تلك يؤدون الصلاة المفروضة بأركانها وفي أوقاتها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أي: وهم بتلك الصفات يؤدون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾أي: يدفعون بأعمالهم الصالحة كل

سيئ من الأفعال، فيدفعون الكلمة السيئة بالكلمة الطيبة ويدفعون كل منكر من القول أو الفعل بكل معروف من القول أو الفعل. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: وجزاء لهم على فعلهم ستكون لهم الجنة ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ هذا وصف للجنة التي يدخلونها يوم يعرضون على الله فيرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ أي: ويدخل هذه الجنة هؤلاء الموصوفون هم والصالح من ذرياتهم وأزواجهم؛ لأن دخول الجنة حينئذٍ مترتب على العمل ورحمة الله وليس على علاقة القرابة أو النسب ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ أي: ويدخل عليهم الملائكة من أبواب الجنة ويقولون لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ أي: يسلمون عليهم قائلين ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1]. قوله ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ أي: ولكم السلام وعليكم السلام جزاء صبركم في الدنيا على طاعة الله وترك معاصيه ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: فنعم ما أنتم فيه من الجنة ورضا ربكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة الوفاء بعهد الله وعدم نقض مواثيقه، وفضل الصلة التي أمر الله بها، وفضل الخشية منه ومن سوء الحساب. تقرير

---

(١) سورة الزمر من الآية ٧٣.

فضيلة الصبر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ودرء الشر بالخير، فكل هذه من صفات المؤمنين فهذه الصفات وإن كانت فضائل في ظاهرها، إلا أنها في حقيقتها أحكام؛ لأن الله أخذ على عباده الوفاء بعهده، وهو طاعته وترك معاصيه فأصبحوا مكلفين بهذا حكماً. وكما أخذ عليهم هذا العهد أخذ عليهم عدم نقض ما عاهدوه عليه فاقتضى ذلك إلزامهم حكماً بعهدهم وهكذا في بقية المسائل.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾.

بيان الآية:

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ لما ذكر الله أحوال المؤمنين الذين يوفون بعهده ذكر أحوال الكافرين والمنافقين الذين ينقضون عهده بعد توثيقه عليهم فيحلون ما حرمه، ويحرمون ما أحله ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ أي: يقطعون أرحامهم وكل ما أمر الله بوصله ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بما يرتكبونه من الظلم، والتسلط، والطغيان، وسائر أنواع المعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: لهؤلاء الطرد والإبعاد من رحمة الله ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي: سوء المآل في الآخرة بما يلاقونه من العذاب المهين.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم نقض عهد الله، وقطيعة الرحم، وتحريم الفساد في الأرض، فكل هذه من صفات المنافقين وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)**[1] وفي رواية **(وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)**[2].

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾ في هذا بيان من الله عزوجل أنه بحكمته يوسع الرزق على من يشاء ويضيقه على من يشاء من عباده ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: فرح المشركون بالحياة الدنيا وما هم فيه من النعمة ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ أي: ليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا مجرد متاع قليل من الأمتعة الزائلة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء من عباده؛ لحكمته فقد يكون في بسط الرزق سوء لصاحبه إذا كان عاصيا لله كما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

قال عز وجل ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾[١]. ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[٢]. وقد يكون في تقتير الرزق مصلحة لمن قتر عليه وشاهده ما ورد في الحديث القدسي (**إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأطغيته**)[٣].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ القائلون هم المشركون فقد قالوا لرسول الله ﷺ: إن أردت أن نؤمن بما قلت ونصدقك فحول لنا جبل الصفا ذهبا، وزحزح الجبال عن أماكنها واجعل مكانها بساتين وجنات. وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عزوجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٦ .

(٣) الأولياء لابن أبي الدنيا ص١ .

كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة قال: بل باب التوبة والرحمة[1].

قوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ المعنى قل لهم يا محمد إن الله يضل من يشاء أي: كما أضلكم بعد نزول الآيات قد يضلكم بعد نزول غيرها من الآيات الأخرى التي طلبتموها ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: أن الأصل هو هداية الله، وهذه الهداية تتحقق لمن تاب ورجع إليه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هذا وصف لقلوب المؤمنين، فهي تطمئن وتسكن بذكر الله؛ لأنها تتعلق بمحبته ومحبة طاعته ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: تطمئن قلوب المؤمنين بذكره لأنها متعلقة به خلافا للكافرين الذين تطمئن قلوبهم لمتع الحياة الدنيا وزينتها. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ طوبى شجرة في الجنة وقد وعد الله بها عباده الصالحين ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ أي: ولهم كذلك العاقبة الحسنى.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الضلال والهداية من الله عز وجل، فالضلال ينزل بالذين يكفرون بآيات الله، والهداية تنزل بالذين ينيبون إليه. الحكم بأن قلوب المؤمنين تطمئن بذكر الله؛ لأنها متعلقة بمحبته ومحبة طاعته، وقد وعدهم الله ووعده الحق بأن لهم العاقبة الحسنى في الآخرة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج١ ص٢٤٢.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياء من قبلك أرسلناك إلى أمتك ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: لتقرأ عليهم القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قيل: إنها نزلت في كتابة صلح الحديبية، فلما قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: اكتب (**بسم الله الرحمن الرحيم**) قال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يقصدون بذلك مسيلمة الكذاب. اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ لعلي: (**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**) فقال المشركون: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال أصحاب النبي ﷺ: دعنا نقاتلهم فقال: (**لا ولكن اكتب ما يريدون**) فنزلت الآية[١] ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الرحمن هو ربي لا إله غيره ولا معبود سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت وركنت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: هو مرجعي ومعادي إليه.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي مختصراً ص٤٥٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٥٠، وأخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص٨٦.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنه أرسل إلى هذه الأمة بشيراً ونذيراً، مثله في حمل الرسالة مثل الأنبياء الذين سبقوه عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم. وتقرير كلمة التوحيد وأنه لا إلَه إلا الله ولا معبود بحق إلا هو، وأنه لا توكل ولا اعتماد ولا ثقة إلا به.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ قال الامام القرطبي: هذا متصل بقوله ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ذلك أن نفراً من مشركي مكة منهم أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية جلسوا حول الكعبة ثم أرسلوا إلى رسول الله ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله: إن سرّك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح؛ فإنها أرض ضيقة فلست

-كما زعمت- بأهون على ربك من داود حين سخر له الجبال تسير معه وسَخِّر لنا الريح فنركبها إلى الشام فلست أهون على ربك من سليمان فقد سخرت له الريح كما زعمت وأحْيِ لنا جدك قصيّاً فإن عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله هذه الآية[١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: أنهم لو هيأنا لهم ما طلبوه لكفروا فما قالوه هو من باب التعجيز الهدف منه جحد الرسالة والاستمرار على الشرك ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أي: هو المتصرف في الأمر المدبر له فهو المسخر للريح وهو الذي يحيي الموتى يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: يعلموا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ أي: بالآيات التي تأتيهم أو بغيرها مما يفعله ويدبره فيهم ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ ﴾ أي: فاجعة تحل بهم فتدمرهم؛ بسبب عنادهم وكفرهم وجحودهم لما جاءهم من الحق ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: كما قد تحل بهم الفاجعة قد تحل قريباً من دارهم لتحاصرهم ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾ أي: فتح مكة، أو يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ أي: إن وعده الحق يقع لا محالة.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٩ ص٣١٨-٣١٩ .

والمعنى أن قوما مثل قومك قد استهزؤوا برسلهم لست أنت الوحيد في ذلك والمراد استهزاء مشركي قريش برسول الله أن يسير لهم الجبال ذهبا ويسخر لهم الريح ويحيي لهم الأموات ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: أنظرتهم وأمهلت لهم في الدنيا، لكي يؤمنوا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: أهلكت الذين لم يؤمنوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: كما رأيت ما حل بالمكذبين من قبلهم من الأمم فكذلك يكون حال المشركين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن تسيير الجبال وإحياء الموتى وغير ذلك من الآيات مرده إلى أمر الله وحكمته في خلقه. ومن الأحكام: أن الكافرين معرضون للقوارع التي تصيبهم في أنفسهم، أو تكون قريباً منهم؛ لكي يعتبروا ويعرفوا أن ما يصيب غيرهم يصيبهم أنفسهم. ومنها: الحكم بأن الله يملي للظالمين ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر لقوله عزوجل ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]. وقول رسوله محمد ﷺ **(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)** ثم قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2].

---

(١) سورة الحج الآية ٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ برقم (٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٠٥، والآية في سورة هود ١٠٢ .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ المراد هل الذي قائم على كل نفس يتولى أمرها وحفظها ومراقبتها -وهو الله- مثل الذي لا يملك مثل هذا وهم البشر والجواب بالنفي فالله لا يماثله ولا يشابهه أحد من خلقه ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي: خلقوا من عند أنفسهم أصناماً وأوثانا يعبدونها جهلاً وضلالا ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي: قل لهم يا محمد سموهم بما تشاؤون كتسميتهم اللات والعزى وهذا على سبيل الإنكار والتهديد ﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أتنبؤن الله بشريك له في الأرض والله يعلم أنه لا شريك له في ملكه ﴿ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: أتقولون هذا بظن من القول أو باطله ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: زينه لهم ما هم عليه من الكفر والضلال وإمهال الله لهم ﴿ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: صدهم الله عن سواء السبيل بسبب كفرهم ومكرهم ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ

﴿هَادٍ﴾ أي: من يبعده الله عن رحمته فليس له من هاد يهديه، ولا مرشد يرشده.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما يصيبهم من المصائب والرزايا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: حافظ وحاجز.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو القائم بتصريف خلقه وتدبيرهم وأنه يحيط بأقوالهم وأفعالهم كما قال عز وجل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[2].

والحكم بضلال عبادة الأصنام، وأن تسمية المشركين لأوثانهم وأصنامهم بأسماء اللات والعزى ومناة إنما هو جهل وضلال وقد زين لهم ذلك الشيطان فأضلهم فصدهم الله بذلك عن سواء السبيل.

والتقرير: بأن لهؤلاء العذاب في الحياة الدنيا بما يصيبهم فيها من البلاء ولهم في الآخرة أشد العذاب وأقساه.

﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٢) سورة يونس من الآية ٦١ .

بيان الآية:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: نتلو عليك يا محمد صفة الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ﴿وَظِلُّهَا﴾ أي: وكذلك ظلها لا ينقطع ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي: هي المآل والمقر للذين اتقوا ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ أي: إن النار هي العاقبة للمكذبين.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن أكل الجنة وظلها دائمان لا ينقطعان وشاهده قول الله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾[1]. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[2]. وقول رسول الله ﷺ **(إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يَتْفِلُون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون)** قالوا: فما بال الطعام قال: **(جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس)**[3].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم

(١) سورة الواقعة الآية ٣٣ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، برقم (٢٨٣٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٣٦ .

بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المراد بهم من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ أي: يفرحون بالقرآن ويسرون به؛ لأنهم آمنوا بما ورد في كتبهم عن نزوله وبما بشّرتْ به من مجيئك بالرسالة ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ أي: من مشركي مكة ومن بعض اليهود والنصارى من يكفر بالقرآن ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله أمرني أن أعبده وحده لا شريك له ﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾ أي: أدعو إلى توحيد الله وعدم الإشراك به وأتبرأ من كل من يشرك به ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ أي: أتوب وأرجع إليه في دعوتي وفي سائر أموري.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ الخطاب لرسول الله محمد ﷺ والمراد أن الله أنزل عليه هذا الكتاب بلغته ولغة قومه كتابا محكما فصيحا، فيه هدى للعالمين يتضمن أحكام الدين الذي أتيت به ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ أي -والخطاب لمحمد ﷺ ولعموم أمته- إن اتبعت أهواء المشركين الذين ضلوا في عبادتهم ﴿بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: بعد ما نزل عليك القرآن ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ أي: لن يكون لك حينئذٍ ولي يواليك أو ناصر ينصرك.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عقيدة التوحيد، وأنها العقيدة الوحيدة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ ويتبرأ مما سواها. وتقرير: أن الله أنزل القرآن بلغة رسول الله ﷺ ولغة قومه وفي هذا تشريف لهم. ومن الأحكام: التحذير لأمة محمد ﷺ بعد أن بلغها القرآن من اتباع أهواء المنكرين لعقيدة التوحيد وما يؤدي إليه هذا الاتباع من فقدانهم لولاية الله ونصره.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ قيل: إن اليهود أنكروا على رسول الله ﷺ زواجه من النساء فأنزل الله هذه الآية(١) منكراً عليهم ذلك ومبينا أن الرسل كانوا يتزوجون وكان لهم ذرية كما كان نوح وداود وسليمان وغيرهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وفي هذا زيادة تفنيد ما طلبه المشركون أن يأتيهم رسول الله بآيات مثل زحزحة الجبال والمراد أنه ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، ومراده ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٣٧ .

أي: أن لكل أمر أراده الله كتاب مرقوم عنده.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي: يمحو من الكتاب ما يشاء منه ويثبت منه ما يشاء ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: الكتاب الذي لا يتغير منه شيء وهو اللوح المحفوظ، وقد ذكر ابن عباس في تفسير هذه الآية أن الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو والذي يُثْبِت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت[١].

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الزواج عام للبشر، سواء كانوا أنبياء أو غيرهم؛ لأنه من سنن الله وفطره التي فطر الناس عليها. الحكم بأنه ليس لأحد من رسل الله أن يأتي بآية من عنده بل مرجع ذلك ومرده إلى الله. الحكم بأن الله يمحو من الكتاب ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[٢].

وقيل: لابن عباس لمَّا روى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٦٨، والدر المنثور للسيوطي ٤ ص١٢٢ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٦٨.

قال: **(من أحب أن يمد الله في عمره وأجله ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه)**[١] كيف يزاد في العمر والأجل؟ فقال: قال الله عزوجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾؛ فالأجل الأول: أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته والأجل الثاني: يعني المسمى عنده من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فاذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء وإذا عصى وقطع رحمه نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء فيزيده في أجل البرزخ؛ فإذا تحتم الأجل في علمه السابق امتنع الزيادة والنقصان، لقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢].

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بُسط له في الرزق بصلة الرحم، بلفظ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه. ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»، فتح الباري ج١٠ ص٤٢٩، برقم (٥٩٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص٣٣٠، والآية في سورة الأعراف من الآية ٣٤.

أي: إن أريناك يا محمد بعض الذي نعدهم من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ أي: أن الذي عليك هو إبلاغهم الرسالة، أما حسابهم فعلينا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ المراد بهم المشركون في مكة ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: أفلا يعرف هؤلاء أنا أهلكنا من قبلهم الأمم التي كذبت رسلها وإنّ ما حل بأولئك جدير أن يحل بهم إذا استمروا في طغيانهم ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ أي: هو الحاكم وحده لا يرد أحد حكمه ولا يزيد ولا ينقص منه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: يعجل للظالمين عقوبتهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مهمة رسول الله ﷺ هي إبلاغ أمته ما أرسل إليهم فحسب أما حسابهم فعلى الله. ونظيره قوله عز ذكره ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1]. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]. والحكم بأن الله ينقص الأرض أي: يعذب أهل الأرض بسبب معصيتهم وأن ما حل بالأمم التي عصت جدير أن يحل بغيرهم إذا عصوا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) سورة الغاشية من الآية ٢١ .

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٢ .

لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: قد مكر قبل أهل مكة أمم كذبوا رسلهم فمكر الله بهم ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ أي: يعلم بعلمه المطلق ما تكسبه الأنفس من الأعمال فيجازيها عليها إن خيراً فخير وإن شرا فشر ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ أي: وسيدرك الكفار يوم القيامة من ستكون له العاقبة الحسنة ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ أي: يقول المشركون لست نبيا مرسلا، وإنما أنت بشر تقول ما عندك وليس من عند الله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: هو الشاهد على ما قلته والشاهد على ما كذبتم به ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: ويشهد بصدقي من عندهم علم الكتاب وهم اليهود والنصارى المؤمنون الذين يعرفون صفة محمد ﷺ في كتبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مكر مشركي مكة لم يكن خاصاً بهم، بل سبق أن مكرت أمم من قبلهم كذبوا رسلهم فمكر الله بهم. ومن الأحكام: أن الله هو الشاهد على نبوة ورسالة محمد ﷺ كما يشهد بذلك المؤمنون من أهل الكتاب (التوراة والإنجيل) الذين يجدون صفته في كتبهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة إبراهيم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿الٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ أي: أنزلنا عليك القرآن وحيا يوحى به إليك من ربك ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: لتخرج به الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والإيمان، وفي هذا تمثيل؛ لأن الكفر بمعنى الظلمات، والإسلام بمعنى النور ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: لتخرجهم من الكفر إلى الإسلام بإذن الله، وهذا لا يكون إلا بتوفيق الله لك ولهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي: لتخرجهم من ظلماتهم إلى اقتفاء طريق الله العزيز في ملكه وسلطانه المحمود في أمره وقضائه.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الموصوف هو الله العلي الكبير المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما المتفرد بالخلق والتدبير ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في هذا تهديد ووعيد للكافرين من العذاب الأليم الذي سينالهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الذين اختاروا العاجلة بالآجلة فرضوا بنعيم الدنيا وأعرضوا عن نعيم الآخرة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: كما صدوا بأنفسهم عن سبيل الله يصدون غيرهم عن هذا السبيل ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يريدون أن تكون سبيل الله تبعا لأهوائهم وشهواتهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: أن هؤلاء ضالون بعيدون عن طريق الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المراد من إنزال القرآن هو انتشال الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل، والحكم بأن لله كل ما في السموات والأرض وما فيهن وأن الكافرين سيلاقون العذاب الشديد؛ بسبب اختيارهم وتفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة وصدهم عن سبيل الله وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)**(١).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٣٧، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، برقم (٣٩٥٢)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٠٤.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ إن من لطف الله ورأفته بعباده ورفعه المشقة عنهم أن أرسل إليهم الرسل بلغاتهم حتى يكون ذلك أيسر لهم في فهم دينهم، وليكون ذلك أيضا حجة عليهم ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ ﴾ أي: يصرف من يشاء من عباده عن الحق ويهدي من يشاء منهم إلى الحق وما كان الله ليضل قوما إلا بسبب تنكبهم عن طريق الحق رغم ما جاءهم من البينات عنه وما كان ليهدي قوما إلا بعد أن آمنوا به واتقوه وصدقوا ما جاءهم من البينات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي: في سلطانه وملكوته ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره وتدبيره.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ أي: أرسلناه بالمعجزات المؤيدة له في دعوته ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي: أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿وَذَكِّرْهُم

﴿بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: ذكرهم بما أنعم الله به عليهم من نجاتهم من فرعون وقومه ومما حل بهم في التيه وما لا قوه من المهانة والذل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ﴾ أي: براهين ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: للصابر على طاعة الله الشاكر لنعمه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله أرسل الرسل إلى أممهم بلغاتهم، ليكون أيسر لهم في فهم دينهم؛ وليكون أيضا حجة عليهم واختص كل رسول بآيات وبراهين للدلالة على صدقه، وقد اختص الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ بالقرآن وهو أعظم معجزة في بلاغته ودلالته وإعجازه كما اختصه بعموم رسالته وشمولها لكل الناس؛ لحديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: (**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة**)[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، برقم (٤٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦٣٤ .

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عما قاله موسى لبني إسرائيل مذكرا لهم نعم الله عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون وما فعلوه بهم من المهانة والإذلال والتعذيب حيث كانوا يذبحون من يولد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فنجاهم الله من ذلك بخلاصهم وإغراق فرعون وجنده ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: نعمة يجب أن تشكروه عليها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: أعلم وأقسم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: إن شكرتم نعمتي عليكم فسوف أزيدكم منها ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: إن جحدتموها ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي: أليم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: قال موسى لقومه: إن كفرتم أنتم وجميع من في الأرض فإن الله غني عنكم حميد أي: محمود في كماله وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التذكير بنعم الله على عباده، وأنه عز وجل قد أقسم أن من شكر نعمه سيزيده عليها، وأن من كفر بها سيلاقي العذاب الشديد. والكفر بالنعم له عدة وجوه: منها: ترك الطاعة وفعل المعصية؛ فالطاعات تثبت النعم والمعاصي تزيلها. ومنها: وضع النعم في غير موضعها ذلكم أن الله جعل النعم لحاجة عباده في طعامهم وشرابهم ولباسهم وأمنهم، فإذا جعلوها في غير هذه الحاجات فقد كفروا بها، ومن الكفر بها: عدم أداء حقها فقد جعل الله في النعم التي ينعم بها على من يشاء من عباده حقوقا فيها ومنها: الصدقة على المحاويج والمساكين. ومن الأحكام في الآيات: أن فضل الطاعات وترك المعاصي يعود لصاحبها؛ ذلكم أن الله غني عن عباده، فلا تنفعه طاعاتهم ولا تضره معصيتهم وفي الحديث القدسي: (**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً**) الحديث[1].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢.

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ استفهام تقريري المعنى فيه: أن الله قص على رسوله وعلى أمته خبر من كان قبلهم من الأمم التي أرسل إليها نوحاً وهوداً وصالحاً وغيرها من الأمم التي عصت الله وكذبت رسله. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: لا يحصيهم ويعلم عددهم إلا الله. ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: جاؤوهم بالبراهين وبالمعجزات ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلهم بأفواههم ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا

﴿بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أي: أننا نكذب ما أرسلتم به وما قلتم إنه من عند الله ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ والمراد أننا نشك فيما قلتم إنه من عند الله، فلهذا لا نصدقكم.

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أنه لا ريب ولا شك في الله ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: منشئها وخالقها ومكونها من العدم إلى الوجود ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ أي: يدعوكم لاتباع الحق وترك الشرك والمعاصي لكي يتجاوز عن ذنوبكم وخطيئاتكم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ أي: يمهل لكم في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ أي: قال المرسَل إليهم من الأمم لرسلهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، لا فرق بيننا وبينكم فأنتم تأكلون مثلنا وتشربون وتلبسون وتتكلمون مثلنا فما لكم علينا من ميزة وإنما ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي: إن غايتكم هو صدنا عما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: إن كنتم صادقين، فأتونا بدليل قاطع، وبرهان ساطع، وهذا يدل على شدة كفرهم وجحودهم؛ لأن الأنبياء جاؤوهم بمعجزات ظاهرة، ومع ذلك يطلبون منهم الحجج والبراهين.

﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ أي: كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾ أي: يتفضل عليه وهو ما

حدث لنا حيث أنعم الله علينا وتفضل بحمل رسالته ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما كنا لنأتيكم بدليل أو حجة إلا بعد مشيئة الله وإرادته؛ إذ ليس لنا من الأمر شيء إلا ما أمرنا به ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يتوكل عليه المؤمنون في كافة أمورهم ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المراد: ما الذي يمنعنا من التوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ أي: وفقنا لاتباع صراطه المستقيم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي: سوف نتحمل ما جاءنا منكم من الإهانة والتكذيب؛ لأننا نبلغ رسالة الله وتهون علينا نفوسنا في سبيل هذا التبليغ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه يتوكل المتوكلون ونحن منهم فهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير.

أحكام ومسائل الآيات:

توجيه الله لعباده بأن يعتبروا بما قصه عليهم من قصص الأمم السابقة وما حل بها من العذاب حين كذبت رسلها وقد حكم الله وحكمه الحق أنه لا شك في ألوهيته، فهو الذي خلق السموات والأرض وكوَّنها، وهو الإلَه المتفرد بالوحدانية. ومن الأحكام في الآيات: وجوب التوكل على الله، وتحريم التوكل أو الركون إلى غيره، ووجوب الصبر في الدعوة إلى الله وما يلاقيه الدعاة من الأذى والعنت.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ (١٥) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ (١٦) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ (١٧) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ ﴾ يخبر عز وجل أن الذين كفروا هددوا رسلهم بالطرد من أرضهم وقالوا لهم ﴿أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ ﴾ أي: حتى ترجعوا إلى ملتنا التي كان عليها آباؤنا ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: قال لهم ربهم: سوف نهلك الظالمين الذين كذبوكم ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ﴾ أي: ستكون لكم الأرض من بعدهم ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ أي: إنجاء المؤمنين وهلاك الظالمين جزاء لمن خاف يوم القيامة وخاف الوعيد ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ أي: أن الرسل لما يئسوا من دعوة قومهم أذن لهم في الدعاء عليهم ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ

عَنِيدٍ ﴾ أي: خسر كل متكبر معاند للحق ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ أي: ستكون جهنم من وراء هذا الجبار المتكبر ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ أي: سيكون شرابه في جهنم الماء الذي مثل الصديد ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ أي: يحاول شربه فلا يستطيع لكرهه وقذارته وسوئه ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: تحيط به أسباب العذاب من جميع جوانبه ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ المراد أنه ليس بميت فيستريح من معاناة الموت ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي: من أمامه ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ أي: شديد وأليم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنَّ الكفار من الأمم السابقة كانوا يهددون رسلهم بإبعادهم إن لم يتبعوهم في كفرهم. تقرير أنَّ الرسل كانوا يدعون على أقوامهم حينما ييأسون من صلاحهم. تقرير أنَّ الله يهلك الظالمين الذين يكذبون رسله وبيان شدة العذاب الذي ينالهم يوم القيامة.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين الفاسدة، وما تكون عليه يوم القيامة فمثل هذه الأعمال في بطلانها وخسارتها مثل الرماد ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ فبددته فلم يبق منه شيء ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أي: لا يحصلون على ثواب أعمال عملوها في الدنيا وظنوا أنهم يثابون عليها، فمثل طلبهم هذا الثواب كمثل الذي يبحث عن الرماد الذي هبت عليه ريح شديدة في يوم كانت فيه عاصفة قوية ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ أي: إن هذا هو السعي الخاسر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بخسارة الكافرين لثواب الأعمال التي يعملونها في الدنيا؛ لأن أعمالهم تلك ليست مبنية على أساس صحيح، فلو صلوا لم تنفعهم صلاتهم، ولو زكوا لم تنفعهم زكاتهم، طالما أنهم يعبدون مع الله غيره، أو يراؤون في أعمالهم أو غير ذلك من أنواع الكفر كما قال عز وجل ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[١].

(١) سورة آل عمران الآية ١١٧ .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يقرر الله هنا حقيقة ربانية هي: خلقه للسموات والأرض بما فيها من الكواكب والبحار والأنهار، وهذه من أعظم آياته ومعجزاته وأنها أكبر من خلق الناس كما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾(١).

وقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إن يشأ يذهب الناس الذين كفروا به وكذبوا رسله ويأت بأناس لا يكفرون ولا يشركون به، بل يوحدونه ويطيعونه ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: أن هذا ليس بمعجز له بل هو القادر عليه.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: برزت الخلائق كلها برها وفاجرها

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

صغيرها وكبيرها يشهدون العرض على ربهم للحساب والجزاء ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ أي: قال الأتباع للمتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ أي: كنا نتبعكم ونأتمر بما تأمروننا به وننتهي عما كنتم تنهون عنه ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: هل أنتم اليوم -ونحن أتباعكم- تدفعون عنا من عذاب الله من شيء حيث إنكم وعدتمونا بذلك لما اتبعناكم وأطعناكم ﴿قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ أي: قال المتبوعون للتابعين: إن الله لم يهدنا إلى صراطه المستقيم فلو أنه هدانا لهديناكم فحق علينا وعليكم هذا العذاب ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ أي: أن هذا العذاب واقع بنا، سواء جزعنا منه أم صبرنا عليه ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ أي: لا مفرّ لنا ولا محيد منه.

وفي ذلك المشهد من الجدل يتبرأ المتبوعون من التابعين كما قال عز وجل ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾[1]. ويتبرأ التابعون من المتبوعين كما قال عز وجل ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٢ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣١ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المتبوعين من غير المؤمنين يتبرؤون من تابعيهم يوم القيامة، وهذا يقتضي أن اتباع غير سبيل المؤمنين خسران وضلال كما قال عزوجل ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ حينما يعرف أهل الجنة منازلهم في الجنة، ويرى أهل النار منازلهم في النار، يقوم إبليس خطيبا فيقول للذين اتبعوه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: إن الله وعدكم على لسان رسله أن لكم الجنة إذا أطعتموه وصدقتم

---

(١) سورة النساء من الآية ١١٥ .

ما جاءت به رسله وآمنتم بما جاء في كتبه ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أما أنا فوعدتكم فاتبعتموني وعصيتم أمر ربكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أي: ما كان لي من دليل أو برهان فيما دعوتكم إليه إلا مجرد دعوتكم فقبلتم ما قلته لكم وصدقتموه.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ أي: لا لوم علي اليوم، وإنما لوموا أنفسكم في اتباعكم لي وتصديقكم ما قلته لكم وعصيانكم لربكم ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: لست بمنقذكم مما أنتم فيه وليس لي أن أدفع العذاب عنكم ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: إنكم لستم بمنقذي مما أنا فيه فكل منا يتحمل جزاء ذنبه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي: إني كافر بما أشركتموني مع الله فلست شريكا معه فذوقوا جزاء شرككم ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إن للظالمين عذابا شديدا، جزاء كفرهم وتوليهم عن الحق وعصيانهم لأمر الله.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي ذلك المشهد يدخل المؤمنون الجنة بكل ما فيها من النعيم المقيم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ماكثين فيها أبداً لا يزولون ولا يتحولون ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ أي: يسلم عليهم الملائكة

حين يدخلون عليهم كما قال عز وجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[١]. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الشيطان يغوي أولياءه، ويعدهم، ويمنيهم، ثم يعرض عنهم، ويتبرأ منهم كما قال الله عز وجل ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٣]. وهذا يقتضي الحذر منه، وتكذيب ما يسول به للنفوس ويمنيها ويعدها به.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦)﴾.

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لما ضرب الله مثلا لأعمال الكفار، وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ضرب مثلا للمؤمن ﴿كَلِمَةً

---

(١) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٤ .

(٣) سورة النساء الآية ١٢٠ .

﴿طَيِّبَةً﴾ هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض مثل قرار كلمة التوحيد في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: عال وفي حديث عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: (**أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، وتؤتي أكلها كل حين**) قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ: (**هي النخلة**) فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم ؟ قال: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا(١).

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي: تؤتي ثمرها في كل وقت مثلها في ذلك مثل عمل المؤمن المتوالي ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي: تؤتي هذا الثمر بإذن ربها؛ لأن كل ثمر لا يكون إلا بإرادة الله، وكذلك عمل المؤمن الذي يرفعه الله إليه ويجازيه عليه كل ذلك بإذنه ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يبينها لهم لعلهم يتذكرون فيتعظون.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، برقم (٤٦٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٢٨ .

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر، فلا أصل لعمله ويشبه الشجرة الخبيثة، وهي شجرة الحنظل لا رائحة لها وطعمها مر ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: قطعت ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ أي: لا أصل لها ومثلها عمل الكافر لا أصل له ولا فرع ولا قرار ولا يقبل منه صرف ولا عدل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وجوب التفريق بين عمل المؤمن وعمل الكافر، وأن عمل المؤمن باق وثابت يرفع له ليثاب عليه وأن عمل الكافر لا بقاء له ولا ثبات ولا يرفع له. ومن مسائل الآيات: تقرير ثناء الله على النخلة وفي الحديث: (**مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبته نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة، كل شيء منها ينتفع به**)[1].

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (٧٩٣)، بلفظ «مثل المؤمن مثل النحلة إن شاورته نفعك وإن ما شيته نفعك»، وقال وفيه ليث بن أبي سليم. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص٤٦٤: «هو صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فتُرك من السادسة».

لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ أي: يثبتهم في الدنيا بما كانوا عليه من توحيده، وطاعته في الدنيا، ويثبتهم في الآخرة عند أول منازلها وهو القبر ويثبتهم كذلك عند الحساب وفي حديث البخاري: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **المسلم إذا سئل في القبر يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾[١].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ ﴾ أي: يحجب عنهم كلمة الحق عند سؤالهم في قبورهم كما ضلوا عنها في الدنيا، فإذا سألتهم ملائكة القبر أجابوهم بأنهم لا يعرفون ما سألوهم عنه من كلمة التوحيد ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: له الحكم والتصرف في عباده فيهدي منهم من يشاء ويضل من يشاء وله في ذلك حكمة وهو أحكم الحاكمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ قيل: إنها نزلت في مشركي مكة[٢] فقد أنعم الله عليهم برسالة محمد ﷺ حين بعثه الله فيهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ برقم (٤٦٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٢٩ .

(٢) تفسير الضحاك ج١ ص٤٩٩، وتفسير البغوي ص٦٨٨ .

فكذبوه وآذوه وكفروا بما جاء به فأحلوا بذلك الكفر محل النعمة ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أي: أنهم بكفرهم هذا أحلوا أنفسهم وقومهم دار البوار أي: جهنم. وقيل: إن المراد من الآية عامة المشركين[1] بما فيهم كفار قريش، وهذا هو الأولى ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ صفة لدار البوار ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي: تعس المقر والمقام.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: جعلوا نظائر من أوثان وأصنام يعبدونها من دون الله ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: يضلوا أنفسهم ويضلوا غيرهم عن دينه ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: قل لهم يا محمد على وجه التهديد والوعيد تمتعوا بما أنتم عليه في الدنيا، أما مصيركم فسيكون إلى النار.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله يثبت المؤمنين في حياتهم الدنيا وفي الآخرة، وأول ذلك عند نزولهم أول منزل من منازل الآخرة هو القبر. ومن الأحكام: تقرير أن من بدل نعمة الله التي أنعمها عليه بالكفر سيكون له الخسران في الدنيا والآخرة. ويدخل في هذا كل من يصرف قواه التي أعطاه الله إياها في المعصية، وكل من ينفق ما أعطاه الله من المال في المعصية، وكل من يجعل سلطته التي أعطاه إياها في الظلم، وهكذا في كل أمر مشابه.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٤٧ .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمؤمنين قول أمر وتكليف أن عليهم أن ﴿ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: يؤدوها بأركانها، وشروطها، وواجباتها في أوقاتها ﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ أي: ويأمرهم أن ينفقوا زكاة أموالهم سرا وعلانية وصدقاتهم وتطوعهم كذلك سرا وعلانية ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ المراد به يوم القيامة، فليس فيه بيع ولا تجارة وليس فيه خلال أي: أصحاب أو أصدقاء، بل أساس جزائه العدل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وجواز إخراج الزكاة في العلن، واستحباب صدقة التطوع، في السر وفي كل خير.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في هذا بيان من الله لعباده أنه الذي خلق السموات والأرض أي: أنشأهما وأبدع صنعهما ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المراد به المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: أخرج به من الشجر ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ والمراد به ما ينتجه الشجر من منافع للإنسان كالتمر والزيتون والأعناب وسائر أنواع الفواكه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي: سخر السفن؛ لتحمل الإنسان عبر البحار، لما في ذلك من منافع له في التجارة والذهاب إلى الحج وغير ذلك من أنواع المنافع التي تتجلى للإنسان في كل زمان ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ المراد بها البحار العذبة، حيث سخرها لشرب الإنسان وسقي زروعه وأنعامه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ﴾ أي: مستمرين فيهما على عادة جارية لا يفتران إلى ما شاء الله، وفي تسخيرهما منافع للإنسان، ففي القمر نور له، يهتدي به في ظلمات الليل، وفي الشمس فوائد لصحته وفوائد لنباته وأنعامه ومختلف حياته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فالليل سكن له، والنهار ضياء له في معاشه.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي: أنعم عليكم بكل ما سألتموه من نعمة الصحة في البدن ونعمة العيش ونعمة الأمن والقرار ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي: إن تحسبوا نعمه التي ينعم بها عليكم -كالسمع والبصر وأنواع الرزق وأنواع الصحة- فلن تستطيعوا حصرها، لأنها تتجاوز الحصر في كمها وكيفها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي: إن الإنسان الذي يجحد هذه النعم ويقابلها بمعصية الله لهو ظالم لنفسه عظيم الكفر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قدرة الله وعظيم صنعه في خلق السموات والأرض بكل ما فيهما من الآيات العظام التي جعلها الله لمنافع عباده في دينهم ودنياهم. وتقرير أن نعم الله على الإنسان غير قابلة للحصر، لكثرتها وتشعبها في كمها وكيفها فلو نظرنا -مثلاً- إلى (الكلية) وما فيها من ملايين الأنابيب التي جعلها الله أداة واحدة من أدوات صحته لكفى ذلك دليلا على هذه النعم وعظمتها كما قال عز وجل ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

(١) سورة الذاريات الآية ٢١ .

بيان الآيتين:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ يخبر تعالى أن إبراهيم دعا لمكة بالأمن ذلك أنه عليه السلام حين ترك إسماعيل وأمه دعا بهذا الدعاء، وقد تقبل الله دعاءه كما قال عز وجل ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[1]. ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ هذا دعاء آخر منه عليه السلام أن يبعده وبنوه ومن على ملته عن عبادة الأصنام ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ أي: إن هذه الأصنام قد أضلت كثيرا من الناس فعبدوها وتركوا عبادة الله، وليس المراد بالإضلال هنا فعل الأصنام نفسها، فهي جمادات لا حراك لها، وإنما المراد هو جهل وضلال الذين عبدوها ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ أي: من اتبعني على كلمة التوحيد وترك عبادة ما سوى الله فإنه من أهل ملتي وطريقتي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أي: من أصر على عبادة الأصنام فإنك تغفر له إذا تاب وأناب ووحدك في طاعتك.

أحكام ومسائل الآيتين:

التقرير بفضل مكة وشرفها على سائر البلدان حيث جعلها الله حرما آمنا كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٦٧ .

وقوله في حق قريش ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾[1]. ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[2]. فكان أمانهم من أمان البيت الحرام وبسببه. ومن الأحكام: توجيه الله للعبد أن يسأل ربه أن يجنبه ويحميه من عبادة الأصنام، وأن يجعل عمله خالصا له قولا وعملا.

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾.

بيان الآيات:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ لما أمر الله إبراهيم بالرحيل من مكان إقامته وترك زوجته هاجر وولده إسماعيل، ناجى ربه بأنه أسكن بعض أهله وهما زوجته

---

(١) سورة قريش الآية ٣ .

(٢) سورة قريش الآية ٤ .

وولده في وادٍ ليس فيه زرع قوله ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ أي: عند بيتك الحرام ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: إنك جعلته بهذه الحرمة؛ لكي يقيم من سكنه الصلاة فيه، فليكونوا كذلك ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ هذا دعاء بأن يجعل الله القلوب تميل إليهم وتحبهم، قال ابن عباس ومجاهد: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس، والروم، والترك، والهند[1] وغيرهم ولكن قال ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي: لأنهم في واد غير ذي زرع، فارزقهم من الثمرات مما حولهم فلعلهم لا يكفرون نعمتك، وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فما كانت مكة إلا سلة غذاء يأتيها من كل مكان، وفي كل زمان.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ أي: تعلم ما نخفيه في أنفسنا وما نعلنه لغيرنا فلا يخفى عليك شيء من أمورنا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ أي: وهب لي إسماعيل وإسحاق في حال كبر سني قيل: إنه لما ولد له كان قد تجاوز المائة سنة[2] ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ أي: إنك تسمع الدعاء لا يخفى عليك منه خافية ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: من الثابتين على الإسلام فأقيم الصلاة وأقيم جميع أركان الإسلام ﴿وَمِن

---

(١) الدر المنثور ج٤ ص١٦١ .

(٢) تفسير البغوي ص٦٩٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص٧٤٩ .

﴿ذُرِّيَّتِي﴾ أي: واجعل ذريتي ممن يقيم الصلاة وتثبته على الإسلام ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أي: دعائي وسائر عبادتي ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعاء منه بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين وقيل: إن دعاءه لوالديه قبل أن يثبت لديه أنهما مشركان كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1]. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يقوم الناس ليوم الحساب والجزاء يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة، وأن من يكفر بها لا يستحق نعم الله. ومن الأحكام: مشروعية الدعاء وفضله فيما يعود للداعي بالخير في دينه ودنياه، والأصل فيه قول الله عز ذكره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾[2]. وقوله تقدست أسماؤه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3]. ومن الأحكام: مشروعية دعاء الداعي لوالديه

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر الآية ٦٠ .

إذا لم يكونا كافرين، وكذا مشروعية الدعاء للمؤمنين، لأن علاقة الدين توجب الدعاء لهم والترحم عليهم.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما أصابه من مشركي قريش وتكذيبهم له، والمعنى لا تحسب يا محمد أن الله لما أمهل المشركين كان غافلا عن عملهم، وسوء صنيعهم إنما يمهلهم ويحصي عليهم أفعالهم ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي: يؤجل عقابهم ليوم لا تنفتح فيه الأبصار من شدة هوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: مسرعين في سيرهم ورافعي رؤسهم كما قال عز وجل ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾[2].

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ ﴾ أي: تشخص أبصارهم من شدة نظرهم

---

(١) سورة القمر من الآية ٨ .

(٢) سورة المعارج من الآية ٤٣ .

إلى ذلك اليوم وما فيه من الأهوال ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ وكما أن نظرهم يظل شاخصا فقلوبهم كذلك خاوية تخرج إلى حناجرهم من شدة الخوف.

أحكام ومسائل الآيتين:

تأخير العذاب عن الظالمين يراد به إمهالهم؛ لأن من حكمة الله إمهال العصاة، فإن تابوا وأنابوا وإلا حل بهم العذاب يوم القيامة أو في الوقت الذي يحدده لهلاكهم في الدنيا.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ هذا أمر لرسول الله ﷺ أن ينذر أهل مكة في زمانه، والإنذار يشمل كل ظالم إلى قيام الساعة كما قال تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(١). ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾

(١) سورة الفتح الآية ٨.

أي: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ في هذا إخبار من الله عز وجل أن الظالمين عند معاينتهم العذاب يرجون أن يؤخرهم بعض الوقت حتى يجيبوا دعوته ويتبعوا رسله فيما جاؤوا به ونظيره قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾(١). ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣). ويرد الله عليهم بقوله تقدست أسماؤه ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ أي: أولم تكونوا أقسمتم من قبل على الاستمرار في الكفر والعصيان وإنكار البعث كما قال عز وجل عنهم ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾(٤). قوله ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ أي: وأنه لا زوال لكم.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ المخاطب المشركون، والمراد أنكم سكنتم في مساكن عاد وثمود وغيرها ورأيتم ما حل بهم من

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ٩٩.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٧.

(٤) سورة النحل من الآية ٣٨.

العذاب، فهل أنتم اعتبرتم بما تبين لكم عن هلاكهم؟ وبعد أن ضربنا لكم الأمثلة في القرآن لعلكم تتعظون فلم تفعلوا. ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ لما كان السياق في كفار قريش فلعلهم المراد من الآية، حيث إنهم تمالؤوا على سجنه أو قتله أو نفيه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: أنه عليم بما كانوا يبيتونه لرسول الله ﷺ ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ المراد أنه لا أهمية لمكرهم ولا قيمة له ولن تزول منه الجبال.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المكر جريمة، وهذا يقتضي أن كل مكر مرده إلى الخسران كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[١].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ في هذا بيان من الله

(١) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

تعالى أنه لا يخلف ما وعد به رسله من نصرهم في الدنيا ويوم القيامة كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴾[١]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ أي: عزيز في ملكه وسلطانه، لا يمتنع عليه ما يريد، وهو ذو انتقام من الكفرة والظالمين.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ هذا عطف على ماقبله، والمراد أن الله لن يخلف ما وعد به رسله يوم تكون الأرض على غير هيئتها وصفتها، ويوم تكون السموات كذلك، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله ؟ قال: (**على الصراط**)[٢]. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ أي: خرج الناس من أجداثهم متجهين إلى الله الواحد الأحد القهار الذي قهر الجبابرة وذلت له الأعناق وخضعت له الرقاب.

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: وحين تبدل الأرض غير الأرض والسموات ترى المشركين ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ أي: مغلولين في القيود ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ أي: لباسهم من قطران وهو مادة حارة تطلى بها الإبل المريضة، وقد تكون مادة من نحاس[٣]

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، برقم (٢٧٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٦٧ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٥٢ .

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تلفح وجوههم النار ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تجزى بما كسبته من خير أو شر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: سريع في محاسبة الخلائق يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله لا يخلف ما وعد به كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1]. تقرير أن الأرض والسموات تتبدلان يوم القيامة، فتكونان على غير هيئتهما وصفتهما المعهودة وشاهده قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[3]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه**)[4]. ومن الأحكام: بيان مآل المجرمين والظلمة يوم القيامة وما يلاقونه من الذل والمهانة والعذاب.

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٩ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الزمر من الآية ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ملك يوم الدين)، برقم (٧٣٨٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣٧٩ .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: إن هذا القرآن بلاغ للخلق إنسهم وجنهم ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ أي: لما فيه من العبر والعظات ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: ليعلموا أن الله هو الواحد الأحد لا رب غيره ولا معبود بحق سواه ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي: وليتعظ أصحاب العقول بما جاء في هذا الكتاب من الدلالات والبراهين القاطعة الدالة على وحدانية الله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أنزل كتابه لإبلاغ الخلائق أنه الإلَه الواحد لا أحد غيره في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه المستحق وحده للعبادة. تقرير أن في القرآن بلاغاً للناس عن الحلال وعن الحرام وعما للمؤمنين من الجزاء بالحسنى وعما للكافرين من العذاب يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون آية

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ الٓر ﴾ تقدم القول فيها ﴿ تِلْكَ ﴾ أي: ما تضمنته هذه السورة من الآيات و﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المراد به القرآن ﴿ مُّبِينٍ ﴾ أي: الذي أبان الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ هذا بيان من الله أن الكافرين حينما يرون يوم القيامة وأهواله ويرون الصالحين يدخلون الجنة يتمنون لو كانوا مسلمين مطيعين لله عز وجل ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ في هذا تهديد ووعيد لهم أي: لما بلغتهم الرسالة فأعرضوا عنها، اتركهم على حالهم يتمتعوا ويأكلوا ﴿ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ أي: يصرفهم أملهم في الدنيا عن توحيد الله وطاعته ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: سيرون يوم القيامة سوء فعلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القرآن قد فصل للناس أوامر الله التي أمرهم باتباعها كما فصَّل لهم النواهي التي نهاهم عنها، وإن ترك الكفار يلهون ويتمتعون كان قبل نزول آية القتال التي نسخت هذه الآية[١] بما يقتضي دعوتهم إلى الله بالحسنى فإن لم يفعلوا وجب قتالهم.

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه ما أهلك أمة إلا بعد أن أرسل إليها رسولا يبلغها الرسالة ويقيم الحجة عليها بما ينذرها إذا عصت وتولت عما جاءها من الحق.

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ أي: لا تتقدم أجلها بالزيادة ولا تتأخر عنه بالنقصان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أمر الله بعقاب المكذبين له مدة معلومة لا يعلمها إلا هو، وأنه لا يعاقب إلا من بلغتهم الرسالة، وقامت عليهم الحجة كما قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٢].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٥٤.

(٢) سورة الإسراء من الآية ١٥.

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ القائلون كفار قريش وهم يقصدون أن محمداً ﷺ يدعي نزول القرآن عليه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي: إنك بدعوتك لنا أن نتبعك ونترك ملة آباءنا تعد مجنونا ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أي: إن كنت صادقا في دعائك، فهلا أتيتنا بملائكة يصدقونك فيما قلت. ونظير هذا قولهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[١].

﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وفي هذا رد عليهم أي: إن الله لا ينزل ملائكة كما طلبوا، وإنما ينزلهم بإبلاغ رسالاته أو أن يعذبوا من أمرهم الله بعذابه ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ أي: لو تنزلت الملائكة كما طلبوا لما آمنوا أو يكون المراد أن الملائكة لو أمرت بإهلاكهم لما أمهلهم الله ولا قبل لهم توبة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مشركي قريش كانوا يسخرون من دعوة رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢١ .

ويستهزؤون بها. تقرير أن الملائكة لا تتنزل إلا بالحق ورد الباطل وأنهم لو نزلوا ولم يؤمن المشركون بما جاؤوا به لعذبهم الله في الحال.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٩).

بيان الآية:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ أي: القرآن ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أي: نحفظه من الزيادة أو النقصان أو التحريف فيه، وفي هذا روي أن أحد الإسرائيليين تردد في إسلامه ثم أسلم، ولما قيل له في ذلك قال: أردت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البِيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ زدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي[1].

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن كتاب الله محفوظ من الزيادة والنقصان كما قال عزوجل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٥-٦.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.

وهذا على خلاف التوراة التي استحفظ عليها الأحبار والعلماء كما قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾[1]. فلما عهد الله إليهم بحفظها ضيعوها، أما القرآن فقد حفظه كما قال عز وجل ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ هذا بيان من الله تعالى وتسلية لرسوله محمد ﷺ عما أصابه من تكذيب قريش أنه سبق أن أرسل إلى الأمم البائدة رسلا فكذبوهم واستهزؤا بهم كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وقوله ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كما سلكنا هذا الشرك والضلال والاستهزاء في قلوب المجرمين نسلكه كذلك في قلوب قومك يا محمد فلا يؤمنون ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: قد مضت والمراد عقاب الله للمكذبين والمستهزئين بهم.

---

(١) سورة المائدة من الآية ٤٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأمم تكذب رسلها وتستهزئ بهم عندما يدعونهم إلى توحيد الله، وطاعته، والبراءة من الشرك به. تقرير أن سنة الله قد مضت في عقاب المكذبين بآيات الله والمستهزئين برسله.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ هذا بيان عن تأصل الكفر والعناد والطغيان في المشركين، فلو فتح الله عليهم بابا من السماء ﴿ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ أي: يصعدون ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ أي: خطفت أبصارنا ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ أي ولقالوا: إنما سحرنا بما نحن فيه.

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ في هذا بيان من الله لخلقه أنه جعل في السماء بروجا أي: كواكب كما قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾[1]. ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ المراد السماء والمراد

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٦١.

بالناظرين المعتبرين المتفكرين في آيات الله وملكوته ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: حفظنا السماء من الشياطين الملعونة والمطرودة من رحمة الله ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ المراد بهم الخطفة يختطفون الأخبار فتتبعهم الشهب، أما الوحي فلا يتعرض له أحد ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي: من أراد من الشياطين الاستماع إلى الوحي يتبعه شهاب مضيء فيقتله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن تأصل الكفر والطغيان في المشركين والكفرة يجعلهم لن يؤمنوا، ولو فتح لهم باب من السماء يعرجون فيه. تقرير أن الله جعل في السماء بروجا؛ لمنافع خلقه وزينها لمن يتفكر ويتدبر في خلقه وآياته. ومن الأحكام: أن الله حفظ السماء من الشياطين، وأن من يحاول استراق السمع منهم تتبعه الشهب كما قال عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[١]. وفي حديث أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال في تفسير هذه الآية: (**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحدا فوق آخر فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه**

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠ .

فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء)[١].

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لما خلق الأرض مدها، فجعلها واسعة منبسطة وثبتها بالجبال الرواسي حتى لا تتحرك فلا يكون للخلق عليها قرار كما قال عز ذكره ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ وقوله ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ أي: أنبت فيها من كل شيء معلوم ومقدر مما يحتاجه خلقه من الأشجار والنباتات لمعاشهم وأرزاقهم.

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ أي: جعل لخلقه فيها أسباب المعايش من الطعام والشراب التي لا غنى للخلق عنها ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ أي: من لستم بمطعميه ورازقيه كالأنعام والدَّواب التي تكفَّل الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾، برقم (٤٧٠١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٣١ .

برزقها، ألا ترى كيف تعمل النملة لجمع رزقها وكيف يسخِّر الله للطيور أرزاقها فتنتقل من محل إلى آخر عبر آلاف الأميال لتجد رزقها فيه بعد أن هداها الله إليه إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان حكمة الله في خلقه بأن جعل الأرض لهم قراراً آمنا وسخر لهم فيها أنواع النبات المقدرة التي فيها صالح معاشهم وأنعامهم وما خلق الله فيها من الطيور والدواب التي خلقها لمنافعهم.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ يبيِّن الله عز وجل في هذه الآية أنه مامن شيء لصالح خلقه، إلا وعنده خزائنه وما ينزل منه إلا ما كان لمصلحتهم وبالقدر الذي يحقق هذه المصلحة، فهو ينزل من المطر بقدر حاجة خلقه وينبت لهم من النبات والشجر ما فيه حاجتهم وكفايتهم وهو معنى قوله تعالى ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: فما بالك لو أنزل الله المطر بغير حاجة خلقه لكان فيه ضرر لهم ولو أنبت لهم الأشجار والنبات أكثر من حاجتهم لصعب عليهم

ذلك وضاقت بهم الأرض بما رحبت.

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه يرسل الرياح لحكمة وهي تلقيح السحاب؛ لينزل منه المطر وتلقيح الشجر بعضه من بعض، وتزدهر أوراقه، وتتفتح أزهاره ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أي: ينزل المطر بعد تلقيح الرياح للسحاب ﴿فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾ أي: أصبح شرابا لعباده وسقيا لنباتهم وشرابا لأنعامهم ودوابهم ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ أي: لستم أيها الخلق بحافظيه، بل الله يحفظه فيرسله في باطن الأرض ليكون أنهارا جارية أو آبارا تختزنه لحين حاجتهم له.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أنه مامن شيء إلا وعند الله خزائنه. تقرير أنه ما من ماء ينزل من السماء ولا نبات ينبت في الأرض إلا بمقادير معلومة وبموازين دقيقة، علم الله فيها مصالح خلقه في طعامهم وشرابهم وسائر منافعهم.

قلت: وفي قوله عز وجل في الآيتين السابقتين ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾. ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ إشارة لعباده بأن كل شيء محكوم بقدرته وحكمته في حفظ الكون علوه وسفليه. وفيه أمر لهم بالمحافظة على الأرض التي أسكنهم فيها، وجعل فيها معايشهم بما يقتضي منهم إصلاحها، وعدم إفسادها

كما قال عز وجل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(١).

والإصلاح: إطار عام لكل ما يجب على العباد أن يفعلوه فيها من أعمال الخير، ولهذه الأعمال ثلاثة وجوه: الأول ما مناطه علاقتهم بخالقهم، وهذا يقتضي وجوب طاعته والائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه. كما يقتضي طاعة نبيه ورسوله محمد ﷺ في كل ما أمرهم به أو نهاهم عنه. والثاني: ما مناطه علاقتهم ببعضهم، ووجوب التعامل بينهم وفق القواعد والأحكام التي شرعها الله لهذا التعامل. والثالث: ما مناطه التعامل مع الأرض التي يعيشون عليها.

ولهذا التعامل صورتان: الإصلاح فيها، وعدم إفسادها. أما إصلاحها فهو إعمارها؛ لأن الله عز وجل أراد من عباده هذا الإعمار في قوله عز ذكره ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢). ومن الإعمار على سبيل المثال زرع الأشجار والنبات؛ لما في ذلك من المنافع لهم في طعامهم وشرابهم ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان له ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إن كان له صدقة إلى يوم القيامة)**(٣).

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥.

(٢) سورة هود من الآية ٦١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٢٤٠-٤٢٤٢، ٤٢٤٢، برقم (١٥٥٢).

ومن إعمارها: إحياء ما لم يحي منها؛ لما في هذا الإحياء من المنافع ليس للعباد فحسب، بل لكل المخلوقات على هذه الأرض من حيوانات ودواب وطيور ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**)[١]. وقد جعل الإمام الشافعي: هذا الإحياء مطلقاً بمعنى أنه لا يتطلب الإذن من أحد[٢].

ومن الإصلاح في الأرض: تنظيفها لتكون سالمة من الأقذار والنجاسات؛ لأن صلاحها يقتضي بالضرورة نظافتها؛ لأن الله ماخلق من شيء إلا ونظافته معلومة بالضرورة؛ ولهذا كان من الأوامر الأولى لرسوله محمد ﷺ أمره بتطهير ثيابه في قوله عز ذكره ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣]. ومن خصائصه النبوية أن الأرض جعلت له مسجداً وطهوراً كما قال عليه الصلاة والسلام: (**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل**)[٤]. ونظافة الأرض إطار شامل لا يقتصر على طهارة الإنسان في جسده ومطعمه ومشربه وملبسه فحسب، بل يتعدى إلى كل جزء من حياته كحال سيره في طريقه، ولهذا عد رسول الله ﷺ إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان في قوله: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله**

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني ج٢ ص٥٩٤، برقم (٢٦٣٨)، قال الألباني: «صحيح».

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص١٧٧ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، فتح الباري ج١ ص٥١٩، برقم (٣٣٥) .

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[١].

أما ما يجب على العباد من عدم إفساد الأرض فيتمثل في عدة أمور: منها: عدم العبث بالموارد الطبيعية واستغلالها خلاف مايحتاج إليه الإنسان لطعامه وشرابه وحاجاته الضرورية، كما يجري اليوم في قطع أشجار الغابات واستنزاف الموارد، وإنهاك الأرض بالمخصبات والمحسنات الكيماوية إشباعاً للرغبات المادية الجامحة دون تفكير في عواقب هذا الاستغلال على حياة الإنسان في المدى القريب والبعيد.

ومن هذه الأمور: الحد من التجارب في المختبرات النووية وغيرها أو منعها؛ لما تؤدي إليه هذه التجارب من نشر الغبار المشع وتعريض طبقات الجو العليا للفساد. ومن هذه الأمور: العمل على منع تلوث الهواء والغذاء والماء نتيجة تكالب الشركات الكبرى في العالم على إنتاج المبيدات والمخصبات بقصد الربح مما يؤدي إلى انتشار الأمراض وانتقالها بين البشر والكائنات الأخرى كما هو مشاهد في هذا الزمان من انتشار الأمراض بين الحيوانات والطيور وانتقالها عبر القارات ووفاة أعداد من البشر ممن يباشرونها أو يستخدمونها لمنافعهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٥٩٣، برقم (٣٥) .

إن الله عز وجل لما أحكم إنبات النبات، وأحكم إنزال المطر وجعل لكل شيء قَدْرَهُ وفق مقاييس وأسس ربانية إنما كان ذلك لسلامة البيئة (الكون) ومصلحة العباد وسلامتهم من الأخطار؛ فإذا تعدوا على هذه الأسس وحاولوا العبث في هذه المقاييس فإنهم بذلك يعبثون بأنفسهم. وقد ظهرت نتائج هذا العبث فيما أصبح يعرف في هذا الزمان بظاهرة (الاحتباس الحراري) وما أدى إليه هذا الاحتباس من سخونة الأرض وحرارتها وما نتج عنه من هيجان البحار والمحيطات والأنهار وقوة الرياح والأعاصير المدمرة وتشرد الآلاف من البشر.

إن ما حدث أو يحدث من خلل في البيئة إنما هو نتيجة شره الإنسان وعدم استجابته لأوامر الله، واتباع سننه في الكون، فإذا لم يستجب لهذه الأوامر والسنن، فإنه سيدمر الأرض التي يعيش عليها، وبالتالي سوف يدمر نفسه وحضارته كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1].

﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) سورة الرعد من الآية ١١ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه يحيي الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي: إنه هو الوارث للأرض ومن عليها من الخلائق ونظيره قوله عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[١]. ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ هذا بيان من الله أنه عز وجل يعلم من مات من الخلائق منذ وجد آدم على الأرض كما أنه عز ذكره يعلم من هو حي من الخلائق ومن سيموت إلى يوم البعث وهو معنى قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ أي: الموجودين من الأحياء ومن سيوجدون إلى أن تقوم الساعة.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ أي: يحشر الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء أنه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي: فيما يفعله بهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما عملوا من الأعمال الصالحة أو السيئة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو المتصرف في خلقه بالحياة والموت، وتقرير أن المتقدم في سائر الاعمال أفضل من المتأخر فيها، وقد ذكر ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا

---

(١) سورة مريم الآية ٤٠ .

﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أي: المستقدمين في الصلاة والمستأخرين بها[1] وهذا يقتضي أن المبادرة في العمل أفضل من التأخير فيه كالصلاة في أول وقتها، والتقدم في الصف الأول، وكذلك دفع الزكاة في وقتها، والحج في بداية عمر المسلم، والمبادرة بالنهي عن المنكر قبل أن يستفحل، وهكذا في كل أمر مشابه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ المراد به خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ الصلصال: الطين اليابس يكون له صلصلة أي: صوت. قوله ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي: من طين أسود متغير ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾ المراد أنه خلق قبل خلق آدم وهو أبو الجن[2] وهو مثل آدم بالنسبة للإنس وقيل: المراد به الشيطان ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: الريح الحارة قيل: إنها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم[3].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن بداية خلق الإنسان من طين، وأصله التراب كما قال عزوجل

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص٢٦ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٦٠ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٦٠ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[١]. وقوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾[٢]. وفيه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**)[٣].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد إخبار الله له عليه الصلاة والسلام أنه قال للملائكة أنه سيخلق بشرا من طين ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ أي قال لهم: إذا سويت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ أي: أكملت خلقه بالنفخ فيه ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ أي: خروا له بالسجود أي: سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة؛ لأن هذا

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٧٥ .

السجود لا يجوز إلا لله وحده ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أي: سجدوا كلهم ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: تكبر واستعظم في نفسه فلما قيل له: لم لا تكون مع الساجدين ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ومراده من قوله هذا الكبر والحسد والاستعلاء؛ لأنه خلق من نار فهو يرى نفسه في منزلة أعلى من آدم في الخلق.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله وحده، وأن المراد بسجود الملائكة سجود تحية وتكريم. تقرير أن الحسد مما حرمه الله وفيه قال عز وجل ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[١]. وأمر رسوله محمداً ﷺ أن يتعوذ من الحسد والحاسد في قوله ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[٢]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**)[٣]. التقرير بتحريم الكبر، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[٤].

---

(١) سورة النساء من الآية ٥٤ .

(٢) سورة الفلق الآية ٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٠٨، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٩٩ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥ .

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾ أي: أمر الله إبليس أن يخرج من الجنة أو من عداد الملائكة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ أي: مطرود وملعون ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ ﴾ أي: عليك لعنتي وغضبي ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: يوم القيامة فسأل إبليس أن ينظره الله فلا يميته بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ فأجابه الله عز وجل بقوله ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾ أي: المؤجل لهم الموت ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾ أي: موت الخلائق.

أحكام ومسائل الآيات:

لم يكن أحد أكثر شرا وأكثر طردا من رحمة الله من إبليس، ولحكمة الله فقد استجاب لسؤاله عندما طلب إنظاره إلى يوم يبعث الخلائق، فاقتضى هنا أن الله لا يرد سؤال من سأله ولو كان كافرا والأصل فيه: قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[1]. والكافر يعد من عباد الله؛ لأن كل مخلوق

(١) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

هو من عبيده والأصل أيضا فيه: قول رسول الله ﷺ: **(إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)**[1].

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي يقول إبليس: كما أغويتني وأضللتني يارب لأغوين عبادك ولأزينَنّ لهم المعاصي وسوف أشغلهم عن طاعتك وعبادتك وألبِّسُ عليهم في معاملاتهم وفي مختلف أحوالهم ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ أي: لن أستطيع إغواء عبادك الذين يخلصون في عبادتك وطاعتك، فلم ينافقوا ولم يراؤوا ولم يرابوا، بل كانوا أشداء في دينهم ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ هذا جواب من الله عز وجل أن هذا عهد من الله ألا تنال من عبادي المؤمنين، ودليله قوله عز ذكره ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ أي:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، برقم (٧٤٥٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٤٩ .

أنه ليس لك يا إبليس سلطان على عبادي الذين هديتهم حين عبدوني وأخلصوا العبادة لي ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أي: الذين اتبعوك بسبب شركهم وفسادهم ومعاصيهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ستكون جهنم لك ومن اتبعك منهم.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي: لجهنم سبعة أبواب أي: أطباق لكل طبقة منها باب يدخل معه أهل النار كل حسب عمله وهو معنى قوله ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن إبليس يزين للناس المعاصي واتباع الشهوات ويدخل على المسلم من باب الهوى والغضب، أما الهوى فقد مقته الله في آيات كثيرة من كتابه الكريم منها قوله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1]. وقوله ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]. وقوله عز ذكره ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[3].

---

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة ص من الآية ٢٦ .

(٣) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

وأما الغضب فهو باب للشيطان يدخل معه إلى المرء حين يشتد عليه مما يجعله يستبد به، فقد يسب نفسه وغيره؛ بسبب غضبه، وقد يطلق زوجه بسببه، وقد يفعل منكرات كثيرة ولهذا قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: (**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**)[2].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ هذا بيان من الله أن المتقين الذين آمنوا بالله واتقوه في جنات وعيون، أي: يقيمون في بساتين وأنهار ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ أي: ادخلوا هذه الجنان وأنتم سالمون من الآفات والأدران والأمراض آمنون من العذاب ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ لما كان البشر في الدنيا يتباغضون ويتحاسدون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم (٦١١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٣٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٢٢٦ .

من أجل حطام الدنيا فإن أهل الجنة على خلافهم حيث يذهب الله من صدورهم ما كان فيها من أغلال الدنيا فيجعلهم إخوانا متحابين متقابلين كما قال عز وجل ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أي: لا يصيبهم في الجنة تعب ولا إرهاق ولا يخرجون منها، بل هم فيها مخلدون في نعيم لا يزول ولا يحول.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن صفة أهل الجنة وسلوكهم يختلف عن صفة وسلوك أهل الدنيا. تقرير أن الضغائن والبغضاء من طبائع البشر وأن هذه الطبائع تزول بدخولهم الجنة وفي حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة**)[١].

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذا أمر من الله لنبيه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، برقم (٦٥٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٤٠٣ .

ورسوله محمد ﷺ أن يبلغ عباده أنه هو الغفور الرحيم لمن آمن به وتاب إليه وتجرد من ذنوبه وأحسن في قوله وفعله كما قال عز وجل ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]. ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله أن يبلغ أمته أن عذاب الله عذاب شديد لمن عصاه وانتهك محارمه وأعرض عن أمره.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن العبد يجب أن يكون راجيا لله طامعا في رحمته وأن يكون بنفس القدر خائفا من عقابه. وفي صحيح مسلم :من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته**)[2].

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٥٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٧١ .

بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله أن يخبر قومه عن ضيف إبراهيم، والمراد بهم الملائكة ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ أي: دخلوا بيته ﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي: سلموا عليه فرد عليهم و﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: فزعون خائفون، ولأمر مَّا حصل هذا الوجل وهو أنهم لما دخلوا عليه احتفى بهم فقدم لهم طعاما كعادة المضيف فيما يفعله نحو الضيف، فلما رآهم لا يأكلون كعادة الضيوف أبدى فزعه وخوفه منهم فأجابوه بقولهم ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بولدٍ سيكون له علم كثير والمراد به إسحاق كما سبق ذكره في سورة هود فأجابهم بقوله ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: بعد أن أصابني الكبر أنا وزوجتي ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ استفهم منهم وتعجب من هذه البشارة فقالوا له ﴿بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ أي: بشرناك بما كتبه الله لك من الولد فلا تكن من الآيسين منه بسبب ما تظن أنه يحول بينه وبينك كبرك فالله لا يعجزه شيء فرد عليهم عليه السلام

بقوله ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي: لا أحد يقنط من رحمته وفضله على عباده في كبرهم أو صغرهم وفي كل أحوالهم إلا الضالون الذين حادوا عما جاءتهم به رسل الله فأضلهم الشيطان وهو بهذا نفى أن يكون قنط من رحمة ربه، ولكنه إنما تعجب من مجيء الولد له بعد أن كبرت سنه وضعفت قواه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مشروعية إكرام الضيف والاحتفاء به، وفيه حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**) الحديث[١]. وفي حديث خويلد بن عمرو الخزاعي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**) قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: (**يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه**)[٢].

تقرير تحريم القنوط واليأس من رحمة الله، ونظيره قوله عزوجل ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]. وقوله عز ذكره

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، برقم (٦١٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٦٠ .

(٣) سورة يوسف من الآية ٨٧ .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١).

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ لما تبيَّن لإبراهيم عليه السلام أن ضيوفه ليسوا ضيوفا عاديين؛ ذلك أنهم بشروه بالولد ولا يبشر بذلك إلا قوم لهم صفة أخرى غير صفة البشر؛ فلهذا سألهم عن الأمر الجلل الذي جاؤوا من أجله فأجابوه بقولهم ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ وفي الكلام إخفاء أي: إنا أرسلنا إلى قوم ضالين؛ لكي نهلكهم بأمر ربنا وهم قوم لوط، ثم استثنوا ممن أمروا بإهلاكهم آل لوط كما قال تعالى عنهم ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ والمراد بهم من اتبعه على دينه ولم يفعل الفعلة الشنعاء التي كان يفعلها قومه وهي إتيان الفاحشة بين الرجال، ثم استثنوا ممن كتبت له النجاة امرأة لوط لكونها كافرة مثل قومها فقدر الله أنها من الغابرين أي: المهلكين بالعذاب وهو معنى قوله تعالى ﴿ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

وصف قوم لوط بالمجرمين، وهذا يقتضي أن من يفعل فعلهم يعد مجرما تجب معاقبته بأشد العقوبة. تقرير أن العلاقة الأساسية بين المرء وأهله -كما ذكر- علاقة دين وليست علاقة قربى فقط كما قال عزوجل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[١]. وقوله في حق ولد نوح ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[٢].

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: لما أتى الملائكة لوطا استنكرهم وكانوا حسان الوجوه ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ أي: لا أعرفكم وكانت خشيته الخوف عليهم من قومه فأجابوه قائلين ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾أي: أتينا بالعذاب الذي يشك

---

(١) سورة التوبة من الآية ٧١ .

(٢) سورة هود من الآية ٤٦ .

قومك أنه يحل بهم ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي: جئنا معنا بالعذاب ونحن صادقون فيما نقول.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ الآية.. هذا بيان من الله أن الملائكة أمروا لوطا أن يسري بأهله في جزء من الليل، وأن يكون خلفهم حتى لا يتأخر أحد منهم عن الذهاب كما أمروه ألا يلتفت منهم أحد، وأن يسيروا حيثما أمروا بالذهاب إليه، وهو بلاد الشام ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: أوحينا إلى لوط أن العذاب واقع لا محالة بقومه في الصباح كما قال تعالى ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾(١). وقوله عز ذكره ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المضيف قد ينكر الضيف في نفسه حتى يتبين له أمره. تقرير أن السير في الليل يجوز لمن أراده. تقرير أن رئيس القوم في الغزو وفي غيره يكون وراء قومه لتفقد من يكون منهم قد عجز أو انقطع وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى

---

(١) سورة هود من الآية ٨١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٥ .

فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أن قوم لوط لما علموا بأن عنده رجالاً حسان الوجوه استبشروا بهم طمعا منهم (لعنهم الله) في فعل الفاحشة بهم ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ أي: إن هؤلاء ضيوفي فلا تخجلوني من تصرفكم وسلوككم ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ ولا تلزموني العار بالاعتداء على ضيوفي الكرام فردوا عليه ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: قد سبق أن نهيناك أن تأتي إلى قريتنا برجال غرباء؛ لأن من يأتينا سوف نفعل فيه ما نريد فحاورهم عليه السلام قائلا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ أي: إن لديكم من أزواجكم ما يغنيكم عن هذا الفعل الشنيع والمراد من قوله عليه السلام بناتي نساؤهم، فهم بمثابة بناته لأنه النبي الذي أرسل إليهم وقد يكون المراد أنه عرض عليهم الزواج الشرعي من بناته حتى يكفوا عن طلبهم الشنيع، وقد تقدم القول عن هذا.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الدفاع عن الضيف حين التعرض له بأذى؛ لأن ذلك من معاني الكرامة، وقد كانت عادة العرب في جاهليتهم وإسلامهم حماية ضيفهم إذا دخل عليهم.

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ هذا قسم من الله بمدة حياة رسول الله ﷺ قال القاضي عياض: أجمع أهل التفسير أن في هذا قسماً من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ ومعناه (وبقائك يا محمد) وقيل: (وحياتك) وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف[1]. ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: إنهم في ضلالهم وفسادهم يلعبون ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ أي: أخذهم العذاب عند شروق الشمس حيث قلب الله بلادهم عاليها سافلها كما قال عز وجل ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي: أمطرهم الله بحجارة من سجيل أي: من طين مطبوخ بالنار حتى صار شديدا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير خصوصية وشرف رسول الله محمد ﷺ حيث أقسم الله به وقال ابن العربي: وما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء ؟ فكل ما يعطي الله للوط من فضل ويؤتيه من شرف فلمحمد ضعفاه؛ لأنه أكرم على الله منه، أولا تراه قد أعطى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠ ص٣٩ .

لإبراهيم الخلة، ولموسى التكليم، وأعطى ذلك لمحمد[١] ؟

قلت: وقسم الله بمحمد ﷺ قسم خاص به، ولا يجوز لأحد أن يقسم به أو بغيره من الأنبياء أو المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وليس لهم أن يقسموا إلا به، فإن أقسموا بأحد من خلقه أثموا، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: **(فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت)**[٢].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: إن فيما حل بقوم لوط من العذاب عِبَرٌ ومواعظ لمن يتأمل ذلك ويتفرسه بعقل وبصيرة ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ في هذا يبيِّن الله لنبيه أن قرى قوم لوط تقع على طريق الشام الذي يمر به قومك لعلهم يعتبرون ويعلمون أن ما أصاب الظالمين حري أن يصيبهم إذا استمروا في تكذيبك، وقد تحولت هذه

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص١١٣٠ .

(٢) أحكام القرآن ج٣ ص١١٣٠، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأوِّلاً أو جاهلاً، برقم (٦١٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٣٢.

القرى إلى بحيرة كريهة تعرف الآن (ببحيرة لوط). ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: توكيد وتقرير بأن ما أصاب قوم لوط من العذاب يجب أن يكون عبرة للمؤمنين.

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، والمراد بالأيكة مجموعة الشجر[١]، فقد كان لهؤلاء أشجار ونبات، وقد ظلموا وطغوا في تعاملهم مع بعضهم فنقصوا المكاييل والموازين، فإن اكتالوا لأنفسهم استوفوا بالكمال، وإن كالوا أو وزنوا لغيرهم نقصوهم، فأخذهم الله بالصيحة وعذاب يوم الظلة قال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: طريق بيّن قريب من قرى قوم لوط (سدوم) كما قال تعالى ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التفكر فيما يصيب الظالمين من العذاب كما قال عزوجل ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣]. وقوله عز ذكره ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٦٤ .

(٢) سورة هود من الآية ٨٩ .

(٣) سورة محمد الآية ٢٤ .

عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أصحاب الحجر: هم ثمود قوم نبي الله صالح، وديارهم معروفة في وادي الحجر المعروف، ولا تزال آثارها وأطلالها باقية إلى اليوم، وقد وصفهم الله بأنهم كذبوا المرسلين ولم يرسل إليهم إلا نبي الله صالح، ولكنهم لما كذبوه كانوا بمثابة من كذب الرسل؛ لأن من كذب واحدا من رسل الله فقد كذبهم كلهم؛ لأن رسالتهم واحدة هي توحيد الله بالعبادة. ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ المراد بذلك الناقة التي أخرجها الله لهم من صخرة، فكانت لهم آية جعل الله لها الماء يوما ولهم يوم، واليوم الذي تشرب فيه الماء تسقيهم لبنا يشربون منه جميعا لكثرته، وقد قابلوا ذلك بالكفر فعقروا الناقة وأعرضوا عما جاءهم به نبيهم صالح من الدعوة إلى الله.

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ أي: كانت بيوتهم منحوتة

---
(١) سورة الروم الآية ٩.

في الجبال آمنين فيها أي: يعتقدون أنهم سيأمنون فيها من الموت أو العذاب ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ أي: أخذوا بالعذاب وقت الصبح ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ أي: لم تغنهم ولم تنجهم من العذاب أموالهم ولا بيوتهم المحصنة في الجبال.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن أصحاب الحجر قوم صالح من المعذبين؛ بسبب طغيانهم وركونهم إلى قوتهم وتكذيبهم لنبيهم كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[١]. وقد اقتضى هذا الاعتبار بما حدث لهم، ففي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجَنَّا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء[٢]. وفي حديثه أيضا أن رسول الله ﷺ قال في أصحاب الحجر: **(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم حذراً أن يصيبكم ما أصابهم)**[٣].

---

(١) سورة فصلت الآية ١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ ، برقم (٣٣٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٣٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ ، برقم (٣٣٨٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٣٦ .

ويترتب على هذا: عدم جواز الصلاة في تلك الأرض وعدم التيمم من ترابها، وعدم جواز الانتفاع بما فيها من ماء أو غيره كالشرب أو الوضوء، وعدم دخولها، إلا أن يكون ذلك للاعتبار والوجل والخوف.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ المراد أن الله ما خلق السموات والأرض عبثا فحاشاه ذلك كما قال عزوجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1]. بل خلقهما ليعبده من يخلقه فيهما، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته كما قال تعالى ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[2].

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ أي: واقعة في يوم لا ريب فيه. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يتجاوز عن المشركين ويعرض عنهم، وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: الخالق لكل شيء، العليم بما خلق الحكيم فيما دبر

---

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة النجم من الآية ٣١ .

وأمر كما قال عز وجل ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١].

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله خلق السموات والأرض ليعبده من فيهما كما قال عز وجل ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾[٢]. التقرير بالصفح عن المشركين، وكان هذا قبل نزول قوله تعالى ﴿ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾[٣].

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٨) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ وقد اختلف في السبع المثاني فقيل: هي الفاتحة أم الكتاب[٤] ففيها سبع آيات هي السبع المثاني وقيل: هي السور الطوال[٥] البقرة وآل عمران

---

(١) سورة يس الآية ٨٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

(٣) سورة النساء من الآية ٩١ .

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢١٠، وتفسير ابن وهب ج١ ص٤٢٦ .

(٥) تفسير الضحاك ج١ ص٥١٠ .

والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً أو يونس في قول آخر دون الأنفال والتوبة ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ أي: وكما آتيناك الفاتحة آتيناك القرآن العظيم وهو أعز وأعظم ما آتاك الله.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ هذا نهي لرسول الله ﷺ عن أن يمدّ عينيه إلى غير القرآن، فقد أغناه الله به عن متع الحياة الدنيا وزخارفها التي يتمتع بها الأغنياء من المشركين واليهود. وقيل: إنه وافى سبع قوافل لليهود، تحمل الأموال الكثيرة فقال نفر من المسلمين: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾[1] أي: هذه المثاني خير لكم من قوافل الدنيا، فلا تمُدُّنَّ أعينكم إليها قوله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تحزن على ما يتمتع به المشركون من متع الدنيا فلك وأمتك الآخرة ومتعهم زائلة ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ارفق وتواضع للذين آمنوا بك واستجابوا لدعوتك.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله أعطى رسوله محمدا ﷺ وأمته السبع المثاني وهي سورة الفاتحة كما أعطاه الله القرآن العظيم بما فيه من الأحكام. ومن أحكام الآيتين: التوجيه له عليه الصلاة والسلام ألا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٥٩ .

يتطلع إلى متع الحياة الدنيا وزخارفها، والمراد بهذا توجيه أمته لأنه عليه الصلاة والسلام لم يتطلع أبداً إلى الدنيا، بل كان يعاني أوقاتا من الجوع. ومنها: التوجيه له بالرفق بالمؤمنين والرأفة بهم وتقريبهم إليه؛ لأنهم خاصته وجنده كما قال عز وجل ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[١].

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: قل يا محمد لقومك إني أرسلت؛ لأنذركم عذاب الله إذا لم تستجيبوا لنداءه ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أي: أنذركم بعذاب كالذي أنزل على الذين اقتسموا أي: تحالفوا على معصية الأنبياء وتكذيبهم كما فعل قوم صالح فيما ذكره الله عز وجل عنهم بقوله ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٩ .

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ المراد بهم: أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض ما في كتبهم وكفروا بالبعض الآخر فجعلوها أجزاء. وقيل: إن المراد نفر من قريش أرادوا صد دعوة محمد ﷺ فاجتمعوا إلى رئيسهم الوليد بن المغيرة فطلب أن يسمع رأيهم فيه فقالوا: نقول: كاهن، قال: ما هو بكاهن قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: فنقول شاعر فقال: ما هو بشاعر، قالوا: فنقول ساحر قال: ما هو بساحر قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة فما أنتم بقائلين من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل وأن أقرب القول أن تقولوا إنما هو ساحر فتفرقوا على أن يقولوا هذا القول فأنزل الله قوله ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[1]. وقد سبق الكلام عن هذا.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي: لنسألن أولئك المشركين ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: عن قولهم هذا، وفيه تهديد ووعيد لهم.

أحكام ومعاني الآيات:

تحريم الاختلاف حول كتاب الله ووجوب تحكيمه كله محكمه ومتشابهه خلافا لأهل الكتاب الذين قال الله فيهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٣٩ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٨٥ .

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يجهر بالرسالة التي أرسل بها كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]. ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي: بلغ الرسالة جاهرا بها، ولا تهتم بما يقوله المشركون عنك من اللمز والهزو والطعن، فالله رقيب عليك وحافظ لك من أذاهم وشرورهم وهو معنى قوله ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ قيل: إن الذين كانوا يستهزئون به عليه الصلاة والسلام خمسة من رؤساء المشركين وهم الوليد بن المغيرة وكان زعيمهم، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلاطلة، والأسود بن عبد يغوث، وقد أهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر فنالوا جزاءهم في الدنيا ولهم في الآخرة ما يستحقونه وقيل: إن الذي قتلهم جبريل في صور مختلفة[2].

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ ﴾ أي: صفة للمستهزئين

---

(١) سورة المائدة من الآية ٦٧ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص٧٢-٧٣، وتفسير البغوي ص٧٠٣ .

إضافة إلى عبادتهم للأوثان والأصنام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف يرون عاقبة استهزائهم وشركهم، وهذا تهديد ووعيد لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الجهر بالحق، ويترتب على هذا حكمان: حكم مناطه الفرد وحكم مناطه الجماعة، أما ما مناطه الفرد: فإن الدفاع عن الحق واجب عيني والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ: (**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)[1]. وهذا الواجب يترتب حسب استطاعة المرء والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع بلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)[2]. أما ما مناطه مسؤولية الجماعة عن الدفاع عن الحق فالأصل فيه: قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3]. وقوله عز ذكره ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية[4].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٤٤)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٩، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم (٢١٧٤)، ج٤ ص٤٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، برقم (٤٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٦٢٤.

(٣) سورة آل عمران من الآية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران من الآية ١٠٤.

وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ المراد أن قلبك يضيق ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بما يكذبونك ويستهزئون بك وبمن آمن معك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: قم للصلاة وسبح الله واذكره واحمده وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: (**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟**) فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: (**يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة**)[١]. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: كن من مكثري السجود ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ أي: اثبت على عبادة الله وطاعته حتى يأتيك الموت، وهذا أمر لنبيه ﷺ والمراد به أمته.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الصبر في الدعوة إلى الله، ومشروعية الصلاة إذا فزع المرء من شيء، وفضل التسبيح. ومن الأحكام: وجوب الثبات على طاعة الله إلى حين الأجل، فإن الثبات على الطاعة من حسن الختام كما قال رسول الله ﷺ: (**إنما الأعمال بالخواتيم**)[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات والذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٧٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، برقم (٦٦٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٠٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل

مكية وآياتها مائة وثمان وعشرون آية

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝﴾.

بيان الآيتين

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أتى بمعنى يأتي؛ لأن ما يخبر به الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء، وقد كان المشركون يستعجلون قيام الساعة استهزاء وتكذيبا بما كان رسول الله ﷺ يقوله عن قيامها، وعن الحساب والجزاء، ولما نزل قوله تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[1] قالوا: إن هذا يزعم قرب قيام القيامة فانتظروا حتى نرى ماذا سيكون من قوله فلما تأخر قيامها قالوا: ما رأينا شيئا مما يقوله محمد فنزل قوله تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[2] فانتظروا قربها فلما لم تقم قالوا: يا محمد لم نر شيئا مما تخوفنا به فنزل قول الله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ ووثب رسول الله ﷺ ورفع

---

(١) سورة القمر من الآية ١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١ .

الناس رؤوسهم فنزل قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا[(١)].

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ هذا بيان من الله ردا على المكذبين بقيام الساعة وقولهم: إنه مامن أحد يقدر على إحياء الموتى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهذا نفي أن يكون له شريك أو ند أو مثيل أو نظير فتنزه وتقدس عن الشرك وأهله.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي: ينزل الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: بأمره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المراد بهم الذين اختارهم للنبوة والرسالة كما قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[(٢)]. ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ أي: أراد منهم إنذار من أرسلوا إليهم؛ ليبلغوهم أنه لا إلَه إلا الله، وأنه الواحد الأحد، وأن عليهم أن يتقوه حتى لا يحيق بهم عقابه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الساعة آتية لا محالة وأن قيامها لا يكون إلا بأمر الله الذي قدَّر أجلها وأنه القادر وحده على إحياء الناس من قبورهم، وأن الرسل أمروا أن ينذروا من أرسلوا إليهم بالإقرار بتوحيد الألوهية أي: أنه لا إلَه إلا الله وحده، وأن كل عبادة لغيره باطلة ومردودة على أصحابها.

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٤٢٢، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٦١ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢٤ .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه خلق السموات بما فيها من الكواكب السيارة وسائر المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو، كما خلق الأرض بما فيها من الجبال والبحار والأنهار والإنس والجن وسائر المخلوقات في البر والبحر التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو، وما خلق هذه السموات في علوها والأرض في سفلها إلا بالحق وهو حكمته الإلَهية أن يخلق المخلوقات فيأتمروا بما أمر به وينتهوا عما نهى عنه، وعلى هذا يترتب جزاؤهم كل حسب عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه عن الأوثان والأصنام ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ أي: خلقه وقدره من قطرة مهينة من المني ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾ هذا بيان عن طغيان الإنسان وجحوده فهو يعلم أن الله خلقه من علقة ثم من مضغة ثم يتدرج في النشوء حتى يكون سويا في تشكيله وتصويره. وقد روي في مناسبة الآية أن أبي بن خلف الجمحي جاء إلى رسول الله ﷺ ومعه عظم رميم، فقال: أترى يامحمد يحيي الله هذا بعد ما قد رمّ[1]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨٢، وتفسير البغوي ص١٠٨٥ .

الحكم بأن الله لم يخلق الكون العلوي والسفلي عبثا، بل خلقه بالحق وهو الحكمة الإلَهية المرادة من الخلق، وهي عبادته وحده. وتقرير أن خلق الإنسان يتم عن طريق التمازج بين ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[1]. ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾[2]. ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[3]. ورغم ضعف الإنسان وعجزه وما يعرفه بأن الله هو الذي خلقه؛ إلا أنه يكابر ويعاند ويخاصم كما قال عز وجل عنه ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[4].

﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ ﴾ لمَّا ذكر الله عز وجل ما مَنَّ به على خلقه من تكوينهم وتصويرهم في أحسن الصور ذكَّرهم بأنه خلق

---

(١) سورة الطارق الآية ٥ .

(٢) سورة الطارق الآية ٦ .

(٣) سورة الطارق الآية ٧ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٥٤ .

لهم الأنعام من الإبل والبقر والغنم وغيرها من سائر الأنعام، لكي ينتفعوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ودهونها ولحومها وهو معنى قوله ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي: حين تغدون وتسرحون بها إلى المراعي.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ المراد بها الأحمال من المتاع والطعام التي لا تقدرون على حملها ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ المراد بالبلد مكة، وذلك في حجكم أو عمرتكم أو غزواتكم وأسفاركم كما قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾[1]. قوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: بما قيَّضه وسخَّره لكم من الأنعام التي ماكنتم تقدرون عليها لولا تسخير الله إياها لكم كما قال عز وجل ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[2]. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[3].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن خلق الله للأنعام لمنفعة الإنسان يقتضي منه استخدامها

---

(١) سورة غافر من الآية ٨٠.

(٢) سورة يس الآية ٧٢.

(٣) سورة يس الآية ٧٣.

فيما خلقت من أجله، فالإبل للركوب وحمل الأثقال، والبقر للحرث، والغنم للتنسيل والذبح وهكذا. كما يقتضي ذلك الرفق بالأنعام وعدم تحميلها ما لا تطيق والرفق بها في السير أو عند الحرث أو عند الذبح كما قال عليه الصلاة والسلام: (**إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**)(١). وفي هذا توكيد لعظمة الإسلام ودعوته للرفق ليس بالإنسان فحسب بل بالحيوان وما في حكمه.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ هذا صنف آخر من الأنعام التي سخرها الله للإنسان ﴿ وَزِينَةً ﴾ أي: وإضافة إلى منافعها جعلها له زينة يتزين ويتجمل بها في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: (**الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة**)(٢). ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لما ذكر عز وجل هذه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (١٩٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٣٦٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، برقم (٢٣٠٥)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٧٧٣، والجزء الأخير أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، برقم (٢٨٤٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٦٤ .

الأصناف من الحيوانات قال: ويخلق من الدواب والأنعام ونحوها مالا تعلمونه كما هو الحال في الغابات والبحار.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير جواز تأجير الدواب الرواحل، كالإبل والبغال والخيل، ولا خلاف في تحريم أكل لحم الحمر الأهلية والبغال، واختلف في أكل لحوم الخيل، ففي مذهب الإمام مالك: لا يجوز أكلها؛ لأن الله جعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للأكل بدليل الآية، وبأن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير[1].

وعند جمهور الفقهاء: يباح أكلها؛ لحديث جابر قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في أكل لحوم الخيل[2]. ومن الأحكام في الآية: أنه لا زكاة في الخيل؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**)[3].

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم الخيل، برقم (٤٣٤٣)، سنن النسائي، ج٧ ص٢٣٠، وابن ماجة في كتاب الذبائح، باب لحوم البغال، برقم (٣١٩٨)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٦٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل، برقم (١٩٤١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٣٤٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه، برقم (٩٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٧٠٧ .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾.

بيان الآيات:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ لما بيَّن تعالى ما خلقه من الأنعام لمنافع خلقه بيَّن الطرق التي يسلكونها إليه في حياتهم وجعلها على نوعين: الأول: الطريق الموصل إليه وهو طريق الحق والإيمان، الثاني: زائغ عن الحق ويشمل ذلك الهوى والآراء المختلفة في الدين وهو المقصود بقوله ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أن الهداية بيد الله عز وجل، فلو أراد لهدى جميع الناس فلم يكن فيهم ضال، ولكن حكمته اقتضت أن يكون فيهم البر والفاجر والمهتدي والضال كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1]. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2].

---

(١) سورة هود الآية ١١٨ .

(٢) سورة هود الآية ١١٩ .

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم﴾ لما ذكر تعالى ما امتن به على خلقه من الأنعام لمنافعهم بيّن أنه ينزل من السماء ماءً لهم، ثم بيّن منافع هذا الماء بقوله عز وجل ﴿مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾ أي: تشربون منه وينبت لكم شجرا فيه ﴿تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم، إذ إنه بدون الماء لا يمكن للخلق أن يعيشوا وبدون الشجر لا يمكن للأنعام أن تحيا. ولم تقتصر منافع الماء على الشرب فحسب بل بيّن عز وجل أن منافعه غير محدودة فقال ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ أي: إنه بدون الماء لا يستطيع الخلق الحصول على هذه المنافع لغذائهم وحياتهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن في هذا الماء دليلاً وبرهاناً وحجة على أن الذي ينزله هو الإلَه الواحد القادر الذي لا يقدر عليه أحد سواه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ السبيل سبيلان: سبيل إلى الله وهو سبيل الحق والإيمان وهو السبيل الموصل إلى الله. وسبيل مائل عن الحق وهو السبيل المبعد عن الله. تقرير أن الله أنزل الماء من السماء لمنافع خلقه في غذائهم وشرابهم وطعام أنعامهم، وفي هذا آية عظيمة للذين يتفكرون في آيات الله وعظمته.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ لما بيَّن عز وجل في الآية السابقة ما أنعم به على خلقه من نعمة الماء، بيَّن ما أنعم به عليهم من تسخير الليل لراحتهم وسكونهم وهدوء نفوسهم وتسخير النهار لأعمالهم ومعاشهم كما قال عز ذكره ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1]. ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ وكما سخر الليل والنهار سخر الشمس والقمر والنجوم لمنافع خلقه، فكل من هذه الكواكب السيارة آية؛ ولها حكمة عظيمة فبدون الشمس لا يستطيع الخلق أن يحيوا

---

(١) سورة القصص الآية ٧٣ .

حياة طبيعية، وبدون القمر والنجوم لا يستطيعون الاهتداء في سيرهم في البر أو البحر، سواء في سيرهم في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ أي: إن في هذه الآيات دليلاً وبرهاناً للذين يعقلون بأن الذي سخرها لهم هو الله، وأنه لا يقدر أحد على تسييرها وتسخيرها سواه.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ أي: ومن آياته العظام ما ذرأه أي: سخره لخلقه في الأرض مما كان ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ من النباتات والأشجار وغيرها من المخلوقات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: إن في هذه المسخرات دلالة للذين يتذكرون نعم الله ويتعظون بما يشاهدونه من الآيات.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي: ومن نعمه وامتنانه على خلقه أن سخر لهم البحر، رغم ما فيه من الأمواج العاتية والظلمات الباهرة، وقد تنوع هذا التسخير، ففيه: الأسماك والحيتان التي يأكل الخلق منها لحما طريا وفيه: الجواهر النفيسة التي يتخذونها للزينة وهو قوله تعالى ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ ومن تسخير الله للبحر أن السفن تجري فيه لحمل الناس وأثقالهم وجهادهم وتجارتهم كما قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: وفي هذه الآيات: دلالة وعبر، لعل الخلق يشكرون الله على ما أنعم عليهم بهذه الآيات.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ المراد بها الجبال الثابتة التي تمسك الأرض أن تميل وتضطرب ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾ أي: وجعل في الأرض أنهارا لمنافع خلقه كما جعل فيها سبلا سالكة لمنافعهم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى ما تقصدونه في سفركم. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ والمراد بها معالم الطرق بالنهار للمسافرين والمجاهدين ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أما في سيرهم في الليل فجعل لهم النجوم يهتدون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله سخر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، لمنافع خلقه كما سخر لهم البحر بما فيه من الأسماك والحيتان والجواهر النفيسة. ومن الأحكام: أن لحم البحر يعد لحما بالمعنى المعروف، وينطبق عليه ما ينطبق على اللحوم من أحكام سوى أن حيوان البحر لا يحتاج إلى تذكية. ومن الأحكام: عدم زكاة اللؤلؤ والمرجان الذي يخرج من البحر؛ لأنه من حلية النساء، أما إن كان للتجارة ففيه الزكاة. ومن الأحكام في الآيات: وجوب الشكر لله تعالى ووجوب التفكر في آياته.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا

نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ لما بيَّن الله آياته العظام لمنافع خلقه قال عز ذكره في استفهام تقريري إن من يخلق هذه الآيات ويخلق الخلق ليس مثل الذي لا يستطيع أن يخلق شيئاً كما هو الحال في الأوثان والأصنام كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾[1]. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون وتعملون عقولكم في تدبر آيات الله وقدرته.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ أي: لو عددتم نعم الله عليكم في أنفسكم من السمع والبصر والحركة والقوة وفيما خلق لكم من الآيات لما استطعتم حصرها وتعدادها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يغفر لكم تقصيركم في شكره على نعمه إذا تبتم إليه، رحيم بكم إذا شكرتموه على ما أنعم به عليكم.

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ أي: يعلم سرائركم وظواهركم، لا تخفى عليه منكم خافية كما قال عز وجل ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾(١). ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ المراد أن الذين يدعون الأصنام لا يعقلون؛ لأنهم يدعون من لا يقدر على خلق شيء ﴿ وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ أي: هم مخلوقون من الله ﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ ﴾ أي: إن الأصنام أموات لا حياة فيهم فكيف يكون لعاقل أن يعبدهم وهم على هذه الصفة ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ أي: لا يدرون متى يبعث الله الخلائق، فمن كانت هذه حالته فكيف يرجى من دون الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعدم المماثلة أو المشابهة بين من يستطيع أن يخلق ومن لا يستطيع. تقرير أن من أنعم الله عليه إذا لم يستطع الشكر لله على كل نعمه يجب عليه أن يشكره على ما يستطيع، أما الشكر فواجب لا محالة. ومن الأحكام: الحكم بأن عبادة الأوثان والأصنام باطلة وأن الوحدانية لله الواحد الأحد.

﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ

(١) سورة التوبة الآية ٧٨ .

وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

لما بيَّن عز وجل أن المخلوق لا يخلق شيئا وأن الخالق هو الله وحده بيَّن عز وجل أنه هو الإلَه الواحد لا إلَه غيره كما قال عز ذكره ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ثم بيَّن سلوك المنكرين البعث، وأن قلوبهم لا تقبل وعظا ولا إرشادا فقال ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: مستنكفون عن قبول الحق جاحدون له لما أصاب نفوسهم من الكبر كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(١).

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ ﴾ أي: حقا أن الله يعلم ما يسرونه من القول والعمل كما يعلم ما يعلنونه منه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ أي: يمقت ويبغض الذين يتكبرون عن عبادته والتفكر في آياته ومخلوقاته كما يبغض الذين يتكبرون على عباده.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بتوحيد الله وأنه الواحد الأحد لا إلَه غيره ولا معبود بحق

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٥ .

سواه. الحكم بتحريم الكبر؛ لأنه أصل الذنوب فما طرد إبليس من الجنة إلا لتكبره عن السجود لآدم وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بُولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**)[1]. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر[2].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

بيان الأحكام

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: إذا سئل هؤلاء المنكرون للبعث ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ما هذا إلا أباطيل وخرافات جاءت من السابقين. وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث - كما أشير إليه من قبل - فكان يقرأ على كفار قريش (كليلة ودمنة) وغيرها من الكتب فيقول هذه مثل ما يقول

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٤٧)، برقم (٢٤٩٢)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٦٥، وأحمد في مسنده ج٢ ص١٧٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان في بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣٥ .

محمد[١] فبئس ما قال هذا المشرك وما زعم.

﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: سوف يتحملون كذبهم وكفرهم يوم القيامة فيجزون عليه كاملا غير منقوص، كما سيتحملون أوزار الذين أضلوهم وكذبوا عليهم وزينوا لهم الكذب فيكون العذاب مضاعفا لهم عن وزرهم ووزر غيرهم وهو معنى قوله تعالى ﴿ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي: بئس الوزر الذي يحملونه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن من يقول قولا أو يعمل عملا غير مشروع فيزينه للناس فيضلون بسببه يكون وزره مضاعفا فيعذب بسبب ضلاله هو ويعذب بسبب إضلاله وإغوائه لغيره. ويترتب على هذا أن الذين يحلون ما حرم الله كتحليل الربا أو السماح للمعتقدات الفاسدة للانتشار بين ظهرانيهم أو التسامح في عدم إنكار المنكرات والفتاوى الكاذبة مما هو شائع في هذا الزمان، هؤلاء سوف يحملون ذنوبهم وذنوب غيرهم فيكون العذاب مضاعفاً لهم.

﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٩٥.

مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المكذبين من كفار قريش لم يكونوا وحدهم في التكذيب فقد مكر أناس قبلهم فكذبوا رسلهم وآذوهم، ومن ذلك النمرود في بابل، وفرعون في مصر ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ وفي هذا تمثيل بالبناء الذي جاءه العطب من قواعده فسقط السقف من علوه؛ لأن خراب القواعد خراب للسقف، وهذا مثل للمكذبين الأولين والآخرين أن الله يحبط كل أعمالهم فلا يقبل منهم عدلا ولا صرفا ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: حل بهم العذاب بغتة وكانوا يظنون أنهم في أمان منه.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ أي: يذلهم الله ويفضحهم بين خلقه ويقول لهم على رؤوس الأشهاد ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾ أي: أين الذين كنتم تدعونهم من دوني وتشاقون أنبيائي وتعادونهم هل ينفعكم شركاؤكم اليوم مما تلاقونه من العذاب المهين؟ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنَّ

ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي: الذل والمهانة ﴿ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: سيكون العذاب لكم أيها الكافرون المكذبون جزاء ما فعلتم.

أهداف ومقاصد الآيات

تقرير أن تكذيب الرسل كان قديما قبل رسالة محمد ﷺ وقد بيَّن الله أن أعمال هؤلاء المكذبين ستكون هباء منثوراً وسوف يذلهم الله ويخزيهم على رؤوس الخلائق ويسألهم سؤال إنكار وتعجيز لهم أن يأتوا بالشركاء الذين كانوا يدعونهم من دون الله.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ هذا بيان من الله

عن حال الكفرة الذين ظلموا أنفسهم عند احتضارهم وقيام الملائكة بنزع أرواحهم ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: يستسلمون عند مجيء الملائكة إليهم ويقولون ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ أي: ما عملنا سيئة، مَثَلُهم في ذلك مَثَلُ الذين يحلفون يوم القيامة أنهم لم يعملوا سوءاً كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1]. ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2]. قوله ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يقول لهم الملائكة: بلى، كنتم تعملون السوء والله يعلم عملكم فأنتم كاذبون في ادعائكم الإيمان ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: ادخلوا جهنم من أبوابها، فبئس مقامكم فيها.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ لما ذكر الله حال المكذبين الذين قالوا عن القرآن ما هذا إلا أساطير الأولين، ذكر حال المؤمنين الذين لما سئلوا عما أنزل إليهم ربهم قالوا أنزل خيرا وهو القرآن فقال الله عز ذكره ﴿قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: إن الجنة لمن أحسنوا في الدنيا باتباعهم أحكام الله

---

(١) سورة المجادلة الآية ١٨ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١٩ .

﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي: وثواب الآخرة وجنتها أعظم وأجل من دار الدنيا ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ونعم وحسن دار الآخرة للمتقين ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ هذا وصف لدار المتقين وهي البساتين التي تجري الأنهار من تحتها، ينعمون ويتلذذون فيها ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ كما قال تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: هذا هو ما يجزي الله به عباده المتقين لقاء إيمانهم وتقواهم.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ لما ذكر الله في الآية السابقة حال الظالمين عند الاحتضار وما يلاقونه من العذاب ذكر حال المؤمنين الذين تتوفاهم الملائكة وهم ثابتون على إيمانهم ويقينهم في ثواب الله، فتطيب نفوسهم بما يلاقونه من الملائكة عند قبض أرواحهم ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: تسلم الملائكة عليهم، وتبشرهم برحمة ربهم لهم، وتقول لهم إن لكم الجنة؛ جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا.

تقرير سوء عاقبة الظالمين والمكذبين عند احتضارهم وما يلاقونه من العذاب. تقرير حسن خاتمة المؤمنين عند احتضارهم حين تسلم

(١) سورة الزخرف من الآية ٧١.

الملائكة عليهم وتبشرهم برحمة ربهم وجناته. تقرير أن القرآن خير إذ إنه جمع خير الدنيا والآخرة.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الكلام راجع إلى الكفار والمراد هو توعد المشركين فهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لتقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ ﴾ أي: تقوم الساعة فيلاقون العذاب في الحالين ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ أي: إن أسلافهم من الأمم الذين كذبوا رسلهم وآذوهم أهلكهم الله بالعذاب ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: إن الله لما أهلكهم كان قد أنذرهم عن طريق رسله فكذبوهم فقامت عليهم الحجة فما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: إن الذي أصابهم هو سبب كفرهم وتكذيبهم واستكبارهم وطغيانهم ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: أحاط بهم العقاب لقاء استهزائهم بآيات الله ورسوله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الظلمة لا ينتظرون إلا أن يحيق بهم العذاب في الدنيا جزاء إجرامهم أو ينتظرون قيام الساعة فيلاقون أشد العذاب وهذا أو ذاك واقع بهم إن لم يتوبوا من إجرامهم. ومن الأحكام: أن ما يصيب الظلمة من سوء هو بسبب كفرهم واستكبارهم وتكذيبهم بالحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن مقولة المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وحرموا ما أحله بأنهم ما كانوا ليفعلوا ما فعلوه إلا لأن الله لم ينكر عليهم ذلك، ولولا أنه قد رضي بما فعلوا لما تركهم على هواهم، وهم بهذا يحتجون بالقدر فرد

الله عليهم بأن هذا القول هو ما كان يقوله أسلافهم من الكافرين كما قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ ثم قال عز وجل مفندا ادعاءهم ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ والمراد أن الله أنكر ذلك عليهم بواسطة الرسل الذين أرسلهم إليهم يبلغون رسالاته ويبينون لهم أحكامه وشرعه، فلا حجة ولا عذر لهم فيما يقولون.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ هذا بيان من الله أنه بعث في كل أمة من الأمم التي وجدت على الأرض رسولا منذ نوح إلى أن ختمت النبوة بالرسالة التي أنزلت على محمد ﷺ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: اعبدوه وحده واتركوا عبادة ما سواه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ أي: اجتنبوا عبادة كل وثن أو صنم أو شيطان أو غير ذلك ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ المراد أن من الأمم التي أرسل الله لهم الرسل من هداه الله فاتبع ما أمره به وانتهى عما نهاه عنه فحقت له الهداية ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ أي: منهم من اتبع هواه فلم يأتمر بما أمره الله به ولم ينته عما نهاه عنه فحقت عليه الضلالة؛ بسبب سوء نفسه وهواه ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: اذهبوا يمينا وشمالا وتفكروا واعتبروا بما حدث للمكذبين لرسلهم من الأمم البائدة كقوم هود وصالح ولوط، وكيف كانت عاقبتهم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ المراد إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ أي: أن من أضله الله بسبب ذنوبه وكفره فإنه لا يهديه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: لا ناصر ولا معين لهؤلاء الذين ضلوا في أنفسهم فأضلهم الله.

إبطال حجة من يرتكب المعاصي ويتذرع بالقدر؛ ذلك أن الله ما أرسل رسله إلا ليبلغوا رسالته ولينذروا قومهم بأن من أحسن فله الحسنى ومن أساء فعليه وزر إساءته، ولا يعاقب الله أحدا إلا بعد أن تقوم الحجة عليه. تقرير أن الله بعث في كل أمة من الأمم رسولا يدعوها إلى توحيد الله وطاعته واجتناب عبادة ما سواه، فاقتضى ذلك أن منهم من اتبع هدى الله فهداه، ومنهم من اتبع هواه فأضله الله كما اقتضى ذلك إبطال حجة من يرتكب المعاصي ويحتج بالقدر. وفي الحديث القدسي: (**إنما هي أعمالكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)[1].

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٢.

يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ۝ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝.

بيان الآيات:

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ في هذا بيان من الله أن المشركين أقسموا بالله واجتهدوا في الحلف وغلظوه بأن الله لا يبعث أحدا بعد موته كما قال من سبقهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]. ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وقد رد الله على إنكارهم البعث بأنه لابد أن يكون ذلك البعث وعدا وعد به، وهو لا يخلف الميعاد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر عامة الناس لا يعلمون أنهم يبعثون، وذلك لفرط جهلهم وقلة معرفتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: يبعثهم ليبين لهم يوم القيامة الذي اختلفوا فيه وهو الحق وكذبوا به ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: الذين أنكروا البعث ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في إنكارهم ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هذا بيان من الله لقدرته المطلقة في خلق الخلق وموتهم وبعثهم، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما قال عز وجل ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾[2].

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤ .

(٢) سورة القمر الآية ٥٠ .

أحكام ومسائل الآيات

تقرير حقيقة البعث، وأنه وعد على الله حقا والذين ينكرونه إنما يفعلون ذلك لفرط جهلهم. تقرير أن أمر الله يتم بكلمة واحدة وهي الأمر بكينونة الشيء فيكون.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢ ﴾.

بيان الآيتين

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عما ادخره للذين هاجروا من أجل دينهم واتباعهم لمحمد ﷺ والمراد بهم المؤمنون الذين هاجروا إلى الحبشة، ومنهم بلال وخباب وعمار وصهيب، وذلك بعد أن تعرضوا للظلم والأذى من كفار قريش. ومنهم أيضا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب وغيرهم ممن بلغوا ثمانين مابين رجل وامرأة[١] ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ﴾ قيل: المراد إسكانهم المدينة وقيل: الرزق وقيل: النصر على المشركين[٢]. ﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ ﴾ أي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٥٥١ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٧٨ .

إن أجر الآخرة المعد لهم أكبر من أجر الدنيا وأعظم منه ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو كان الظالمون يعلمون، وقد يكون المراد المؤمنين لو رأوا ثواب الآخرة وشاهدوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا، وقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم تلا عليهم الآية[1].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ هذا وصف من الله للمؤمنين الذين هاجروا بأنهم صبروا على ما نالهم من أذى المشركين وصبروا على البعد عن أوطانهم وأهلهم، كما صبروا على السفر في البحر ومخاطره، والبقاء في بلاد بعيدة ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: توكلوا على ربهم، واعتمدوا عليه في كل أحوالهم.

أحكام ومسائل الآيتين

وجوب الهجرة عندما يضطهد أو يضايق المؤمن في مكانه، ويصعب عليه ممارسة عبادته، ويشمل ذلك منعه من أداء الصلاة في جماعة أو مضايقته عند حضور هذه الصلاة. كما يشمل ذلك الاستهزاء به في لباسه أو مظهره. كما يشمل الاضطهاد منع المرأة من حجابها أو مضايقتها بسبب هذا اللباس. ومع أن الأصل أن تكون الهجرة إلى بلد

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٠٧، والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٠٧.

مسلم إلا أنها تجوز إلى بلد غير مسلم إذا كان هذا البلد لا يضطهد المسلم في ممارسة عبادته كما كان حال الحبشة عندما هاجر إليها المسلمون فرارا بدينهم من كفار قريش.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ لقد مضت سنة الله أن يرسل إلى الأمم رسلا بشرا منهم، ولكن العرب وخاصة المشركين أنكروا نبوة رسول الله محمد ﷺ وقالوا: إن الله أجل من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: اسألوا أهل الكتب السابقة هل كانت رسلهم بشرا أم ملائكة؟ فإن كانوا بشرا فلا تنكروا نبوة محمد؛ لأنه بشر مثلهم وما كان قول المشركين هذا إلا جدلا وضلالا عن الحق كما قال عز وجل ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1].

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾ أي: وأرسلنا رسلنا إلى الأمم السابقة بالبراهين والحجج والدلائل المبينة للأحكام. والزبر: جمع زبور وهي

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩٤ .

الكتب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ المراد به القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: لتبلغ الناس القرآن؛ ليعلموه ويتبعوا مافيه من أحكام ربهم فيما أمرهم به في عبادتهم ومعاملاتهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: ولعلهم يتعظون بما فيه فيهتدون فيكون في ذلك خير لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب سؤال أهل العلم عما يجهله المسلم في عبادته ومعاملته؛ لأنه يحرم على المسلم أن يعبد الله وهو جاهل بما يفعل. وجوب اتباع ما جاء في السنة التي بينها رسول الله ﷺ لأمته في قوله، وفعله، وتقريره.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في هذا تهديد للعصاة الذين يرتكبون ما حرم الله ويجاهرون بضلالهم ويدعون غيرهم إلى هذا الضلال فهل كانوا يأمنون عذاب الله أن يخسف بهم الأرض كما

خسف بقارون وغيره من الطغاة أو كانوا يأمنون أن يأخذهم الله بغتة بالرجفة أو الصيحة وهم غافلون كما قال تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾[1]. ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾[2]. قوله ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ ﴾ أي: أمنوا أن يؤخذوا وهم يتقلبون في أسفارهم ومعايشهم ﴿ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ أي: بفائتين من عقاب الله ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾ أي: حال خوفهم وهم يُتَنَقَّصُون في أموالهم وأنفسهم ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ أي: أنه لا يعجل العقوبة، بل يمهل العصاة لكي يتوبوا رأفة ورحمة بهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الأمن من مكر الله كما قال تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴾[3]. ﴿ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾[4]. ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الملك الآية ١٦ .

(٢) سورة الملك الآية ١٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٩٨ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٩٩ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن كل المخلوقات جنها وإنسها وكل ما في الوجود خاضع لعظمته وسلطانه، فدل بهذا أن كل ماله ظل من جبل أو شجر أو حجر أو نحو ذلك يميل بكرة وعشية ذات اليمين وذات الشمال سجودا لله عز وجل؛ فورق الشجر الذي يتحرك ويتمايل في الصباح والمساء يسبح ويسجد لله كما قال عز وجل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1]. ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون خاضعون لعظمته.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أي: يسجد له كل ما يدب ويمشي على الأرض من الأنعام والطيور والحشرات ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: ويسجد له الملائكة سجود طواعية وعبادة ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: يسجدون له طائعين غير متكبرين ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ أي: يخشون عقابه وعذابه ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ أي: يفعلون ما يأمرهم الله به.

أحكام ومسائل الآية:

السجود ثلاثة أنواع: سجود كتبه الله على كل المخلوقات التي في السموات والأرض سواء كانت هذه المخلوقات من الإنس أو الجن أو من المخلوقات الحية كالحيوانات أو المخلوقات الأخرى كالجمادات كما قال تعالى ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾. النوع الثاني: سجود فرضه الله في العبادات، كالسجود في الصلوات المفروضة. النوع الثالث: السجود في النوافل والسجود عند آيات السجدة في القرآن فهذان النوعان مما يثاب عليه العبد.

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٥٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ في هذا نفي لتعدد الإله، ثم

أكد هذا النفي بإثبات أن الإلَه هو إلَه واحد، هو الله لا إلَه غيره، ثم قال عز وجل ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: يجب ألاّ تخافوا إلا إيّاي؛ لأني - والقول له جل ذكره - المتصرف فيكم القادر عليكم.

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لما ذكر عز وجل أنه هو الإلَه الواحد أكَّد أن كل ما في السموات والأرض ملك له، ثم بيَّن على وجه التخصيص أن له الطاعة والانقياد والعبادة الدائمة والخالصة كما قال عز وجل ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ قوله ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ لما قرر عز وجل أنه الإلَه الواحد، وله ما في السموات والأرض، وله الدين، أوجب على الخلق أن يتقوه وحده ولا يتقوا غيره.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ لما ذكر عز وجل أنه الإلَه الواحد وأن الواجب على خلقه أن يتقوه بيَّن أنه المنعم والمتفضل عليهم، وأن ما بهم من رزق ونعمة فمنه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ أي: إذا أصابتكم مصيبة أو نزل بكم نازل من الباساء والضراء لجأتم إليه تدعونه أن يكشفه عنكم ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ﴾ أي: إذا استجاب دعاءكم وأزال عنكم البأساء ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ أي: ينسون فضله فيشركون به كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾[1]. قوله ﴿لِيَكۡفُرُواْ

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي: يجحدوا نعم الله وفضله عليهم في كشف الضر عنهم ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أي: انتظروا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سترون جزاء جحودكم، وهذا أمر تهديد ووعيد لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه ليس في الوجود إلا إلَه واحد هو الله وحده، وأنه مالك كل مافي السموات والأرض، وقد اقتضى ذلك إفراده دائما بالعبادة وأن على الخلق أن يتقوه وحده. ومن الأحكام: أن كل النعم من عند الله وأنه المنعم والمتفضل على خلقه. ومنها: أن من الخلق من يجحد نعم الله، فإذا مسته البأساء لجأ إليه يدعوه أن يكشفها، وإذا أنعم عليهم وكشف ضرهم عادوا إلى الشرك به.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ في هذا بيان من

الله تعالى عن جهالات المشركين وضلالتهم حيث يجعلون للأصنام شيئا من الأموال التي رزقهم الله؛ لكي يتقربوا بهم كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ الآية[١]. ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ أي: هذا قَسَمٌ من الله بأنهم سوف يحاسبون ويجزون عن افترائهم وكذبهم على الله أنه أمرهم بهذا.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ وهذا أيضا من ضلالات المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ أي: تنزه وتقدس عما وصفوه به ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: ما يرغبونه من الذكور وكرههم البنات ونسبتها إلى الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا).

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ في هذا بيان من الله أن المشرك إذا بُشِّرَ بمولود له أنثى، اسودَّ وجهه من الكآبة والحزن والغم ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي: يسكت عن الكلام مما أصابه من الهم فلا يستطيع الكلام ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي: يتغيب عن رؤية الناس ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ والمراد إما أن يمسك بالبنت على هوان فيراها حقيرة لا يربيها كما يجب عليه ولا يورثها بل يتمنى موتها، أو أن يقتلها وذلك بدفنها حية كما

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٣٦ .

كان عليه حال العرب في جاهليتهم ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ أي: بئس ما كانوا يصنعون في جعل البنات لله وجعل البنين لهم ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ ﴾ أي: لهؤلاء الذين يجعلون البنات لله صفة النقص ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾ أي: له الكمال المطلق والتنزه عن الولد ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المشركين شرُّ خلق الله، فهم يجعلون جزءاً من الأموال التي رزقهم الله للأصنام ويفترون على الله الكذب أنه أمرهم بهذا. تقرير أنهم شرّ خلق الله؛ لأنهم يجعلون الملائكة بنات الله وينسبونها له كما قال عز وجل ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾[1]. ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2]. ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾[3]. ومن الأحكام: التشنيع بما كان يفعله أهل الجاهلية في كرههم للبنات وتحريم ما كانوا يفعلونه من إهانتها، وتفضيل الولد عليها، وحرمانها من الإرث وتشديد التحريم في وأدها كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴾[4]. ﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴾[5]. تقرير أن لهؤلاء المشركين المثل

---

(١) سورة الصافات الآية ١٥١ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٥٢ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٥٣ .

(٤) سورة التكوير الآية ٨ .

(٥) سورة التكوير الآية ٩ .

السيء؛ أما الله فله صفة الكمال والتنزه عن الولد.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه حليم رحيم بخلقه، وأنه لو يؤاخذهم بما يفعلونه من المعاصي لأهلكهم، ولما ترك على الأرض من دابة ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ ﴾ أي: ينظرهم إلى نهاية آجالهم ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: نهاية أعمارهم ﴿ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي: إذا انتهت آجالهم المحددة فلن يستأخروا عنها ساعة من زمان ولا يتقدمون.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي: يجعل المشركون البنات لله ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ أي: ويتجرؤون على الكذب فيقولون إن البنات لله، أما البنون فلهم ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ أي: حقا، لهم النار ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ أي: سوف يتركون في النار أبد الآبدين.

أحكام وهدايات الآيات:

تقرير أن الله حليم بعباده، فلا يستعجل العذاب للظالمين منهم، بل ينظرهم إلى آجالهم المسماة، لعلهم يتوبون إليه. تقرير أنه عند حلول آجالهم لا يتقدمونها ولا يستأخرونها. وتشنيع سلوك المشركين وافترائهم الكذب أن لهم البنين وأن لله البنات.

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لما ذكر الله عز وجل أفعال المشركين وتكذيبهم لآياته، وافتراءهم الكذب عليه، بيّن لرسوله محمد ﷺ أن هؤلاء كما كذبوه، فقد كذبت أمم قبلهم رسلها، وفي هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي: أن ما فعلوه كان بسبب تزيين وإغواء الشيطان لهم ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي: هو الذي يتولاهم ويزين لهم في الدنيا أعمالهم الباطلة

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: سيكون لهم العذاب الشديد في الآخرة.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: لتبين لهم ما يجهلونه من أحكام الدين وما أحله الله لهم وما حرمه عليهم حتى تقوم عليهم الحجة، فإن آمنوا فبها ونعمت، وإلا فبئس ما يعملون ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا هدى يستنير به المؤمنون، ورحمة بهم من الجهل والضلال.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ المراد به المطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: لما أنزل عليها المطر تغيرت معالمها من الجدب والقحط إلى النبات، فأصبحت خضرة نضرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ المراد أن في هذا دلالة على عظمة الله وقدرته للذين يسمعون كلام الله ويعونه بقلوبهم وأسماعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله أرسل رسلا إلى أمم سابقة لبعثة رسول الله ﷺ فكذبوهم بعد أن زين لهم الشيطان، فهو يتولاهم في الدنيا، أما في الآخرة فيلاقون العذاب. تقرير أن الله عز وجل أنزل القرآن؛ ليبين للناس أحكام الدين، وليكون هدى ورحمة لمن آمن به وعمل به. تقرير أن الله هو الذي ينزل المطر لحياة الأرض بعد جدبها وقحطها، وفي هذا دلالة على عظمته وقدرته على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ الأنعام أربعة أنواع هي الإبل، والبقر، والضأن، والمعز. والعبرة: البرهان على عظمة الله وقدرته ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ المراد به الأنعام ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ في هذا بيان لإعجاز الله وقدرته المطلقة حيث جعل اللبن يخرج من بين الفرث والدم في عملية فرز عظيم لا تكون إلا من عظيم قادر على صنع ما لا يستطيعه أحد غيره تبارك الله أحسن الخالقين ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ أي: لذيذا طيِّبا أبيض اللون، لا يشوبه لون الدم، ولا تغير طعمه رائحة الفرث ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ المراد أنه كما امتنَّ الله عليكم بما تنتجه الأنعام من اللبن الخالص امتنَّ عليكم بأن جعل لكم من ثمرات النخيل، وهو التمر الرطب منه واليابس تجعلون منه سكرا أي: خمرا تشربونها، وهذا قبل تحريمه ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ أي: ما أحل الله من ثمرات النخيل والأعناب. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: إن في هذه الاصناف التي خلقها لمنفعة عباده برهاناً ودليلاً للذين يعقلون فيتدبرون ويتعظون.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عظيم قدرة الله وصنعه حين جعل اللبن الخالص يخرج من بين الفرث والدم في عملية فرز لا يصنعها ولا يقدر عليها إلا هو. تقرير منته على عباده حين جعل لهم من ثمر النخل والأعناب سكرا كانوا يشربونه قبل تحريمه، وجعل لهم ما أحل منه رزقا حسنا، ألا ترى فوائد التمر وما فيه من المنافع الغذائية الكبرى التي يستطيع الإنسان أن يعيش عليها وحده !! ألا ترى ما في العنب من الفوائد العظيمة التي اكتشف بعضها الطب الحديث للوقاية من الأمراض وعلاجها !!.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام الذي يضعه الله في نفس المخلوق، ألا ترى كيف أن البهائم تدرك ضررها ونفعها مع أنها لا تعقل، ألا ترى كيف تتصرف الطيور والحشرات في البحث عما ينفعها واجتناب ما ترى فيه ضررها، مع أنها لا تعقل، فكل ذلك

إلهام من الله عز وجل، وهو الأمر بالنسبة للنحل، فهي بحكم إلهام الله تتصرف في اتخاذ بيوتها، إما في كهوف الجبال، وإما في الأشجار، أو فيما يضعه لها المرء من تعريش تلجأ إليه حين تكون محلاً لملكه وتربيته لها وهو قول الله تعالى ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ألهمها الله أن تأكل من ثمرات الأشجار من الزهر وغيره ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ وهذا أمر من الله عز وجل لها أن تسلك السبل وهي الطرق التي وصفها الله مذللة مطيعة.

قلت: ومن العجب العجاب كيف يسير النحل في جماعات منظمة ينقادون لملكتهم في وضع يعجز الواصف عن وصفه وما هذا إلا دليل على إعجاز الله وقدرته.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ المراد به العسل وأي مادة أخرى مصاحبة له واختلاف ألوانه حسب ما تأكله، فقد يكون العسل أبيض أو أحمر أو أصفر ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: فيه شفاء لكثير من أمراضهم وآلامهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن في النحل وتكوينه وما يخرج منه دليلاً وعبراً للذين يتفكرون في صنع الله فيؤمنون به ويطيعونه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير إلهام الله للنحل في سكنها وحركتها وتصرفها وأكلها من

ثمرات الأشجار. تقرير أن ما يخرج من بطونها من العسل فيه شفاء للناس من أمراضهم. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله: (**اسقه عسلا**) فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: يارسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا قال: (**اذهب فاسقه**) فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا قال: (**اذهب فاسقه عسلا**) فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: (**صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا**) فذهب فسقاه عسلا فبرئ[١]. وفي قوله تعالى ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ دليل على جواز التداوي، بل والأمر به خلافا لمن قال بخلاف ذلك. وقد دلت الأبحاث العلمية أن في العسل علاجا لكثير من الأمراض والوقاية منها، وقد أنشأت دول مستشفيات خاصة لا تعالج مرضاها إلا بالعسل.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٩٣٥، والبخاري مختصراً في كتاب الطب، باب دواء المبطون، برقم (٥٧١٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص١٧٨ .

فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ هذا بيان من الله أنه هو الذي خلق الخلق ثم يتوفاهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ أي: إلى أسوأ أوقاته، وذلك حين يتعرض المرء لمصاعب الشيخوخة وضعف البنية وضعف السمع والبصر أو يصير إلى الخرف ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي: يرجع إلى حالة اللاوعي، وعدم الإدراك، فلا يعلم ما كان يعلمه قبل بلوغه هذه المرحلة من العمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ أي: عليم بأحوال عباده قادر على خلقهم وموتهم ثم بعثهم.

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ أي: فاوت بين حظوظ عباده، فمنهم ذو سعة، ومنهم متوسط، ومنهم فقير ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ في الرزق ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ أي: لن يجعلوا ما رزقهم الله شركة بينهم وبين مماليكهم على وجه واحد لا تفاضل بينهم، والمعنى إذا كنتم تنكرون أن تساووا مماليككم في أموالكم، فكيف تساوون الله مع الأصنام التي هي مملوكة له أصلا؛ لأنه هو الخالق لها. ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾استنكار لجحودهم

لنعمة الله ومقابلتهم لها بالشرك والكفر.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ في هذا بيان من الله بما أنعم به على خلقه أن جعل لهم أزواجا من جنسهم ومن طبيعتهم وتكوينهم خلافا لما كان العرب يعتقدونه من التزوج بالجن ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ أي: ومن نعمته وفضله أن جعل من الزوجات بنين وحفدة، وهم أولاد البنين ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ أي: هيأ لكم الرزق الطيب مما تنبت الأرض من مختلف النباتات والأشجار وما فيها من الأنعام ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ المراد به الأصنام وعبادتهم لها ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ أي: وبالإسلام ينكرون.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة خلق الإنسان ثم تطور نشأته إلى مماته. تقرير التفاوت بينه في الرزق للحكمة التي أرادها الله. تقرير واقعة التزاوج بين الذكر والأنثى من جنس الإنسان. تقرير نعم الله على خلقه بما رزقهم من الطيبات بما يجب عليهم شكره.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ في هذا بيان من الله يندد فيه بالمشركين الذين يعبدون أصناما لا تنفعهم شيئا، مع أن الله هو المنعم عليهم بالرزق من السموات وهو المطر والرزق من الأرض وهو ما فيها من النباتات والأشجار ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي: إن هذه الأصنام لا تقدر على شيء من ذلك ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي: لا تجعلوا له أندادا أو أشباها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ المراد أن الله يعلم أنه الواحد الأحد ولا رب غيره ولا إله سواه وأنتم لا تعلمون؛ ذلك لفرط جهلكم وضلالكم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب التوحيد، وبطلان أعمال المشركين والتشنيع بمن يضربون لله الأمثال، وذلك باتخاذهم شفعاء يتقربون بهم إلى الله جهلا وضلالا.

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا

يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ في هذه الآية مثلان، الأول: رجل غير حر لا قدرة له لكونه مسلوب التصرف والمثل الثاني: رجل رزقه الله رزقا حسنا فهو يتصرف فيه دون مانع له من أحد فهل يستوي هذا وهذا ؟ والجواب أنهما لايستويان وهذا هو مثل الكافر والمؤمن فالأول: مملوك للأوثان والأصنام، فهو أسير لها، لا يرجى منه إيمان ولا خير. وأما المؤمن فهو حر في نفسه يتصرف فيها بطاعة الله عز وجل وابتغاء مرضاته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولبيان الفرق بين المؤمن والكافر قال الله عز وجل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأنه الخالق والقادر، ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك، بسبب جهلهم وضلالهم.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ما زال السياق في ضرب الأمثلة بين المشركين والمؤمنين، فالمثل لرجل أبكم ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يفهم ما يقوله غيره، ولا يفهم غيره ما يقوله هو فهو ﴿كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي: عالة على من يتولاه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ أي: لا يعقل ما يوكل إليه من

متوليه وهذا هو مثل الوثن الذي لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يحقق لعابده أو المتقرب إليه بأي خير فهو مثل الأبكم العاجز ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هذا استفهام إنكاري بمعنى هل يستوي هذا الأبكم مع المستقيم في تصرفه وفي سمعه وبصره ؟ والجواب أنهما لا يستويان، فهذا مثل المؤمن والكافر لا يستويان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير ضرب الله الأمثلة للناس، وذلك تربية للذين تصعب عليهم معرفة الأحكام وتقريبها لهم، لعلهم يعرفونها، ويعرفون مراد الله من دعوتهم لعبادته، فهذه الأمثلة تدعو العقول السليمة إلى التفكر في الفرق بين المؤمن والكافر وأنهما لا يستويان.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه هو العالم بالغيب، وأنه لا يعلمه إلا هو إلا إذا أراد أن يطلع أحداً عليه كما يفعل مع أنبيائه ورسله فيما يطلعهم عليه كما قال عز وجل ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1]. ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2]. ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ المراد بالساعة القيامة وهي أن قيامها مثل لمح البصر في سرعته أو هي أقرب من ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: قادر على ما يريد يقول للشيء كن فيكون .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ هذا بيان من الله عن نعمه الكثيرة على خلقه، ومنها: إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعرفون من الحياة شيئا، وجعل لهم السمع والأبصار والعقول؛ ليكونوا قادرين على الحياة، إذ بدون هذه الوسائل الثلاث لا يقدرون عليها كما قال عز وجل ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المراد لعلكم بما أوتيتم من هذه النعم تشكرونه بعد أن تعرفوا عظمة خلقه فيكم كما قال عز وجل ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٢) سورة الجن من الآية ٢٧ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٢١ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ لما ذكر عز وجل نعمه على خلقه في أنفسهم أرشدهم إلى التمعن في الطيور، وهي تسبح في الجو بين السماء والأرض تذهب من مكان إلى آخر، لا يمسكها ولا يتحكم فيها إلا قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: في ذلك عبر للذين يؤمنون بربهم وبما جاءهم من بيناته.

أحكام ومسائل الآيات

الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ويستثنى من ذلك من ارتضاه عز وجل ليطلعه عليه كحال الوحي لأنبيائه ورسله. تقرير أن قيام الساعة مثل لمح البصر في سرعته أو هو أقرب من ذلك. ومن الأحكام: التذكير بما أنعم الله على عباده من نعمة السمع والبصر والعقل وهي مكونات أساسية لحياتهم والتذكير بعظيم صنعه في تسخير الطير في جو السماء وأنه ما يمسكه إلا الله بقدرته.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ هذا ذكر لبعض نعم الله على عباده وهي أنه عز وجل هيأ لهم سكنا يسكنون فيه يستظلون فيه من الحر والبرد والشمس ولم يهيئ لهم السكن إلا بعد أن هيأ لهم وسائله من التراب، والحجر، وخشب الأشجار، والحديد، وغير ذلك من وسائل بناء المساكن.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: وصير لكم من الأدم خياماً وقبباً تنتقلون بها حال الإقامة أو التحول من مكان إلى آخر كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ أي: وجعل لكم من صوف الأنعام ووبرها وشعرها أثاثا لراحتكم كالسجاد والثياب ﴿أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تنتفعون من هذه إلى حين ثم تنتفعون بمثلها.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أي: وجعل لكم ظلالا

من الجدر والشجر ومن كل ماله ظل تستظلون به من الحر والشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ أي: حصونا تتحصنون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي: جعل لكم قمصانا تستترون بها وتقيكم الحر والبرد ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ أي: وصير لكم دروعا تَحْتَمُون بها حال الحرب ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: أعطاكم هذه النعم؛ لكي توحدوا الله ولا تشركوا به شيئا.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أنهم إن أعرضوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليك إلا أن تبلغهم ما أنزل إليك وأما هدايتهم فمردها إلى الله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: يعرفون نعمة الإسلام التي أتيت بها يا محمد ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ أي: يكذبونها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: وعامتهم على هذا التكذيب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مخاطبة الله العرب الذين نزل فيهم القرآن بما يعرفونه في بيئتهم وحياتهم، كاستخدامهم جلود الأنعام في إقامتهم ورحيلهم في بداوتهم، وانتفاعهم بأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وما ينسجونه منها من المتاع وغير ذلك من النعم التي وردت على سبيل التمثيل.

ومن الأحكام: إباحة الانتفاع بوبر الإبل، وصوف الغنم، وشعر

المعز وهذه الإباحة حال ذبحها، أما حال موتها ففيه خلاف، والأصح أنها تعد نجسة تتبع الميتة في الحكم. ومن الأحكام: تقرير أن وظيفة الرسول هي الدعوة بالحسنى، أما الهداية فمن الله، وهذا يدل على أن الدعاة يبلغون ما يعلمون من أحكام الله إلى من يجهلونها، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه يوم القيامة يأتي بالنبي الذي أرسل إلى الأمة، ليشهد عليها بما عملت وهو أعلم بذلك ولكن ليكون ذلك على مرأى ومشهد منها ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: لا يسمح لهم ليعتذروا عما حدث

منهم من التكذيب ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ المراد لا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بقول أو عمل؛ لأن ذلك كان في الدنيا وقد تركوه؛ أما في الآخرة فهي دار حساب لما كان في الدنيا وجزاء عليه ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ المراد إذا عاين المشركون عذاب جهنم وطلبوا تخفيفه فلا يخفف عنهم ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ أي: ولا هم يمهلون فيتأخر دخولهم النار.

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ أي: إذا نظر المشركون إلى أصنامهم وأوثانهم ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ ﴾ أي: هؤلاء الذين جعلناهم شركاء لك في العبادة ﴿ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ أي: تنطق الأصنام وينطق كل معبود من دون الله يتبرأ ممن اتبعه ﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ والمراد أن المشركين إذا رأوا عاقبة شركهم وكذبهم وتبرأ من عبدوه منهم استسلموا لله وخضعوا لحكمه فيهم ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: ذهب عنهم من كانوا يعبدونه وبطل ما كانوا يعتقدونه من شفاعته لهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية هؤلاء لهم صفتان من الضلال، الصفة الأولى: أنهم كفروا، والصفة الثانية: أنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله ﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ أي: يزداد عذابهم ويضاعف جزاء كفرهم وإضلال غيرهم وإفسادهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يبعث من كل أمة نبيها؛ ليشهد عليها كما قال عزوجل ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[١]. تقرير أن الله يبعث معبودي المشركين فيتبعوهم وفي حديث أبي هريرة: (**من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت**)[٢]. تقرير أن العذاب يضاعف للذين يصدون عن سبيل الله؛ لقاء كفرهم وإضلالهم وإفسادهم لغيرهم.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ المراد

(١) سورة النساء الآية ٤١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٠٠٠ .

بهم الأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة أنهم بلغوهم رسالة الله وأحكام شرعه ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ أي: على أمتك فتشهد عليهم بما عملوا ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ في هذا بيان من الله أنه لما أنزل القرآن بيَّن فيه كل شيء من أمر الدين والدنيا فيما يحتاجه العباد في حياتهم الأولى وحياتهم الأخرى ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: وفيه الهدى لقلوب العباد، وفيه الرحمة لهم ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه البشرى لهم بالسعادة في الدارين إذا عملوا بما فيه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الأنبياء يشهدون على أممهم بما عملوا، ومنهم رسول الله ﷺ الذي يشهد على أمته. تقرير أن في القرآن بيان أمري الدنيا والآخرة.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ هذه الاية الكريمة جامعة مانعة؛ لأن العدل جماع الشرائع الإلَهية كلها، وهو عام وشامل لكل ما فرضه

الله من الفرائض؛ ذلك أن الله جل وعلا لما فرض عبادته جازى عليها بالعدل كما قال عز وجل ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]. كما أن العدل شامل لكل ما جعله الله ميزانا للحياة، ومن ذلك نفي الظلم، واعطاء الحقوق، والإصلاح في الأرض، ومحاربة الفحشاء والمنكرات ونحو ذلك، فهي بهذا مانعة لكل ما يخرج عن مفهوم العدل الذي أمر الله به. قوله ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ لما كان العدل هو الإطار الشامل لكل الفضائل الدينية والدنيوية، فإن الإحسان مكمل لهذه الفضائل وهو ما فسره جبريل عليه السلام بقوله (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[2]. وهو ما يقتضي تعويد النفس على فعل الخير وقسرها على نفي الشر.

قوله ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ لما ذكر الله العدل والإحسان أمر عباده بإيتاء ذي القربى حيث إن إحسانهم إلى أهلهم من أوجب واجباتهم ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ في هذا بيان منه عز وجل أنه نهى نهي تحريم عن ارتكاب المعاصي من الأقوال والأفعال ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ أي: يأمركم بما فيه خير لكم ويحذركم عما فيه شر لكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تنيبون إليه بما ينفعكم.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم (٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٤٠ .

أحكام ومسائل الآية

الحكم بأن العدل جماع الشرائع الإلَهية كلها، وهو أساس علاقة العبد بربه فيما يجب عليه من العبادة التي أمره بها وما ينتظره من جزائه عليها، وهو أساس علاقة العبد مع نفسه بحيث لا يظلمها بارتكاب المعاصي، كما أنه أساس العلاقة بين العباد أنفسهم فيما يجب عليهم من السلم واجتناب الظلم ونفي التفاضل بينهم إلا في التقوى.

تقرير وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وتحريم الفواحش بكل أنواعها، وتحريم البغي على الناس وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم**)[١].

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، برقم (٤٩٠٢)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٩٨، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقاق، باب (٥٧)، برقم (٢٥١١)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٧٢.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ في هذا أمر من الله لعباده بوجوب الوفاء بعهودهم في كل ماتعاهدوا عليه بقول أو فعل ما دام أن ذلك موافق لأحكام الشرع ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها وتشديدها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: شاهدا عليكم بما حلفتم الأيمان ووثقتموها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: يعلم نقضكم الأيمان بعد توكيدها، وفيه تهديد ووعيد لمن يفعل ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ وهذا ضرب مثل للمرأة الخرقاء والحمقاء التي كانت في مكة تغزل صوفها ثم تنقضه بعد أن تعبت في غزله، واسمها ريطة القرشية[1] ومعنى ﴿أَنكَـٰثًا﴾ أي: تحله بعد إبرامه ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: خديعة، قوله ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أربى أي: أكثر، والمعنى -كما يقول الفراء- لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم أو لقلتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالأيمان[2] فسكنوا إليها، وقيل: إن هذه الآية نزلت في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفت قبيلة أخرى ثم جاءت إحداهما قبيلة كثيرة قوية فداخلتها غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى[3].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٣٥ .

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد ا لفراء ج٢ ص١١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٧١ .

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: يختبركم بما أوجبه عليكم من الوفاء ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يبين لكم يوم القيامة أعمالكم فيجازيكم عليها.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الوفاء بالعهد، وهو كل ما تعاقد أو تعاهد عليه الإنسان من قول أو فعل غير مناف لأحكام الله ونظيره قول الله عزوجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾(١). وقوله عزذكره ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾(٢). ومن السنة: قول رسول الله ﷺ **(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)**(٣). ويقابل هذا التقرير تحريم نقض الأيمان بعد توكيدها، وهذا يستثني لغو اليمين الذي قال الله فيه ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾(٤).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟

---

(١) سورة المائدة من الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٢٥ .

أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: لو أراد لجعلكم على ملة واحدة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بسبب إعراضه وعدم رغبته في الهداية ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ بسبب طاعته ورغبته في الهداية ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تسألون عن أعمالكم فتجزون عليها ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا تكون أعمالكم خديعة بينكم ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي: تبوءوا بالخسران بعد أن هداكم الله، والمعنى لا تنقضوا ما تعاهدتم عليه حين عرض لكم عارض من الدنيا ترون أنه أفضل مما تعاهدتم عليه ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: إذا نقضتم ما تعاهدتم عليه أصبحتم بذلك غادرين تصدون عن سبيل

الله ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: يحق لكم حينئذ عذاب عظيم من الله؛ جزاء غدركم وصدكم عن سبيله.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ المراد لا تنقضوا عهودكم التي عاهدتم الله عليها بعرض من أعراض الدنيا كالرشاء ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: إن الوفاء بها هو خير لكم؛ لأن الله سوف يجازيكم بالوفاء بعهوده ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم تدركون ذلك ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: ينتهي ويزول ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ أي: ما عنده من الثواب دائم لا يزول ولا يحول ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا قسم من الله أن يجزي عباده الذين يصبرون على طاعته ويوفون بعهده بأحسن ما كانوا يعملونه في الدنيا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله مصدق بكتابه وبما جاء به رسوله محمد ﷺ؛ فإن الله قد تعهد أن يحييه حياة طيبة في الدنيا وتأتي هنا بمعنى الرزق كما قال عز وجل ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[1]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٢ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣ .

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: وهذا وعد من الله للذي يعمل صالحا أنه سيجزيه أجره في الآخرة بأحسن عمل عمله في الدنيا من صلاة وصدقة وغيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن حكمة الله اقتضت ألا يجعل الناس على ملة واحدة كما قال عز وجل ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[١]. ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[٢]. تحريم اتخاذ الأيمان وسيلة إلى الخداع. ومن الأحكام: تحريم نقض العهود من أجل عرض من أعراض الدنيا. ومنها: تقرير أن الله تعهد للصالحين بنوعين من الجزاء. الجزاء الأول في الدنيا: وهو الحياة الطيبة وتشمل الرزق والأمن والسعادة والجزاء الثاني: جزاء الآخرة وهو الثواب المقيم.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد

---

(١) سورة هود الآية ١١٨ .

(٢) سورة هود من الآية ١١٩ .

ﷺ وهو أمر لأمته أنهم إذا أرادوا قراءة القرآن عليهم أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، وذلك دفعا لوسوسته ونزغاته ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: لا يقدر أن يتسلط على المؤمنين، وذلك لقوة إيمانهم وتوكلهم على الله ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ أي: يكون سلطانه على الذين يطيعونه؛ بسبب ضعف إيمانهم وفساد قلوبهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ أي: سلطانه يكون على الذين أشركوه مع الله في العبادة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن بقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). ومن الأحكام: تقرير أن الشيطان لا يتسلط على المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم وإنما يتسلط على الذين يطيعونه بإعراضهم عن الحق الذي جاءهم من ربهم.

﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (١٠١) قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ

﴿عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن فساد المشركين وكذبهم على رسول الله ﷺ؛ فإذا رأوا أن الله نسخ آية بأخرى لحكمة يراها وهو أعلم بذلك من خلقه قالوا للرسول: إنما أنت مفتر أي: تكذب فيما تقول عن تبديل الآية بآية أخرى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أعلم بما يشرعه لخلقه لما فيه خير لهم ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ المراد به جبريل وأنه نزل بالقرآن من عند الله ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، قوله ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: نزل به من كلام الله عز وجل ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: يؤيد المؤمنين به بما فيه من البراهين والدلائل الربانية ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وفيه الهدى والبشرى للمسلمين؛ بأن لهم السعادة في الدارين إذا آمنوا به وصدقوه واتبعوا أحكامه فأحلوا ما أحله وحرموا ما حرمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ﴾ هذا بيان من

الله عزوجل أنه يعلم ما كان كفار قريش يفترونه من الكذب على رسول الله ﷺ وقولهم: إن الذي يعلِّمه ما يقول هو بشر ويشيرون بذلك إلى غلام نصراني اسمه (جبر) كان يجلس عند الصفا، وكان رسول الله ﷺ يمر عليه يعلمه القرآن[1] ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾ أي: إن لسان هذا الذي يشيرون إليه أعجمي لا يعرف العربية ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: القرآن والمعنى كيف بمن كان لسانه اعجمياً أن يُعَلِّم محمدا هذا القرآن الذي لا يجاريه في بلاغته أو فصاحته أي كتاب في الدنيا ناهيك بأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بسورة أو آية منه لما استطاعوا ! وهؤلاء الذين قالوا هذا القول أغبى الأغبياء، وأجهل الجهال، وأضل الضالين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هذا بيان من الله أن الذين لا يؤمنون به ولا بما جاء به رسولهم ويصرون على كفرهم وتكذيبهم لآيات الله، لا يهديهم إلى سبيله، ويكون جزاؤهم العذاب الأليم ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِى ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ المراد بهم الكفرة والمنحرفون الذين حادوا عن الطريق المستقيم، فيتجرؤون بالكذب على الله وعلى رسوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ أي: إن هؤلاء هم الكاذبون المنحرفون الخاسرون في الدنيا والآخرة.

---

(١) تفسير البغوي ص٧٢٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن في القرآن آيات ناسخة وآيات منسوخة، وذلك تثبيتا للمؤمنين وهدى ورحمة لهم كما قال عز وجل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1]. ومن الأحكام: أن الذي نزل بالقرآن من عند الله هو جبريل عليه السلام. ومنها: دحض كذب الكفار والمشركين الذين قالوا: إن الذي يعلم الرسول القرآن بشر من الناس. ومنها: تقرير أن الذين لا يؤمنون بآيات الله كهؤلاء المفترين لن يهديهم الله؛ بسبب ماهم عليه من الضلال وأنه لا يفتري الكذب على الله إلا هؤلاء وأمثالهم ممن فقدوا الإيمان فضلوا عن سواء السبيل.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

---
(١) سورة البقرة من الآية ١٠٦ .

بيان الآيات:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ أي: إن من كفر بالله بعد أن كان مؤمنا فقد استحق غضب الله. قيل: إن هذه الآية نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وقيس بن الوليد بن المغيرة فقد ارتدوا بعد إيمانهم(١) قوله ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: من أكره على الكفر ولكن قلبه متعلق بالإيمان، وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، فقد قتل المشركون أباه وأمه سمية، وكانا أول قتيلين في الإسلام رضي الله عنهما وأرضاهما؛ أما ابنهما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، ولكن قلبه لم يتغير بما وقر الله فيه من الإيمان(٢).

قلت: وكما فعل بلال، وخباب، وياسر، وصهيب، وسمية، وعمار في صبرهم على دينهم رغم ما لاقوه من العذاب، فعل ذلك عبدالله بن حذافة السهمي، فلما أسرته الروم جاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت فقال: إذا أقتلك فقال: إذاً أنت وذاك،

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٩٥ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٦٦، وتفسير البغوي ص٧٢٠ .

قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر، وفي رواية بقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه، وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه وقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشمتك بي فقال له الملك: قَبِّل رأسي وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال: نعم، فقبَّل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ فقبل رأسه رضي الله عنهما[١].

قلت: هكذا كان حال العدو في الماضي، وهو حاله في هذا الزمان

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، ج٢ ص٥٧٨، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٥٥-٥٦، برقم (٤٦١٣).

وفي كل زمان، مع تغير الصور والأشكال، وهل كان حال عبد الله بن حذافة كحال رجل من المسلمين اليوم ؟ إن الزمان لا يتغير والعدو لا يتغير، ولم ينتصر المسلمون إلا بالمؤمنين الذين كانوا يؤمنون أن دين الله هو الذي يجب أن يظهر، وأن نور الله يجب أن يتم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فرضي الله عن بلال، وخباب، وصهيب، وياسر، وسمية، وعمار، وعبد الله بن حذافة، وكل الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما بدلوا تبديلا.

قوله ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ أي: من تقبل الكفر بصدر رحب ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي: يحل بهم سخط الله وعذاب جهنم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: فضلوا الدنيا على الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وذلك بسبب كفرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: هم أولئك الذين طمس الله قلوبهم عن الهدى ﴿وَسَمۡعِهِمۡ﴾ عن الحق ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ﴾ عن التدبر فيما أنزل الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ عن الإيمان ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ أي: حقا أنهم في الآخرة هم الخاسرون؛ بسبب ما يشاهدونه من العذاب المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من تكلم بالكفر بعد إيمانه يعد مرتدا تطبق عليه أحكام الردة، ويستثنى من ذلك من تكلم بالكفر بلسانه، وهو مُكْرَهٌ وقلبه مطمئن بالإيمان، ويكون الإكراه بسببين: الفعل والقول، فالفعل مثل الضرب المبرح والعصر الشديد والسجن الموحش، أما القول فالتهديد وفيه خلاف، فإذا كان من رجل قادر ظالم يستطيع القتل وما في حكمه وليس لِلْمُكْرَه من يمنعه منه، فله أن يقول ما أمره المُكْرِه ويسقط عنه الإثم؛ ذلك أن المشركين لما أخذوا عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك لرسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (**كيف تجد قلبك؟**) قال: مطمئنا بالإيمان فقال: (**فإن عادوا فعد**)[1]. هذا في حق نفسه؛ أما في حق غيره فلا يجوز أن يفدي نفسه بقتل غيره وعليه الصبر على ما يصيبه فإن قتل غيره قُتِلَ به وقال الإمام أبو حنيفة[2]: لا يقتل وقال به أيضا سحنون من المالكية[3].

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص١٨٢، والدر المنثور ج٤ ص٢٤٨.
(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ج٥ ص١٨٦ .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص١١٨١ .

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ هذا بيان مناطه طائفة من المستضعفين في مكة آمنوا بالله، وصدقوا رسوله محمداً ﷺ ثم تعرضوا لأذى قومهم، فقاربوهم في بعض ما يقولون لهم، ثم فروا بدينهم وهاجروا من بلادهم وجاهدوا مع المؤمنين وصبروا على إيمانهم فقال عزوجل فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا ﴾ أي: إجابتهم الفتنة لغفور رحيم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ المراد أخبر يا محمد هؤلاء أن الله غفور رحيم يوم تأتي كل نفس تحاج عن نفسها يوم القيامة أي: لا يحاج عنها قريب ولا صديق ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ أي: تجزى بما فعلته من حسنة أو سيئة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا يبخسون مما عملوا شيئا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الهجرة، وفرار المسلم بدينه، ووعد الله بالمغفرة والرحمة. تقرير أن كل نفس تخاصم وتحاج عن نفسها يوم القيامة لا ينفعها قريب ولا صديق.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ هذا بيان من الله، ومثل ضربه لمشركي مكة فقد كانت هذه القرية ﴿ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ لا يعتدي عليها عدو، ولا يتعرض لها ظالم ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: تأتيها الأرزاق والثمرات والخيرات من حولها كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[1]. ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: كذب أهلها محمدا ﷺ ورسالته وآذوه، وآذوا من آمن معه وعذبوهم ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ المراد أنهم لما كذبوا رسول الله ﷺ وما جاءهم به من البينات ابتغاء خيرهم في الدنيا والآخرة أبدل الله أمنهم خوفا، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تطوف حولهم، فكانوا يخشون أن تأتيهم في كل وقت، ثم ما تلا ذلك من فتح مكة وسقوط صناديد المشركين كما

---

(١) سورة القصص من الآية ٥٧ .

أبدل الله شبعهم جوعا حيث دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال: (**اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**)[١]. وقد استجاب الله دعاءه، فانقطعت عنهم الميرة وأكلوا ما يسد رمقهم من العظام والجيف ونحوها.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾ المراد به محمد ﷺ فأخذهم العذاب وهو الجوع، والخوف الذي حل بمكة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي: ما كان هذا ليحل بهم إلا لأنهم ظلموا رسول الله ﷺ والمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الظلم وكفران نعم الله، وأولها: تكذيب دينه ورسوله يؤدي إلى الباساء والضراء، كالجوع، والخوف، وحلول النقم؛ لأن الظلم مما يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، ونظيره قوله عزوجل ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[٢]. أما المؤمنون فلا يصيبهم خوف ولا حزن كما قال عز وجل ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يهوى بالتكبير حين يسجد برقم (٨٠٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٣٣٩ .

(٢) سورة الشورى من الآية ٣٠ .

(٣) سورة الزمر الآية ٦١ .

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ هذا أمر من الله للمسلمين أن يكون أكلهم من الحلال ومن الطيبات وقيل: إن المراد بذلك المشركون؛ ذلك أنهم لما أشرفوا على الهلاك في مكة وأكلوا العظام والجيف قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تصل الرحم وتعفو، فادع الله أن يفرج لنا مما نحن فيه فأرسل لهم عليه الصلاة والسلام طعاما وأذن للناس أن يرسلوا لهم الطعام[1] ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أي: اشكروا ما أنعم به عليكم إن أخلصتم عبادتكم له وحده.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٧٩٧، والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٩٥ .

﴿ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ هذا بيان لأنواع الطعام التي حرمها الله على المسلمين وهي: كل ما مات مما أبيح أكله دون تذكية، وكل دم لم يختلط بالعظم، ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أي: ذبح على غير اسمه ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي: من احتاج إلى الأكل من هذه الأطعمة؛ لحفظ نفسه من الهلاك وهو غير مريد لها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يتجاوز عن ذلك بمغفرته ورحمته.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ المراد بذلك المشركون والكفار الذين حرموا البحائر والوصائل وسائر ما حرموه من عند أنفسهم، ويدخل فيه كل من يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: تنسبوه إلى الله كذبا من عند أنفسكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: وقت قصير في الدنيا يتمتعون فيه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب شكر الله على نعمه وعدم الكفر بها؛ لما يقتضيه ذلك من العذاب كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(١).

(١) سورة إبراهيم الآية ٧.

تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وكل ما أشرك مع الله فيه مع استثناء المضطر الذي يدفع عن نفسه الهلاك وأن يكون غير باغ لذلك. تحريم الكذب على الله وتحليل ما حرمه أو تحريم ما أحله وقد توعد الله من يفعل ذلك بالعذاب الشديد.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه إنما حرم على هذه الأمة عدداً قليلاً من المحرمات من الأطعمة، ثم استثنى من التحريم ما كان للضرورة، ولكنه حرم على اليهود أشياء كثيرة نزل بها كتابهم قبل نسخه، وقد ضيق عليهم فيها؛ لتضييقهم على أنفسهم مما ذكره عز وجل في قوله ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ الآية[١]. وقد سبق ذكر ذلك ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ أي: ما ظلمهم الله بما حرمه عليهم ﴿ وَلَٰكِن

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٦ .

كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ أي: ظلموا أنفسهم فحرم الله عليهم تلك الأطعمة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: كانوا يفعلون المعاصي عن جهل منهم ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ ﴾ أي: تركوا ما كانوا فيه من المعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي: إن الله يغفر لهم ويرحمهم بعد تلك المعاصي التي تابوا منها وأصلحوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

التقرير بأن الله خفف عن أمة محمد ﷺ ولم يحرم عليها إلا عددا قليلا من الأطعمة، واستثنى من التحريم ما كان لضرورة، بينما حرم على اليهود أشياء كثيرة من الأطعمة، بسبب ظلمهم. التقرير بأن الله يغفر ويرحم أصحاب المعاصي الذين ارتكبوها بجهل منهم ثم تابوا منها وأصلحوا كما قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[1].

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ

(١) سورة النساء الآية ١٧ .

اتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (١٢٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا﴾ المراد بالأمة في هذا المقام من يؤتم ويقتدى به، وفي هذا مدح لنبي الله إبراهيم أنه كان أمة يهتدى به في عبادته وإيمانه وقنوته أي: طاعته وخشيته من الله وهي توحيد الله ومحاربته للشرك ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ توكيد على توحيده لله ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ أي: شاكرا لنعم الله عليه بما اعطاه من النبوة والولد وهو في كبره ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ أي: اصطفاه كما قال عز وجل ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[(١)]. ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ المراد بذلك أنه كان عابداً لله موحدا له ومطيعا مجتنبا للشرك ومحاربا له في قومه، وأولهم أبوه.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ المراد به الولد كما قال تعالى ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٢)]. وقد يكون ما آتاه الله في الدنيا من العبادة والإخلاص ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: إنه يحشر مع الصالحين من عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾

---

(١) سورة النساء من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الصافات الآية ١١٢ .

المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أنه لفضل إبراهيم أمرناك أن تتبع ملته؛ لأنه كان حنيفا متعبدا لله موحدا له ومخلصا له ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما كان مشركا لله بوثن أو صنم أو غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

تكريم الله لإبراهيم، وتقرير اتباع رسول الله محمد ﷺ لملته كما قال عز وجل ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١]. ويدخل في معنى الأمة كل من يعلم الناس الخير، وعن مالك أن عبد الله بن مسعود قال: يرحم الله معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله، فقيل: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله بهذا إبراهيم. فقال ابن مسعود: إن الأمة هو الذي يعلم الناس الخير وإن القانت هو المطيع[٢].

قال القرطبي: وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول، ولا تبعة على الفاضل في ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء عليهم السلام وقد أمر بالاقتداء بهم، كما قال عزوجل ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٣]. وقال هنا ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٩٧-١٩٨ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص١٩٩ .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ذلك أن الله اختار لهم يوم الجمعة الذي كمل فيه خلق الله للمخلوقات فلم يقبلوا ذلك، وإنما اختاروا يوم السبت فألزمهم الله به وألزمهم أنه إذا بعث محمدا ﷺ، فعليهم أن يتبعوه، وقد تمسك اليهود بهذا اليوم حتى بعث الله عيسى، فقيل: إنه حولهم إلى يوم الأحد، وقيل: إن الذي تحول إلى الأحد هم النصارى زمن قسطنطين مخالفين بذلك لليهود؛ للعداء الذي كان مستحكماً بينهم[١].

اما المسلمون: فقد اختار الله لهم يوم الجمعة، ففي حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلائق)**[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٤١٩ .

قلت: وهذا يبطل حجة من قال بتغيير يوم الجمعة إلى السبت أو الأحد؛ لأنه بهذا يكون تاركا اختيار الله هذا اليوم للمسلمين ومتبعا لأهل الكتاب في اختيارهم كما قال رسول الله ﷺ: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (**فمن**)[1].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

أي: سوف يجازيهم على اختيارهم يوم السبت وترك الجمعة التي اختارها لهم أحد أنبياءهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله اختار يوم الجمعة عيد أسبوع للمسلمين، فمن بدله فقد ترك اختيار الله واتبع أهل الكتاب في اختيارهم.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾.

بيان الآية:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ هذه الآية نزلت في مكة حين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، برقم (٧٣٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣١٢ .

مهادنة قريش، فقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يدعو المشركين برفق ولين قبل أن يؤذن له في قتالهم[١] وهذه الآية باقية إلى يوم القيامة في دعوة من تنفعه الموعظة لقوله عز وجل ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[٣]. فاقتضى هذا أن على من يدعو إلى دين الله أن يجادل من يدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالرفق واللين ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: قد علم السعيد من الشقي ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ما عليك يا محمد إلا أن تدعوهم إلى الله فهو أعلم بهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الدعوة إلى الله واجبة، وهذا الواجب فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإن كان المسلم في مكان لا يوجد فيه من يدعو إلى الله أصبحت الدعوة واجبة عليه عينا. تقرير أن الدعوة يجب أن تكون بالكتاب والسنة، وأن تكون مصحوبة بالموعظة والمجادلة الحسنة والرفق واللين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٠٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٩ .

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ قال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في التمثيل بحمزة بن عبد المطلب والمراد أن من عاقبكم فعاقبوه بمثل ما عاقبكم به ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فالآية نزلت في مسألة التجانس في العقوبة ثم جعل الله الخير في الصبر ثم قال ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وهذا هو ما فعله رسول الله ﷺ حيث صبر، ولم يمثل بأحد رغم ما ساءه من منظر حمزة رضي الله عنه، فقد روي عن ابن عباس أن المشركين لما انصرفوا عن قتلى أحد انصرف رسول الله ﷺ فرأى منظراً ساءه ورأى حمزة قد شق بطنه، وجدعت أذناه واصطلم أنفه، فقال: (**لولا أن يحزن النساء أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم**) ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه، فخرجت رجلاه فغطى وجهه وجعل على رجليه من الإذخر، ثم قدمه فكبر عليه عشرا، ثم يجاء بالرجل فيوضع

وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين، فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ فصبر عليه الصلاة والسلام ولم يمثل بأحد[1].

﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: لا تحزن على قتلى أُحُد، فإنهم قد صاروا إلى رحمة الله ومغفرته ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ أي: ولا يضيق صدرك من المشركين ومكرهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ أي: إن الله مع الذين آمنوا به وأحلوا ما أحله وحرموا ماحرمه ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ أي: في جميع أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب التماثل في القصاص، فمن قَتَل بشيء قُتِل به. تقرير أن في الصبر فضيلة وخيراً للصابرين. تقرير أن معية الله مع الذين آمنوا بربهم واتقوه وأحسنوا في جميع أقوالهم وأفعالهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٦٨، وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٤٤، وتفسير البغوي ص٧٢٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة آية

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾.

بيان الآية:

﴿سُبْحَانَ﴾ أي: تقدس وتنزه عن كل ما لا يليق بعظمته في أسمائه، وصفاته، وكماله، وجلاله. ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ المراد بعبده هو: نبي الله ورسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، الأمي ﷺ وفي حديث الإسراء في صحيح البخاري: حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا

تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبَّته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب، فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده -يعني عروق حلقه- ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء، من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بعث ؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم وقال: مرحباً وأهلاً بابني نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى، من هذا ؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً، ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا

له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدره المنتهى ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد: ماذا عهد إليك ربك قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً، وقلوباً، وأبداناً، وأبصاراً، وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى

جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب إن امتي ضعفاء أجسادهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام»(١).

قوله ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ المراد به مسجد مكة، أما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس ثالث الحرمين ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أي: حول المسجد الأقصى، وقد بارك الله في الأرض التي حوله وهي: بلاد الشام بما أنعم الله عليها من الأشجار، والثمرات، والخيرات كما بارك في المسجد بمضاعفة أجر الصلاة فيه. قوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ أي: المراد أن الله أسرى بعبده إلى السماء ليريه قدرته وعجائب صنعه، ويخبر الناس بما رآه مشاهدة في القدس - وهي بعيدة عن مكة - وصعوده إلى السماء ومشاهدته للأنبياء والصلاة

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٤٨٦ - ٤٨٧ .

والسلام عليهم واستبشارهم به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده البصير بأحوالهم، وقد اقتضى أمره أن يجعل من الإسراء بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج به إلى السماء عبرة وعظة لمن يتذكر ويخشى.

قلت: وقد وردت في مسألة الإسراء أحاديث كثيرة مفصلة موجودة في مصادرها، وقد اكتفيت بما ورد منها في صحيح البخاري[١].

أحكام ومسائل الآية:

تقرير واقعة الإسراء وحقيقتها، وقد اختلف فيما إذا كان هذا الإسراء بالروح فقط، أم بالروح والجسد، والأصوب أنه أسري برسول الله ﷺ جسدا وروحا بدليل قوله تعالى ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾. تقرير شرف المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، وشرف مسجد رسول الله ﷺ معلوم من قوله: (**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**)[٢].

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾.

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، برقم (١٣٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٧١٢ .

بيان الآيتين:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لما ذكر الله عز وجل واقعة الإسراء بوصفها تكريما لرسول الله محمد ﷺ بيّن ما امتن به على موسى من إيتائه الكتاب، وهو التوراة قوله ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: جعلنا التوراة هادية لبني إسرائيل ودالة لهم إلى الصراط المستقيم ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ أي: لا تجعلوا لكم وليا يواليكم أو نصيرا ينصركم من دوني.

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ لما أمر الله بني إسرائيل ألا يتخذوا من دونه وكيلا قال: ذرية من حملنا مع نوح، ولعل المراد أن أباهم سام بن نوح، وكان مع من نجى الله من الغرق فكأنه قال يا ذرية نوح لا تتخذوا شريكا لي بل اشكروا الله على ما نجاكم، فإن أباكم نوحاً كان من الشاكرين لله وهو معنى قوله عز وجل ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

التوجيه لبني إسرائيل ولغيرهم من الأمم أن لا يتخذوا وليا لهم من دون الله، وتوجيههم بوجوب شكره على نعمه، ونجاة أبيهم نوح من الغرق، ووجوب اقتدائهم بأبيهم نوح في شكره لله عز وجل.

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا

لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كتبنا على بني إسرائيل في كتابهم التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أي: كتب عليهم أنهم سوف يفسدون في الأرض مرتين بارتكاب الظلم، والطغيان، والفجور، وكان ذلك قد وقع منهم فعلا ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: سيبغون بغيا كبيرا ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: إذا حدث منهم الظلم في المرة الأولى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: سلط عليهم عبادا من عباده ولو كانوا مشركين ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ أي: عاثوا فيهم قتلا وتشريدا، وهو ما حدث لهم من المصائب والقتل والتدمير على يد جالوت ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: كان هذا بقضاء الله وقدره ووعده لهم.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ المراد أن بني إسرائيل لما مكثوا سنين طويلة وهم مشردون مضطهدون تابوا من ذنوبهم، فخرج منهم داود عليه السلام وقادهم للنفير للجهاد ومقاتلة المشركين، فكانت لهم الغلبة حين قتل داود جالوت.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ المراد إن أحسنتم عاد لكم نفع إحسانكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: إن أسأتم فالإساءة تعود عليكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ أي: جاء وقت الكرة الأخرى بعث الله عليهم عبادا، ليسيئوا وجوههم بما يصيبها من الخوف والهم ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ أي: بيت المقدس كما دخلوه أول مرة ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ أي: يدمروا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ أي: ما نالوه وطالوه ﴿تَتْبِيرًا﴾ أي: تدميرا كاملا، ولعل المراد به ما حصل لهم من بختنصر حين غزاهم من بابل وقتلهم وشردهم وما زالوا يرون في العراق بقية عداوة لهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: لعل ربكم يرحمكم إن عدتم إلى الطريق المستقيم وتركتم الضلال والظلم والطغيان ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي: إن عدتم إلى الضلال عدنا إلى تسليط غيركم عليكم، وهذا هو ما حدث لهم بعد بعثة محمد ﷺ وتكذيبهم وعداوتهم له وهممهم

بقتله ونقضهم لما عاهدوه عليه فأجلاهم من المدينة فتشردوا في الأرض ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي: محبسا.

قلت: وهذه هي حال بني اسرائيل في كل مكان يتكاثرون فيه يظلمون ويطغون، كما فعلوا في عدد من الأماكن التي سكنوا فيها في أوربا وغيرها، وكما يفعلون اليوم من الظلم والعدوان على أهل فلسطين فيسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قضاء الله على بني إسرائيل؛ بأنهم يفسدون في الأرض مرتين، وقضاؤه نافذ لا محالة. تقرير ما حدث لهم من تشريدهم واضطهادهم مرتين؛ بسبب فسادهم وظلمهم، وتوعد الله لهم أن يحل بهم العذاب إذا لم يرجعوا عن طغيانهم وظلمهم.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ في هذا بيان من الله عن فضل وعظمة كتابه العزيز، وأنه يهدي للطريقة المثلى ﴿وَيُبَشِّرُ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وفيه البشرى للذين يحكمونه في أحوالهم ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي: مثوبة يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: وينذر الذين ينكرون البعث أن لهم عذابا أليما.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل القرآن، وما فيه من الهداية للمؤمنين والبشارة لهم يوم القيامة، وما فيه من النذارة للكافرين.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا (١١)﴾.

بيان الآية:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ المراد به دعاء الرجل على نفسه أو على ولده، أو على شيء من ماله كدابته، وذلك عندما يضيق صدره، أو تحل به نازلة وهو حين يفعل ذلك لا يحب بل ولا يطلب أن يستجيب الله دعاءه، ولأن الله يعلم ما توسوس به نفوس عباده يصفح عن عبده، فلا يستجيب له. قوله ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي: يدعو على نفسه وولده كدعائه بالخير لنفسه وولده ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ أي: يطلب العاجل ويؤثره على الآجل كما قال عز وجل ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾[١]. ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[٢].

---

(١) سورة القيامة من الآية ٢٠ .

(٢) سورة القيامة الآية ٢١ .

أحكام ومسائل الآية:

التحذير من دعاء الإنسان على نفسه، أو ولده، أو ماله، أو قريبه، في حال الغضب وفي الحديث: (**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**)[1].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه جعل الليل والنهار آيتين من آياته العظام مما يدل على قدرته، وامتنانه على خلقه ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: طمسنا آية الليل؛ ليكون سكنا لعباده وراحة لهم ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: جعل النهار مضيئا من أجل حياتهم ومعاشهم ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتعملوا من أجل أرزاقكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ أي: لو كان الأمر غير ذلك ليلا بدون نهار أو نهارا دون

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم (٣٠٠٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٩٣ .

ليل لما عرف الخلق حساب السنين ولا الشهور ولا الأسابيع ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ أي: بينا في القرآن وفي الآيات كل ما فيه نفع الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مشروعية علم الحساب، وهذا يقتضي تعلمه، فلو أبدع المسلمون في تعلم الرياضيات ودقائق علم الحساب لما احتاجوا أن يكونوا عالة على الأمم الأخرى، ولكانوا هم الرواد في هذا العلم كما كان أسلافهم في عصر النهضة العلمية.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ﴾ الطائر: العمل والمراد أن كل من يعمل عملا يلزم به، ويجازى عليه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر كما قال عز وجل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]. ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]. وقوله

---

(١) سورة الزلزلة الآية ٧.

(٢) سورة الزلزلة الآية ٨.

في عنقه أي: يكون ملازما له ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ المراد أنه سيجد عمله يوم القيامة مسجلا عليه ينشر أمامه فيجد فيه كل كبيرة وصغيرة عملها بعد أن تم تسجيل ذلك عليه، كما قال عز وجل ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]. وقوله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾[2]. ﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾[3]. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ أي: اقرأ ما كتب عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي: محاسبا، وهذا من عدل الله أن يجعل عباده هم الذين يرون أعمالهم ويحاسبون أنفسهم؛ ليعلموا أن الله لم يظلمهم مثقال ذرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الإنسان يلزم بما عمل من خير وشر، ويجازى عليه بعد أن يرى عمله قد بسط في كتابه فيؤمر أن يقرأه لكي يحاسب نفسه بنفسه، وليعرف أن الله عادل لا يظلمه مثقال ذرة.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

---

(١) سورة ق الآية ١٨ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٤) سورة الانفطار الآية ١٢ .

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن الذي يهتدي يرجع ثواب اهتدائه إليه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ أي: ومن ضل يتحمل وزر ضلاله، وهذا هو غاية العدل؛ لأن كلا يجزى بما عمل لا يذهب ثواب عمله إلى غيره ولا يلحقه وزر غيره وهو معنى قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لن يجازي أحدا إلا بعد أن يرسل له رسولا يبيِّن له طريق الهدى من الضلال، وهذا هو ما قام به الرسل إلى أممهم، فمن اتبع الحق فقد نجا، ومن عاند وتكبر استحق جزاءه.

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ المراد أن الله عز وجل حينما يأمر أهل قرية بفعل الطاعات وترك المحرمات ثم يفسق المترفون فيها فيرتكبون ما حرم الله من الفواحش، فحينئذٍ يحق عليها العذاب ﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ أي: أهلكناها عن آخرها

وهذا هو ما حدث للأمم البائدة من قوم هود وصالح ولوط وغيرهم حين عصوا الله وكذبوا رسلهم.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ ﴾ في هذا تخويف للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ بأن الله أهلك قبلهم عددا من الأمم بعد نوح، وكما فعل بهم حري أن يفعل بهؤلاء المشركين ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾ أي: كفى به خبيرا بأفعال عباده بصيرا بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عمل الإنسان يرجع ثوابه أو وزره عليه كما قال عزوجل ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[1]. تقرير أن الله يأمر الناس بالطاعات، وينهاهم عن المعاصي، فإذا فسق مترفوهم بأن تركوا ما هو خير لهم من الطاعات، وارتكبوا ما هو شر لهم وهو المعاصي عاقبهم الله، وهذه هي سنة الله في خلقه من الأولين والآخرين.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

(١) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ المراد أن من كان يطلب الدنيا وما فيها من مُتُعِهَا على الآخرة يعجل له ذلك إذا شاء وأراد؛ لأن كل شيء مقيد بحكمته ومشيئته ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ أي: كانت له في الآخرة نار جهنم ﴿يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ أي: يقاسيها وهو مذموم مدحور أي: مطرود من رحمة الله ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ وعلى النقيض من الفريق الأول من ابتغى الآخرة وفضلها على الدنيا بأن اتبع طريق الله واتبع ما جاء به رسوله وهو مؤمن ومصدق لما جاء به؛ فإن الله يتقبل سعيه وعمله ويجازيه عليه وهو معنى قوله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ أي: أن كل واحد من الفريقين طالبي الدنيا وطالبي الآخرة يمدهم الله بما يطلبونه، وذلك بفضله، حيث يعطي كلا منهم ما يستحقه من الثواب والعقاب ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: لا أحد يمنع عطاء الله، فهو

المالك المتصرف ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ انظر يا نبينا ورسولنا محمداً كيف فضلنا بعض الناس على بعض، وذلك لتفاوت أعمالهم؛ فمن يسعى منهم في الدنيا لعمل الآخرة يؤتى أجر الدنيا والآخرة. ومن يسعى منهم لعمل الدنيا يؤتى أجر الدنيا ويحرم أجر الآخرة ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ أي: الآخرة لعباد الله المؤمنين أكبر وأفضل من الدنيا؛ لأن حظوظ الدنيا فانية، أما حظوظ الآخرة فباقية لا تزول ولا تحول.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مصير المرء متوقف على نيته وعمله، فإن كان يفضل الدنيا على الآخرة فقد يعجل الله له مبتغاه ويكون مآله إلى العذاب، أما من فضل الآخرة نية وسعيا؛ فإن الله يشكر ويقدر سعيه وما يتحقق للفريقين هو من الله حيث يعطي كلا منهما ما يستحقه.

تقرير أن الله فضل في الدنيا بعض الناس على بعض؛ لحكمة أحكَمَهَا وقدر قدَّره، ولكن الآخرة تكون لعباده المؤمنين، وهذه أفضل وأجل من الدنيا.

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل

لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝﴾.

بيان الآيات

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أمته، وهذا الخطاب يقتضي تحريم الشرك، ومن فعل ذلك فسيبقى دون ولي يواليه من دون الله أو ناصر ينصره من دونه.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: حكم ألا تعبدوا إلا الله وحده، ولا تشركوا معه في العبادة غيره ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وحكم بأن تحسنوا إلى والديكم ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ أي: إذا بلغ أحدهما أو كلاهما مبلغ الكبر ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أي: لا تتأفف أو تضجر منهما أو تتكلم معهما بكلام غير مؤدب، وقد نبه الله على احترام وتوقير الوالدين في حال الكبر؛ لأنها الحال التي تكون الحاجة إلى الرعاية فيهما آكد وأشد ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: تعامل معهما بما يجب أن يعاملا به من الرقة في القول والفعل.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تذلل واخضع لهما في الكلام، وفي المعاملة ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

أي: ادع لهما بالرحمة حال حياتهما وحال موتهما، كما ربوك حال صغرك وحال حاجتك للتربية.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم الشرك، وتقرير عقوبة المشرك، وكونه يطرد من رحمة الله. الحكم بوجوب عبادة الله وحده ووجوب الإحسان إلى الوالدين، ومعاملتهم بما يجب أن يعاملوا به من اللين والشفقة والعطف عليهم حال كبرهم، وعدم التأفف منهم في أي حال مع وجوب التذلل لهم وطاعتهم والدعاء لهم، حال حياتهم وحال مماتهم. وقد وردت أحاديث كثيرة في مسألة برّهم، فعن عبد الله بن عمر قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: (**الصلاة لوقتها**) قال: ثم أي؟ قال: (**ثم بر الوالدين**) قال: ثم أي ؟ قال: (**الجهاد في سبيل الله**)[١]. وعنه رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**)[٢]. وعن أبي أسيد قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسا فجاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله أبقي من بر أبوي شيء أبرهما من بعد موتهما؟ قال: (**نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهدهما من بعدهما وإكرام**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، برقم (٧٥٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥١٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، برقم (٢٥٥٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٥٤ .

صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما)[١].

وبر الوالدين يترتب حتى لو كانا غير مسلمين والأصل في هذا: قول الله عز وجل ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٢]. وفي حديث أسماء بنت أبي بكر قالت قدمت أمي وهي مشركة وراغبة في بري لها فاستفتيت رسول الله ﷺ أفأصلها؟ قال: (**نعم صلي أمك**)[٣].

ووجوب بر الوالدين يقتضي حكما تحريم عقوقهم، ففي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه**) قيل: من يارسول الله؟ قال: (**من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**)[٤]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب، باب صل من كان أبوك يصل، برقم (٣٦٦٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٠٨ .

(٢) سورة لقمان من الآية ١٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم (١٠٠٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٧٧٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، برقم (٢٥٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٥٢ .

ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه أعلم بما في نفوس عباده إن كانوا يبرون والديهم ويؤدون واجبهم نحوهم أو أنهم على النقيض من ذلك، يؤذونهم ويقطعون فيهم ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ أي: يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ لما بيَّن عز وجل أنه قضى ببر الوالدين بيَّن ما يجب من بر الأقارب من الأرحام ومافي حكمهم؛ لأن قرابة الرجل جزء منه، وهو جزء منهم فاقتضى ذلك برهم ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وكما يجب أن يؤدي المرء حق قرابته يجب عليه أداء حق طائفة أخرى يستحقون المساعدة وهم المساكين الذين أعيتهم الحيل، فلم يجدوا ما يكفيهم مؤنتهم، ومنهم: أيضا ابن السبيل الذي انقطعت به السبل بعيدا عن أهله.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ لما ذكر الله وجوب الإنفاق على مستحقيه نهى عن الإسراف في الإنفاق؛ لأن المراد منه سد حاجة المحتاج والإسراف في الإنفاق تبذير ولو كان في وجوه الخير ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ

ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ أي: إن من يبذر ماله يكون شبيها بالشياطين في سفههم وضلالهم وبعدهم عن الحق ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ أي: جاحدا لنعمه وفضله متنكرا للحق ومعرضا عن طاعة الله ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ المراد أنه إذا سألك أحد من أقاربك أو غيرهم النفقة وليس عندك شيء ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ أي: لاطف من سألك منهم، وأظهر له العذر بأنه ليس لديك ما تعطيه. وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ المال فلا يعطيهم؛ لأنه كان يعلم أنهم يبذرونه[1].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يعلم سرائر النفس وخفاياها، فيعلم البار من العاق ويجازي كلا منهما بعمله. ومن الأحكام: وجوب بر الأقارب وصلتهم وفيه قول رسول الله ﷺ (**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**)[2]. ومنها: مساعدة المساكين وابن السبيل الذي تقطعت به السبل بعيدا عن أهله. ومنها: تحريم التبذير ولو كان في وجوه الخير، وتشبيه المبذرين بالشياطين في سفاهتهم وضلالهم. ومنها: وجوب ملاطفة السائل للمال إذا كان المسؤول لا يجده.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠ ص٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم (٥٩٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٢٩.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ هذا نهي من الله تعالى عن البخل؛ لما فيه من قسوة النفس عن البذل فيما يجب فيه البذل كصلة الرحم، ومساعدة المحتاجين ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي: ولا تسرف فتبذر المال في غير ما يجب فيه ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ أي: إذا أنفقت المال دون رشد ذهب المال عنك فتندم على ما فعلت فتكون ملوما في كلتا الحالتين حالة البخل؛ لأن الناس سوف يلومونك ويعيِّرونك ببخلك وحالة الإسراف؛ لأن الناس سوف ينفرون عنك إذا صرت فقيرا بعد غناك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾ أي: أنه هو الذي يغني من يشاء من عباده ويضيق الرزق على من يشاء منهم، وذلك لحكمة أحكمها وقدر قدَّره، فقد يكون غنى هذا وبالا عليه إذا جعل المال وسيلة للفساد، وقد يكون فقر هذا نفعا له ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ أي: إنه الخبير البصير بأحوال عباده، فيكون الغنى أو الفقر خيرا له.

أحكام ومسائل الآيتين:

النهي عن البخل والشح كما قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[١]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم**)[٢]. ومن الأحكام: النهي عن الإسراف في الإنفاق، وفي هذا إرشاد للامة في تسيير اقتصادها، وترشيده، ووضعه في طرقه الصحيحة. ومنها: الحكم بأن الله يعرف أحوال عباده ومن يستحق منهم الغنى ومن يستحق منهم ضده.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ﴾ في هذا نهي من الله نهي تحريم عن قتل الوالد لولده خشية الفقر؛ بسبب إطعامه كما كان

---

(١) سورة محمد من الآية ٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٣ .

بعض العرب في جاهليتهم يفعل ذلك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ في هذا توكيد من الله أنه تكفل برزق عباده كما قال عز وجل ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[١]. ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ أي: خطأ فاحشا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ في هذا نهي تحريم عن ارتكاب الزنى وبيان الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: منكرا تمقته النفوس المؤمنة ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس عملا وطريقا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إن الله حرم عليكم أيها الناس قتل النفس دون حق مشروع ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: من كان قتله ظلما، فإن لوليه السلطة على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ والمراد ألا يقتص إلا من قاتله، وألا يقتل به أكثر من واحد، وألا يمثل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي: إن ولي القتيل منصور على القاتل في الاقتصاص منه.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة حرم الله قتل الولد خوف الفقر، وفي ذلك روى عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: **(أن تجعل لله ندا وهو خلقك)** قلت إن ذلك لعظيم ثم أي ؟ قال: **(أن تقتل ولدك تخاف**

---

(١) سورة هود من الآية ٦ .

أن يطعم معك) قلت ثم أي ؟ قال: **(أن تزاني بحليلة جارك)**[١].

وكما حرم الله قتل الولد حرم الزنى لفحشه، وسوء عاقبته، ولما سأل شاب رسول الله ﷺ فقال: يا ر سول الله ائذن لي بالزنى فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه، مه، فقال: **(ادنه)** فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: **(أتحبه لأمك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**. قال: **(أفتحبه لابنتك؟)** قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)** قال: **(أفتحبه لأختك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)** قال: **(أفتحبه لعمتك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)** قال: **(أفتحبه لخالتك؟)** قال: لا والله جعلني فداءك. قال: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)** قال: فوضع يده عليه وقال: **(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه)** فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[٢].

وكما حرم الله قتل الولد وحرم الزنى، حرم القتل مطلقاً بغير حق شرعي، وجعل لولي المقتول سلطة على القاتل يقتص منه فلا يزيد على ذلك، كما كان العرب في جاهليتهم يقتلون اثنين أو أكثر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص٢٥٦-٢٥٧ .

عن الواحد. وقد عظَّم الله قتل النفس بغير حق في قوله عزوجل ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1]. كما عظم ذلك رسول الله محمد ﷺ بقوله: (**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**)[2].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ في هذا أمر من الله عز وجل بعدم التصرف في مال اليتيم إلا بما فيه نفع له، وهذا من لطفه ورحمته به أكثر من وليه ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ المراد وجوب

---

(١) سورة النساء الآية ٩٣.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن برقم (١٣٩٥)، سنن الترمذي ج٤ ص١٠، وابن ماجة في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، برقم (٢٦١٥)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٧٢.

المحافظة على ماله حتى يكبر، ويكون قادرا على حفظه وحمايته ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ وهذا أيضا أمر من الله عز وجل بوجوب الوفاء بما يتعاهد عليه المرء مع غيره ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي: إن كل متعاهد سوف يسأل عما تعاهد عليه.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾ وهذا أمر منه عز وجل بالوفاء بالكيل وعدم التطفيف فيه أو بخس صاحبه حقه ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ أي: ليكن وزنكم بالعدل دون حيف ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ أي: إن في الوفاء بالكيل خيراً وبركة لكم وأحسن لكم عند مآلكم إلى الله ومنقلبكم إليه.

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ في هذا نهي من الله للعبد أن يقول قولا لا علم له به، كأن يقول: رأيت كذا ولم يره وسمعت كذا ولم يسمعه، ويشمل هذا النهي الكذب وشهادة الزور ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي: إن سمع العبد وبصره وقلبه سوف يسئلون عن تصرفاتهم.

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ وفي هذا نهي من الله عز وجل أن يمشي العبد تكبرا، وتبخترا، وترفعا على غيره ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: لن تشق الأرض بمشيتك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾

أي: ولن يكون طولك مثل طول الجبال، وفي هذا تحقير وتعجيز لمن يتكبر على غيره ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ أي: إن كل هذه الأفعال من قتل الولد والزنى والتجرئ على مال اليتيم وعدم الوفاء بالعهد والتجاوز في القول بعدم صحته أفعال سيئة يكرهها الله وقضى بتحريمها.

أحكام ومسائل الآيات:

النهي عن التصرف في أموال اليتامى إلا بما فيه صلاح لهم، وفي هذا قال رسول الله ﷺ لأبي ذر يا أبا ذر: **(إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمَّرن على اثنين ولا تُوَلَّين مال يتيم)**[(١)]. ومن الأحكام: وجوب الوفاء بالكيل وتحريم التطفيف فيه والنهي عن التجاوز في القول بما لا علم للقائل به وفي هذا قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[(٢)]. وقال رسوله عليه الصلاة والسلام: **(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)**[(٣)]. ومنها: تحريم المشي تكبرا وتجبرا وقد ذكر الله حال قارون عندما كان يتكبر فخسف به الأرض كما قال عز وجل ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، برقم (١٨٢٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٠٩٨ .

(٢) سورة الحجرات من الآية ١٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) برقم (٦٠٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٤٩٩ .

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[1].

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وأمته، والمراد أن هذه الأوامر والنواهي التي أوحى الله بها إليك من توحيد الله وبر الوالدين وغيرها هي أوامر ونواهي أرادها الله لخير عباده ومصالحهم ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أمته أي: لا تعبد غير الله ولا ترتكب ما نهيت عنه من النواهي المذكورة في الآيات السابقة ﴿ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ أي: إن فعلت ذلك أيها العبد، فسوف يكون مصيرك العذاب مهانا مبعدا عن رحمة الله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الأوامر والنواهي التي أمر الله بها الأمة هي حِكَمٌ اقتضتها إرادته عز وجل لمنافعها. تقرير أن في الأخذ بها سعادة في الدارين وأن من جحدها فقد خسر دنياه وآخرته.

---

(١) سورة القصص الآية ٨١ .

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾ هذا رد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وقد خاطبهم الله خطاب استنكار وتهديد، والمعنى هل جعل الله لكم البنين وجعل له البنات دون البنين؟ ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ أي: ما قلتموه يعد إثما عظيما ستحاسبون وتجزون عليه.

أحكام ومسائل الآية:

إنكار ما كان يزعمه المشركون من أن الملائكة بنات الله ومافي ذلك من الإثم العظيم كما قال عز وجل ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾[1]. ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾[2]. ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾[3]. ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾[4]. ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[5].

---

(١) سورة مريم الآية ٨٨ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٩ .

(٣) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٤) سورة مريم الآية ٩١ .

(٥) سورة مريم الآية ٩٢ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: أثبتنا فيه من الوعيد؛ ليتعظوا ويعتبروا بما فيه من الدلائل والبراهين القاطعة ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: إن هذا الوعيد والتذكر ما زادهم إلا بعدا عن الحق وتماديا في الباطل؛ ذلك أن الكفر والشرك ران على قلوبهم فلم يعودوا يفهمون ما أنزل الله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أثبت في القرآن كل ما ينفع المعتبر كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾(١). وقوله ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢). وما كان هذا التصريف والبيان لينفعهم؛ لأنهم كفروا بالله فطبع الكفر على قلوبهم فهم لا يعقلون.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٥٠ .

(٢) سورة القصص الآية ٥١ .

بيان الآيات:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان مع الله آلهة كما يقولون ويزعمون ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ المعنى لو كان الأمر كما يقولون -وقد كذبوا- لكانت هذه الآلهة لطلبت القرب من الله؛ لأنها مخلوقة تعبد من خلقها، بينما أنتم تطلبون منها أن تقربكم إلى الله، فإذا كنتم عقلاء فاعبدوه مباشرة ولا تشركوا معه آلهة مخلوقة.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: تنزه وتقدس عما يقوله هؤلاء المشركون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: علوا عاليا؛ لأنه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لما نزه الله عزوجل نفسه عن الآلهة بيَّن أن السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن وكل المخلوقات والنباتات كلها تسبحه وتنزهه وتقدسه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: ما من شيء في الكون العلوي والسفلي إلا ويسبح بحمده ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تعرفون لغاتهم ولهجاتهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: حليما على عباده إذا عصوه، غفورا لذنوبهم إذا تابوا إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون آلهة مخلوقة، فلو كانوا يعقلون لعبدوا الذي خلقها وخلقهم. تقرير أن كل المخلوقات من الملائكة والإنس، والجن، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، تسبح لله وتقدسه وتنزهه عن الشريك والولد، وفي هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه كما ورد في صحيح البخاري: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[١].

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: إذا قرأت القرآن على المشركين ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ هذا بيان من الله يخبر فيه رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٦٧٣ .

المشركين جعل الله بينه وبينهم ساترا، فلا ينتفعون به وذلك أنهم لم يؤمنوا به أصلا، بل كانوا يرونه سحرا فحجب الله نفعه عنهم وفي هذا روت أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت لما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، وكانت بذيئة ولها ولولة وفي يدها حجر وهي تقول:

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

وكان النبي ﷺ قاعداً في المسجد، ومعه أبو بكر فقال أبو بكر: يارسول الله لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك فقال عليه الصلاة والسلام: (**إنها لن تراني**) وقرأ قرآنا فاعتصم به فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت: يا أبا بكر أخبرت أن صاحبكم قد هجاني فقال لها: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها[1].

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: جعلنا على قلوبهم أغطية فلا يفهمونه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: ثقلا وصمما فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ أي: إذا وحدت الله وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ أي: أعرضوا؛ لئلا يسمعوا كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٦٩، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٦١٠.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ يخبر الله رسوله محمدا ﷺ أنه يعلم ما يستمعونه منه؛ لكي يستهزؤوا ويسخروا منه ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ أي: يتناجون بينهم ويقول بعضهم لبعض إنكم إن اتبعتموه إنما تتبعون رجلا مسحورا، وكان بعضهم يقول إنه رجل مسحور، والبعض الآخر يقول: إنه كاهن أو مجنون ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي: أعرف ما يقولونه مرة أنك ساحر ومرة أنك كاهن، ومرة أنك مجنون ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: لا يهتدون إلى الحق؛ بسبب شركهم وضلالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القرآن لا ينفع إلا من آمن به كما قال عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. بيان الله لرسوله عن تناجي المشركين بينهم واستهزائهم به، واتهامهم له بالسحر والكهانة والجنون.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ يخبر الله تعالى أن المشركين يتناجون بينهم، ويقولون هل إذا متنا وكنا رميما نبعث من جديد؟ وفي هذا دلالة على إنكارهم البعث فأمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ أي: إن كنتم حجارة أو حديداً ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ أي: أي شيء يكبر في نفوسكم؟ فإن الله قادر على بعثكم بعد موتكم؛ لأنه هو الذي خلقكم من العدم وهو معنى قوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ثم أخبر عز وجل أنه حتى بعد هذا القول لهم، سوف يحركون رؤوسهم استهزاء بك، ويقولون ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾ فأرشد الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ أي: هو واقع لا محالة.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي: سيكون بعثكم يوم يصير النداء الذي ينادي فيه الإلَه الخلائق بأسمائهم للنشور من القبور فتجيبون دعوته وأنتم تحمدونه على إحيائكم ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وحين تسمعون النداء للبعث سوف تظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا من الوقت.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن البعث والحساب حقيقة لا مراء فيها، وذلك رد على المشركين الذين شككوا في ذلك. وفيه توجيه الله لرسوله محمد ﷺ أن يرد على المشركين مقولتهم بالجواب الدعَوِي اللين لعلهم يفهمون ما ينفعهم.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ قيل: إنها نزلت في عمر بن الخطاب حين شتمه رجل من العرب فهم بمعاقبته[1] والمراد أمر الله لرسوله محمد ﷺ أن يبلغ أمته أن يكون تخاطبهم وتعاملهم وفي دعوتهم إلى الله بالقول الحسن ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ أي: إنهم إن لم يكونوا بهذه الصفة من القول؛ فإن الشيطان سوف يفسد بينهم فيفرقهم ويغويهم، كما أغوى أباهم آدم من قبل ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٦، وتفسير البغوي ص٧٤٥ .

﴿لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: إن عداوته ظاهرة بيِّنة منذ أن أبى السجود لآدم احتقارا له وتكبرا عليه.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: هو العالم بأحوالكم، ومن منكم يستحق الهداية بسبب امتثاله وانقياده وطاعته لله ومن لا يستحق هذه الهداية بسبب إعراضه؟ ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ أي: يوفقكم لطاعته ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بسبب إعراضكم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أنك يا محمد لست بوكيل، إنما أنت تبلغهم وتنذرهم ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو أعلم بما عليه عباده من الطاعة وما هم فيه من المعصية، كما أنه أعلم بأحوالهم ونياتهم وما يبدونه وما يخفونه في نفوسهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وكما فضَّل الله بعض الخلق على بعض في حظوظ الدنيا والآخرة فإنه فضَّل بعض النبيين على بعض؛ فالرسل مفضَّلون على الأنبياء؛ لأنهم يجمعون بين صفتي النبوة والرسالة، بينما أن للأنبياء صفة النبوة وحدها ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ في هذا بيان لعلو مكانته.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التعامل بالقول الحسن كما قال عز وجل ﴿وَجَٰدِلْهُم

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[٢]. تقرير وجوب الحذر من الشيطان؛ لأن من مهمته الإفساد بين المؤمنين. تقرير أن رسالة رسول الله ﷺ إلى العباد ليست في صفة الوكالة عليهم، وإنما هو مبلغ ومنذر لهم فحسب. تقرير تفاضل الأنبياء، فالرسل أفضل من الأنبياء، وأولو العزم من الرسل أفضلهم، وهم رسول الله محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم كما قال عز وجل ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[٣].

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت لما حل الجدب بقريش وشكوا حالهم إلى رسول الله ﷺ والمراد أن الله أمر نبيه

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الشورى من الآية ١٣ .

ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: ادعوا آلهتكم وأصنامكم الذين تعبدونهم من دون الله هل يملكون لكم نفعا أو يدفعون عنكم ضرا؟[١].

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي: لا يستطيعون دفع الضر عنكم؛ لأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا؛ فكيف يملكون ذلك لغيرهم؟ ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يستطيعون تحويل الضر عنكم إلى غيركم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: إن هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله يطلبون القرب من الله ويرجون أن يدخلهم الجنة. قيل: إنها نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن فأسلموا وبقي الذين يدعونهم على شركهم[٢] ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: إن أقربهم إلى الله هو الذي يرجو رحمته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أي: يخشونه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي: يجب على العبد الحذر منه وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الذين يعبدون من دون الله لا يدفعون عمن يعبدهم ضرا، ولا يجلبون لهم نفعا، وأن المعبودين يتقربون إلى الله ويرجون ثوابه ويخافون عقابه، فمن كانت هذه حاله فلا يمكن عقلا أن يعبد من دون الله.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٧٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٧٩ .

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾.

بيان الآيات

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ هذا بيان من الله عز وجل بأنه قضى أن أهل كل قرية ظلموا سوف يتعرضون للهلاك والعذاب ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي: كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ لما دعا رسول الله ﷺ قريشا إلى الله قالوا -كما سبق الإشارة إليه- إن أردت أن نصدقك ونؤمن بما جئت به، فادع ربك أن يزحزح عنا الجبال، لتكون أرضنا سهلة نزرع فيها، وادعه كذلك أن يجعل لنا جبل الصفا ذهبا، فأوحى الله إليه أني سمعت ما قالوا، فإن شئت أن نعطيهم الذي قالوا، فإن لم يفعلوا نزل بهم العذاب، فإنه ليس بعد نزول الآية إمهال، وإن شئت استأنيتُ بهم فقال: (**يا رب استأن بهم**)(١).

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ وهذا مثل ضربه الله

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٦، والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٨١ .

لهم وهو قوم صالح فلما أعطاهم الله الناقة التي تدل على صدق نبيهم صالح ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ أي: أنكروا أنها من عند الله فأخذهم الله بالعذاب ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ أي: لتخويف الذين تنزل فيهم الآيات ثم يكذبونها.

أحكام ومسائل الآيتين

تقرير حكم الله وحكمه الحق أن الظالمين معرضون للهلاك والعذاب كما قال عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[2]. تقرير أن الله إذا أرسل الآيات إلى قوم ثم كذبوها أهلكهم الله كما فعل مع قوم صالح وغيره من الأمم البائدة.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾.

بيان الآية

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ المراد إن الله عصمك من الناس أن يتعرضوا لك بسوء، فلا تخف بل امض إلى إبلاغ رسالتك

---

(١) سورة القصص من الآية ٥٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ١١٨ .

والله حافظك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ المراد ما رآه رسول الله ﷺ حين أسري به من عجائب قدرة الله ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ المراد أن الإسراء بك يا محمد كان فتنة لأهل مكة أي: امتحانا لهم هل يصدقون أم يكذبون، وقد كذب قوم منهم فارتدوا فكانت هذه فتنة لهم. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي شجرة الزقوم والمراد أنهم لما خوفوا بهذه الشجرة سخروا واستهزؤوا، وقالوا: إن الزقوم هو التمر والزبد يخلط بعضه مع بعضه ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ أي: نخوفهم فما يزيدهم هذا التخويف إلا تجبرا وطغيانا.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله عصم رسوله محمدا ﷺ من إيذاء المشركين له وأن الرؤيا التي رآها ليلة الإسراء كانت اختبارا لأهل مكة، إما أن يصدقوا بها أو يكذبوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كذب، فارتد بعد إسلامه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وهذا سجود تقدير واحترام، وليس سجود عبادة -كما سبق ذكره- ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أي: امتثلوا فسجدوا لآدم إلا إبليس، فقد تكبر واستكبر وقال ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: لن أسجد لمن خلقته من طين، وأنا خلقت من نار، كما قال الله عزوجل عنه ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[1]. ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ أي: قال إبليس ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أي: جعلته أفضل مني عندك، بينما هو خلق من طين وأنا خلقت من نار ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ أي: لأستولين عليهم فأضلهم عن الطريق المستقيم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا المعصومين منهم ممن لم أستطع غوايته.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ لما لعن الله إبليس وطرده من رحمته وأنزله من ملكوته؛ بسبب عصيانه السجود لآدم طلب من الله أن ينظره فلا

---

(١) سورة ص من الآية ٧٦ .

يميته حتى تقوم الساعة كما قال الله عز وجل عنه ﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1]. ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[2]. وحينئذٍ قال عزوجل له ﴿ ٱذْهَبْ ﴾ أي: اعمل ما ترى ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من أطاعك من ذرية آدم ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ أي: سيكون جزاؤك وجزاؤهم جهنم جزاء وافرا لا نقص فيه ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾ أي: استنزل ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ أي: بدعوتك له إلى المعاصي والمنكرات ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ أي: أنزل عليهم وتسلط عليهم بما تستطيع من جنودك من خيال وراجل ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ أي: زيِّن لهم الربا، وأكل الحرام وأكل المال بالباطل، وزيِّن لهم الزنى، والفواحش ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ أي: أسبغ عليهم الوعود الكاذبة ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ أي: ما يعدهم به من الأماني والوعود ما هو إلا كذب؛ لأنه يتخلى عنهم بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥ .

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٢٢ .

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ في هذا بيان من الله بأن عباده المؤمنين الصادقين لا ينال الشيطان منهم شيئا لا في أنفسهم، ولا في أموالهم، ولا أولادهم، فهم قد عصموا أنفسهم بالكفر به وبما يوسوس به ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ أي: كفى به حافظا ورقيبا ومؤيدا لعباده المؤمنين.

تقرير عصيان إبليس بامتناعه عن السجود لآدم وتكبره عليه وتهديده أن يستولي على ذريته ويغويهم بالمعاصي والمنكرات وارتكاب الفواحش انتقاما من تفضيل الله لأبيهم آدم عليه، وهذا يقتضي مجاهدة العبد لنفسه بعصيان إبليس وعصمة نفسه عن المعاصي حتى يكون ممن عصمهم الله من إفساده وغوايته. تقرير أن إبليس يعمل على اتباع العباد له عن طريق تزيين الربا لهم، وأكلهم الحرام، وارتكاب الفواحش والمنكرات. تقرير أن الله توعده ومن اتبعه بالعذاب الدائم. وتقرير أن عباد الله المؤمنين لا يمسهم الشيطان بسوء.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه هو الذي يسوق بأمره السفن في البحر ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: لتحمل أموالكم وتجاراتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي: راحما لكم بتسخيره السفن؛ لتجري على الماء رغم ما في ذلك من المخاطر ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي: إذا تعرضتم للخطر في البحر كالغرق أو هبوب العواصف ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي: زال عنكم ما كنتم تعبدون وتظنون أنهم ينفعونكم من دون الله ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: لما أنجاكم من المخاطر وصرتم في البر في أمان وسلام توليتم عن الحق ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ أي: إن الإنسان يكفر بنعم الله إلا من عصمه وهداه.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ المراد أن الله قادر على أن يخسف بكم وأنتم في البر بعد أن نجاكم من البحر، فلا تأمنوا عقابه

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: أنه قادر على أن يرسل عليكم ريحا شديدة فيها حصى ترميكم به ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: حينئذٍ لن تجدوا لكم وليا يواليكم، أو ناصرا ينصركم من دون الله ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ المراد هل تأمنون من أن الله أن يعيدكم مرة أخرى إلى البحر ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: الريح العاتية التي تعصف السفن فتفرقها ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ أي: لن تجدوا لكم حينئذٍ معينا ليثأر لكم منا.

أحكام ومسائل الآيات

تقرير أن الله هو الذي يسيِّر السفن في البحر بأمره وليس بقوتها أو قوة من فيها وهذه هي عقيدة المؤمن؛ لأن كل ما يحدث في الكون هو بأمر الله وحكمته. تقرير سوء سلوك المشركين وكونهم يدعون الله ويلجأون إليه عند الشدائد ثم يعودون إلى الكفر بعد نجاة الله لهم منها. تقرير وعيد الله لهم بالعذاب، سواء كانوا في البر أو البحر.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾.

بيان الآية

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه كرم بني

آدم وشرفهم بما ميزهم عن سائر المخلوقات الأخرى بأن ركَّبهم، وصوَّرهم أحسن تصوير، وجعل لهم أسماعا وأبصارا وعقولا يهتدون بها ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: سخر لهم الدواب يمشون بها في الأرض وسخر لهم السفن يسيرون عليها في البحر ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: هيأنا لهم أنواع النعم من الحبوب والفواكه ومختلف الثمار والأنعام ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي: فضلهم الله على كثير من مخلوقاته كالجن والحيوانات.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير تفضيل الجنس البشري وتكريمه كما قال عزوجل ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[(١)]. وقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(٢)]. وتكريم الله لبني آدم يقتضي وجوب التساوي بينهم في الحقوق والواجبات وعدم جواز تفضيل بعضهم على بعض إلا بالتقوى كما قال عزوجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٣)]. كما أن تكريمهم يقتضي عدم استعبادهم أو إذلالهم أو إهانتهم أو التنقص من آدميتهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

---

(١) سورة غافر من الآية ٦٤ .

(٢) سورة التين الآية ٤ .

(٣) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

فَأُولَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ المراد يوم القيامة يدعى كل إنسان بالذي كان يقتدي به في الخير أو الشر ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ أي: من كان من المؤمنين أعطي كتابه بيمينه فيقرؤه مستبشراً بما فيه من الفوز له ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقص من عمله فتيلا وهو الخيط الرقيق في شق نواة التمر ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ أي: من كان كافرا في الدنيا بآيات الله وبيناته وبراهينه ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: أشد عمىً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: وأشد ضلالا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الناس يدعون يوم القيامة بمن كانوا يتبعونهم في الهدى أو الضلال، فيعطى المؤمن كتابه بيمينه فيستبشر به كما قال عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾(١). ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾(٢). ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٣). ﴿فِى جَنَّةٍ

(١) سورة الحاقة الآية ١٩.
(٢) سورة الحاقة الآية ٢٠.
(٣) سورة الحاقة الآية ٢١.

عَالِيَةٍ ﴾(1). ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾(2). ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾(3).

تقرير أن من كان زائغا عن الحق في الدنيا متبعا هواه فإنه يكون في الآخرة كذلك.

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ أي: حاولوا أن يصرفوك عن طريق الحق، ولكن الله حاميك وحافظك من شرورهم وفتنهم ﴿ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: حكم القرآن ﴿ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ أي: لتقول عنا مالم نقله ﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ أي: لو وافقتهم على ما قالوا لجعلوك صديقا لهم. قيل: إن هذه الآية نزلت في وفد ثقيف، فقد سألوا رسول الله ﷺ أن يمتعهم بآلهتهم سنة حتى يحصلوا على

---

(1) سورة الحاقة الآية ٢٢ .

(2) سورة الحاقة الآية ٢٣ .

(3) سورة الحاقة الآية ٢٤ .

ما يُهْدَى لها ثم بعد ذلك يكسرونها ويسلمون. كما سألوه أن يحرم واديهم كما حرمت مكة فتعرف العرب فضلهم. فهمّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك فنزلت هذه الآية(١).

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ أي: حميناك من موافقتهم ﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تميل وتوافقهم على طلبهم ﴿ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ أي: كدت تركن إليهم ركونا قليلا ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ أي: لو ركنت إليهم لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدينا، ومثلي عذاب الممات في الآخرة ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ أي: لن تجد لك حينئذ ناصرا ينصرك من دون الله.

أحكام ومسائل الآية

تحريم الركون إلى أهل الكفر والظلم؛ بغية إرضائهم أو التقرب إليهم، وما يترتب عليه من الجزاء المضاعف كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٢).

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٧، وتفسير البغوي ص٧٥٠ .

(٢) سورة هود الآية ١١٣ .

مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ ﴾ نزلت هذه الآية في أهل مكة لما أرادوا إخراج رسول الله ﷺ كما قال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾(١). ﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: لم يمض الذين حاولوا إخراجك من مكة إلا قليلا من الوقت ثم قتلوا يوم بدر ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ ﴾ أي: ما حصل لهم من القتل في بدر كان قد حصل لغيرهم من الأمم التي كذبت رسلنا ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ أي: لا تتبدل ولا تخلف، بل هي ثابتة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تتغير ولا تتحول، ولا تتبدل كما قال تعالى ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٢).

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ

---

(١) سورة محمد الآية ١٣ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ المراد زوالها فإذا زالت وجبت الصلاة، وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ظلمته ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ هذا بيان من الله يتضمن الأمر لرسول الله ﷺ بالتهجد في الليل بعد النوم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ المراد إذا فعلت هذا يا محمد سوف نقيمك يوم القيامة المقام المحمود والمراد به يوم يقوم رسول الله ﷺ يسأل ربه الشفاعة للخلائق.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة وتحديد أوقاتها من زوال الشمس إلى ظلمة الليل، ويشمل هذا الوقت صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء. تقرير أن الملائكة تشهد صلاة الصبح كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة**

بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)[١].

تقرير أن رسول الله ﷺ يشفع للناس يوم القيامة، فيكون أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ لما أمر الله رسوله محمدا ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة أنزل عليه هذه الآية، والمراد أدخلني المدينة دخولا لا أرى فيه ضررا ولا سوءا ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي: أخرجني من مكة إلى أن تيسر لي العودة إليها[٢] ﴿ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ أي: يسر لي أسباب النصر لإعلاء كلمتك، ونشر دينك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، برقم (٧٤٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٢٦ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص١٤٨ .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ أي: جاء دين الله الإسلام واندحر الشرك وعبادة الأوثان ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ أي: لا بقاء ولا حياة له والمراد لقد انتصر دين الله وانهزم المشركون.

أحكام ومعاني الآيتين:

الحكم بأن الحق هو الذي يبقى ويستمر، أما الباطل فيذهب ويزول كما قال عز وجل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1]. ولما دخل رسول الله ﷺ مكة ورأى حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنما جعل يطعنها بعود في يده ويقول ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[2].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ في هذه الآية حكمان: أولهما: أن القرآن يشفي القلوب بزوال الجهل والظلمة عنها فتؤمن بالله وتعرف أنه حق، وهذا هو الشفاء الذي ينفع صاحبه

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص١٥٢، وتفسير البغوي ص٧٥٦، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ برقم (٤٧٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٥٢ .

في الآخرة. الثاني: أن في القرآن شفاء للأمراض الظاهرة التي تصيب الإنسان فيرقى به منها ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: لا ينتفع به الظالمون؛ لأنهم لم يؤمنوا به ولم يصدقوه، فهم مبعدون عن فضائله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن القرآن يشفي القلوب من الجهل والضلال، فمن اهتدى بأحكامه هداه الله، ومن ضل عنه أضله الله كما قال عز وجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾(١).

تقرير أن في القرآن شفاء للأمراض الجسدية، وفي حديث أبي سعيد الخدري أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق ؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرُونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء، فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه فضحك وقال: (**وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم**)(٢).

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، برقم (٥٧٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٢٠٨ .

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن الإنسان إلا من هدى الله إذا أعطاه النعم كالمال أو الصحة أو الولد أعرض عن طاعة الله وشكره على ما أولاه له من هذه النعم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ أي: إذا تعرض لمصيبة أو حادثة قنط من رحمة الله ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أن يقول للناس كل منكم يعمل على نيته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: يعلم المهتدي من الضال فيجازي كلا منهما بعمله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير السلوك السيء لبعض الإنسان، وذلك حين ينعم الله عليه فيعرض عن طاعته، ويتذمر إذا أصابه حادث أو عارض من العوارض كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[1]. تقرير أن كل واحد سوف يجازى على عمله وحسب نيته.

---

(١) سورة يونس من الآية ١٢ .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ الروح: هي التي يعيش بها البدن، فإذا فارقته مات، وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح فقال: ما رابكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا: سلوه؟ فسألوه عن الروح فأمسك عليه الصلاة والسلام، فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] أي: ما آتى الله الخلق من العلم إلا قليلا مما عنده.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن أمر الروح مما استأثر الله به لنفسه، فلا يعلمه أحد من خلقه فلا يدري المرء متى تفارق روحه جسده كما قال عز وجل ﴿ وَمَا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٨٠، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾، برقم (٤٧٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٥٣، ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، برقم (٢٧٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٩٧٢ .

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[1].

ومن الأحكام: أن الله لم يعلِّم خلقه إلا قليلا من علمه.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝﴾.

بيان الآيات

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد بالذي يذهب القرآن أي: كما أنزلناه إليك نستطيع أن ننزعه منك ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: لن تجد عندئذ من يعيده إليك ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: إنه رحمة من ربك بك لن يفعل ذلك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ أي: بما أعطاكه من النبوة والرسالة، وأعطاك الشفاعة، وجعلك خاتم رسله ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ أي: اتفقوا وتعاهدوا ﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ في أحكامه، وتنزيله، وإعجازه، وبلاغته، ومافيه

---

(١) سورة لقمان من الآية ٣٤ .

من الفضائل ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ هذا نفي مطلق لقدرتهم على ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي: نصيرا ومعاونا، والمراد أنه لا أحد في الوجود يستطيع أن يأتي بالقرآن، أو أي كلمة مثله؛ لأنه كلام رب العالمين، وهذا لا يشبهه أحد من المخلوقين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا في القرآن الأمثال والقصص، لتكون برهانا ودليلا للاعتبار ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ والمراد أنه رغم هذه الأمثال أبى كثير من الناس، إلا أن يكونوا كافرين، والمراد بهم المشركون في مكة وكل من لم يعتبر بما جاء في القرآن.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد ينزع القرآن من الناس، تقرير عجز الإنس والجن وكل من في الوجود أن يأتي بمثل القرآن ولو اتفقوا كلهم على ذلك. تقرير أن القرآن قد بيَّن للناس الأمثال والبراهين والدلائل ليكون في ذلك عبرة لهم.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي قال المشركون لرسول الله ﷺ: لن نصدقك ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ أي: عينا جارية بالماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ أي: أن نرى لك جنة فيها نخيل، وأعناب، تتفجر فيها الأنهار كما قالوا ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أي: أنك وعدتنا أن السماء سوف تنشق يوم القيامة، فعجل لنا ذلك حتى نراه ونصدقك ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ أي: نراهم بالعين ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من الذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: تصعد إلى السماء ونحن نراك ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ أي: لن نؤمن إلا إذا صعدت إلى السماء ونزلت تأتي بكتاب لكل واحد منا؛ لكي نقرأه ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي: قل لهم يا محمد: سبحان الله أي: تنزه وتقدس لست إلا بشرا مرسلاً إليكم

لدعوتكم إلى هدايتكم، أما الذي بيده الملك والقوة فهو الله إن شاء أجابكم لما سألتم عنه، وإن شاء لم يجبكم فهو العالم بكم وبما تقولون وما تسألون عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سفاهة عقول المشركين، فإما أن يكونوا يعقلون ما طلبوه، وهذا لا يجيبهم إليه إلا الله فيكون سؤالهم لرسول الله ﷺ سؤال تعجيز، مع إصرارهم على الشرك، وهذا هو الغالب. وإما أن يكونوا يظنون أن رسول الله ﷺ يحقق لهم سؤالهم، فهذا جهل مطبوع على قلوبهم، بحيث لا يفرقون بين الخالق والمخلوق.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أي: ما صد الناس عن الهدى بعدما جاءهم إلا عجبهم واستغرابهم أن يبعث الله لهم بشرا مثلهم وهو معنى قوله ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ ونظيره قول الله عز وجل ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ

﴿مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾[١]. وقوله على لسانهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾[٢].

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ المراد أن الملائكة لو كانوا في الأرض ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ أي: أنزلنا عليهم ملكا من جنسهم ولمَّا كنتم بشرا أرسلنا لكم بشرا من جنسكم.

أحكام ومسائل الآيتين

تقرير أن الجهل منع بعض الناس من الهداية، حيث زعموا أن الله لا يبعث إليهم بشرا من جنسهم. تقرير أن الله لا يرسل إلا من تتجانس أفهامهم مع المرسل إليهم، فالملائكة يتجانسون مع الملائكة والبشر يتجانسون فيما بينهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآية

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ قيل: إن كفار قريش لما سمعوا قول الله ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ قالوا من

---

(١) سورة يونس من الآية ٢ .

(٢) سورة التغابن من الآية ٦ .

يشهد لك فأنزل الله هذه الآية(١) والمراد قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذا القول إن الله شاهد علي وعليكم، فإن كنت غير صادق فيما قلت، فإن الله سيعاقبني ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي: عليما بما يفعله عباده من الإيمان والكفر فيجازي كلا بعمله.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله شاهد على نبوة ورسالة رسوله محمد ﷺ، وأعظم به من شاهد، وهذا يقتضي حكماً أن رسول الله ﷺ لم يتقول على الله، ولم يقل إلا ما أوحي إليه، وفي هذا قال الله عز وجل ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾(٢). ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾(٣). ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾(٤).

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ هذا بيان من الله أن من يهديه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٣٢.

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٤.

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٥.

(٤) سورة الحاقة الآية ٤٦.

من خلقه، فهو المهتدي بحق ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من يضله الله فلن يكون له ولي أو نصير ينصره من دون الله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يسحب الله أهل الزيغ والضلال على وجوههم إلى جهنم ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أي: يسحبون وهم لا يرون ولا يتكلمون ولا يسمعون ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: كلما هدأت زادهم الله نارا شديدة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يهديه الله فهو المهتدي، وأن من يضله الله بسبب إعراضه لن يكون له ولي يواليه أو ناصر يناصره من دون الله. تقرير أن الظلمة يحشرون على وجوههم كما في الحديث أن رجلا قال: يا رسول الله أيحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**)[1].

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، برقم (٤٧٦٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٥٠.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلًا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ لما ذكر الله عز وجل أن الظالمين يحشرون على وجوههم ذكر السبب في ذلك، وهو أنهم كفروا بآيات الله، وكذبوا رسوله، واستهزؤوا بما جاءهم من عند الله وكذبوا بالبعث وقالوا ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾ أي: عظاما بالية ﴿ أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾ أي: هل يعقل أن نبعث من جديد بعدما تحولنا إلى رفات بال؟ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾ في هذا إنكار ووعيد لهم بأنهم لم يروا خلق الله للسموات والأرض، وخلقهم أنفسهم، وأن من كان هذا صنعه قادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم يوم القيامة كما كانوا قبل موتهم ﴿ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلًا لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ والمراد به يوم القيامة ﴿ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ أي: ورغم هذه البراهين وقيام الحجة عليهم استمروا على تكذيبهم وكفرهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من ينكر البعث سوف يعذب في جهنم، ولا ينكر ذلك

إلا سفيه؛ لأن الذي خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان والكون كله قادر على أن يعيد رفات الأموات كما كانوا.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾.

بيان الآية

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول للمشركين الذين سألوه أن يفجر لهم الأرض ينابيع: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ أي: لبخلتم ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ أي: بخيلا.

أحكام ومسائل الآية

تقرير أن البخل من طبائع الإنسان، إلا من كمل إيمانه فلا يبخل بما ينفعه في سبيل الله؛ لأن الآخرة عنده أجل وأكبر من الدنيا الفانية.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ

وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ هي العصا، وبياض اليد، وفلق البحر، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ﴾ أي: اسأل يا محمد اليهود إذ جاءهم موسى بهذه الآيات لقد جحدوها وما آمنوا، ولو أعطينا قومك ما سألوه من تفجير الأرض ينابيع وغيرها لما آمنوا ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ أي: ساحرا ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي قال موسى لفرعون: لقد علمت ما أنزل هذه الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ أي: براهين قاطعة ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ أي: هالكا إذا لم تؤمن ولم تصدق بما جاء من عند الله.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ أي: أهلكه الله ومن معه بعد أن أطبق البحر عليهم ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: قيل لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض أي: اسكنوا

في بقاع الأرض متفرقين، وبهذا فإن الله لم يحدد لهم أرضا معينة يسكنونها، بل جعلها مطلقة مما يدل على تفرقهم في الأرض ويؤيده قوله عز وجل ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: مختلطين من أراض وقبائل شتى.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله أعطى بني إسرائيل آيات تسعاً فلم يهتدوا, وهذا يقتضي أن الهداية من الله فهو الهادي. تقرير أن الله يجمع الخلائق على صعيد واحد، رغم تفرقهم في الدنيا في بقاع الأرض. تقرير أنه ليس لبني إسرائيل أرض معينة، بل هم متفرقون فيها؛ لهذا لا حجة لهم في أرض فلسطين.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ المراد به القرآن المجيد؛ فقد أنزله الله حاويا لأحكامه وشرعه ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: أنزله الله على نبيه؛ فهو باق على أصله كما نزل, لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ أي:

مبشرا لمن أطاع الله وأطاعك ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: لمن عصى الله وعصى ماجئت به.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ أي: أنزلناه مفرقا ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: تقرأه على مهل حتى يفهمه ويستوعبه السامع له ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أي: أنزلنا أحكامه شيئا فشيئا حتى لا ينفروا منه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن القرآن كلام الله حق لا ريب فيه، أنزله الله رحمة وبشرى للمؤمنين، تقرير أنه نزل مفرقا، وأنه نزل شيئا فشيئا حتى يستوعبه السامعون له. وفيه توجيه أن تكون قراءة القرآن على مهل كما قال تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[1].

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين سواء آمنتم بهذا القرآن أم لم تؤمنوا به فهو قرآن، أنزله الله من

---

(١) سورة القيامة من الآية ١٦ .

عنده حقا وعدلا وصدقا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ المراد بهم أهل الكتاب الذين آمنوا بكتابهم ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ أي: يسجدون لله على أسافل وجوههم ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ أي: نعظمه ونقر بإنعامه وإفضاله علينا وهدايتنا للصراط المستقيم ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ أي: إن وعد ربنا منجز نافذ، وأنه لا يخلف ما وعد به عباده الصالحين، وأول ذلك تنزيله كتابه العزيز وإرسال رسوله محمد ﷺ إلى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ أي: يخرون من القيام على أذقانهم, والذقن مجتمع اللحيين، وهو من أعضاء الوجه بمعنى أنهم يسجدون وهم يبكون من خشية الله متذللين خاضعين له ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: ويزيدهم القرآن خشوعا لله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مشروعية السجود لمن يقرأ آيات السجود أو يستمع لها.
تقرير فضيلة البكاء من خشية الله.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية: إن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يقول: **(يا الله، يا رحمن)** فقالوا: إن محمدا يدعونا إلى إلَه واحد بينما هو يدعو إلَهين، فرد الله عليهم أن اسم الله واسم الرحمن اسم واحد فادعوه بأي منهما[١] ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: إن له أكمل الأسماء وأعظمها وأفضلها ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ قيل: نزلت لما كان رسول الله ﷺ مستخفياً بمكة، وكان إذا صلى رفع صوته بالقراءة, فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن والذي أنزله، فنهى الله رسوله عن الجهر بالقراءة منعا لأذى المشركين[٢] ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ أي: لا تسرها كثيرا بحيث لا يسمعها أصحابك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ أي: اقرأ بين الجهر والسر.

---

(١) تفسير البغوي ص٧٦٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص٨٣٦ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٨٥، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾، برقم (٤٧٢٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٥٧ .

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يحمد الله الذي نزه نفسه عن المعايب والنقائص، فلم يكن له ولد كما كان اليهود والنصارى ينسبون ذلك إليه كذبا وكفرا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: لا يشاركه أحد في ملكوته، بل هو المالك الأوحد المتصرف في الكون العلوي والسفلي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يكن له ولي يواليه، أو نصير ينصره، بل هو الولي، والناصر، والمعز، والمذل، والقاهر، والقادر، وهو على كل شيء قدير. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: قدسه تقديسا كاملا منزها له عن الصاحبة والولد.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن لله الأسماء الحسنى والصفات العلا فينادى بهذه الأسماء كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١]. وهي تسعة وتسعون اسما. تقرير وجوب الثناء على الله وحمده وشكره وتنزيهه عن الولد والولي والنصير ووجوب تقديسه تقديسا كاملا.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف

هي مكية وآياتها عشر ومائة[1]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾.

بيان الآيات

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه هو المحمود المستحق للثناء على ما تفضل به على عبده ورسوله

---

(١) وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة كلاماً مفصلاً عن سبب نزول هذه الآية قال فيه إن وفداً من قريش برئاسة النضر بن الحارث ذهبوا إلى المدينة لسؤال أحبار اليهود وقالوا لهم إنكم أهل كتاب فأخبرونا عن صفة محمد وما يقوله فقال لهم الأحبار: سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم عنهن فهو نبي مرسل وإلا فهو رجل متقول.
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ثم سلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يفعل فهو متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ولما رجع الوفد إلى مكة سألوا رسول الله ﷺ فقال لهم: سأخبركم ما سألتم عنه غداً ولم يقل عليه الصلاة والسلام - إن شاء الله - فانقطع الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى أرجف عليه أهل مكة وقد شق ذلك على رسول الله ﷺ ثم جاءه جبريل بسورة الكهف. السيرة النبوية لابن إسحاق ج١ ص٢٧٣ .

محمد ﷺ من إنزال القرآن الذي ختم به الشرائع، وحدد فيه الحلال والحرام، وبيَّن فيه لخلقه ما يجب عليهم في دينهم ودنياهم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ أي: جعل أحكامه عادلة لا ميل فيها ولا اعوجاج ﴿قَيِّمًا﴾ واضحاً ومستقيماً ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: وفيه النذارة بالعذاب الشديد لمن كذبه أو خالف أحكامه ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وفيه البشرى للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المراد بهم الذين صدقوا القرآن وآمنوا به ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي: ثواباً من عند الله ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: خالدين فيه لا يزول عنهم ولا يتحول ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: وينذر هذا القرآن المشركين الذين جعلوا لله ولداً وعبدوا الملائكة وقالوا: إنهم يعبدونهم؛ لأنهم بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ﴾ أي: ليس لهم ولا لأسلافهم دليل على افترائهم وكذبهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: عظم افتراؤهم وكذبهم ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أي: إن ما قالوه هو كذب وافتراء على الله سيجزيهم عليه.

تقرير أن الله وحده المستحق للحمد والثناء على ما أنعم به على

رسوله محمد ﷺ وعلى أمته حين أنزل عليهم القرآن، وشرع لهم فيه ما هو حلال لهم، وما هو حرام عليهم. وتقرير سلامة القرآن من الميل والجور، وأنه جاء بشارة للذين يؤمنون به، ونذارة للذين يكذبونه.

ومن الأحكام: تحريم الكذب على الله بنسبة الولد إليه، فهو جل وعلا منزه عن الولد وعن الصاحبة، وعن كل تشبيه، أو تمثيل له بخلقه؛ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ المراد لا تهلك نفسك يا محمد حزناً وأسفاً على المشركين؛ لكونهم كذبوك، وكذبوا ما جئت به فما عليك إلا إبلاغهم رسالة الله، أما هدايتهم فمردها إليه. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ أي: إن ما في الحياة من المتع إنما هو زينة في الأرض ومتاع زائل. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ أي: نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي: من هو المخلص منهم في طاعة الله المتبع لشرعه وأحكامه. ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا

﴿عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أي: إنها ستؤول إلى الخراب بعد زينتها فتكون صعيداً أجرد لا تنبت شيئاً.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإضرار بالنفس ندماً على شيء لا حيلة للمرء فيه، وفيه قول الله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(١). تقرير أن زينة الأرض تتحول في يوم مَّا إلى مجرد صعيد، لا ينبت شيئاً، وفيه إشارة إلى أن الدنيا زائلة وأن الآخرة هي مقام الخلود، وفيه قول رسول الله ﷺ: **(إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)**(٢).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

---

(١) سورة فاطر من الآية ٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٣ ص٢٢، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، برقم (٢١٩١)، سنن الترمذي ج٤ ص٤١٩، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب فتنة النساء برقم (٤٠٠٠)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٥.

بيان الآيات:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾

المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أظننت يا محمد أن قصة أصحاب الغار في الجبل ﴿ ٱلۡكَهۡفِ ﴾ المدونة أسماؤهم في اللوح ﴿ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ كانوا من آياتنا عجباً. إن أمر هؤلاء الذين مكثوا مئات السنين، وهم رقود ليس عجباً في جانب قدرة الله وعظمته، فإن قدرته في خلق الكون، وخلق الخلائق، وموتهم، وبعثهم هي أعجب من أصحاب هذه القصة. ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾ أي: سكن هؤلاء الشبان في غار جبل فراراً بدينهم ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴾ أي: دعوا الله أن يرحمهم وأن يكتب لهم طريق الرشد والهداية. ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أي: سددنا آذانهم عن نفوذ سماع الأصوات إليها، وهذا غاية في الاستغراق في النوم فلا يسمعون من يناديهم ومكثوا عدداً من السنين على تلك الحال في الغار. ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم ﴿ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ أي: ليعلم المختلفون مدة نومهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نبوة رسول الله ﷺ وذلك بوحي الله له عن قصة أصحاب الكهف حتى يقصها على الذين سألوه عنها وأن أمر هذه القصة ليس

فيه عجب، بل أعجب منه قدرة الله في خلق السموات والأرض وما فيهن كما قال تعالى ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. وفيها: تقرير أن الله يستجيب للمؤمنين من عباده كما قال عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[2].

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ أي: نقص عليك يا محمد قصة أصحاب الكهف ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ أي: شبّان اتقوا الله وآمنوا به وصدقوا ما جاء من عنده وفروا بدينهم وفضلوا السكن في

---

(١) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

كهف الجبل على السكن مع قومهم الكفار ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ أي: بصرناهم بدينهم، واستجبنا لدعائهم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ثبتناهم على الدين ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ أي: قاموا في وجوه قومهم وملكهم فقالوا: لن نعبد الأصنام التي تعبدونها فأنتم في ضلال، ولن نكون معكم على ضلالكم، وليس لنا رب إلا رب واحد هو رب السموات والأرض وليس لنا إلا إلَه واحد، ولن نعبد إلَهاً غيره ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: لو عبدنا أصنامكم لكنا ارتكبنا إثماً وكفراً.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ المراد أن قومنا اتخذوا آلهة غير الله جهلاً وضلالاً ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ أي: فعلوا ذلك دون حجة أو برهان ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم ممن كذب على الله باتخاذه آلهة يعبدها من دونه ويزعم أن ذلك من طاعة الله.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ المراد أنهم تناجوا بينهم فقالوا: إذ كنتم تخالفون قومكم فيما يفعلونه من الشرك، فالأولى أن تهاجروا إلى مكان آخر حتى لا يفتنوكم عن دينكم ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: اذهبوا إلى مغارة الجبل ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي: ينجيكم من شر ما يصيبهم من العذاب وينزل عليكم

رحمته. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ أي: ييسر لكم ربكم ما تنعمون به في حياتكم من المأوى وغيره إذا عرف نيتكم وقصدكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الهجرة من المكان الذي يضطهد فيه المرء في دينه كما قال تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1]. وفيها تقرير أن أصحاب الشرك والكفر إنما يفترون على الله الكذب، وهؤلاء هم أظلم الخلق كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2].

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي: ومن رحمة الله بهم أن الشمس إذا طلعت مالت عن الكهف ذات اليمين ﴿وَإِذَا

(١) سورة النساء من الآية ١٠٠.
(٢) سورة يونس الآية ١٧.

غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ أي: تميل عنهم فلا يتعرضون لها ﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ أي: في شق من الكهف يدخل عليهم فلا تحتبس أنفاسهم، بل ينالهم البرد ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: هذا الذي تهيأ لهم من وجودهم في الكهف هذه السنين وميلان الشمس عنهم، وعدم تعرضهم لسوء هو من آيات الله ورحمته بهؤلاء المؤمنين ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ أي: أن من يهديه الله إلى اتباع الحق فهو المهتدي ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ أي: من يضلل الله؛ بسبب اتباعه لهواه فلن يهديه أحد من بعده.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يكرم أولياءه المتقين، ويهيئ لهم من أمرهم ما يسعدون به في الدنيا والآخرة كما فعل بأصحاب الكهف. وفيها تقرير أن الهداية من عند الله، ومن يلتمس الهداية من غيره فقد ضل ضلالاً مبيناً.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ أي: ويظنهم من ينظر إليهم

أنهم أيقاظ؛ لأن عيونهم مفتحة بينما هم نيام؛ لأن عيونهم لو أغمضت لتعرضت للأذى ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: يتقلبون بقدرة الله حتى لا تأكل أجسادهم الأرض، وحتى لا يملوا إذا ناموا على جنب واحد ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: مادٌّ ذراعيه عند مدخل الكهف بمثابة حراسة لهم، مع أنه كان نائماً معهم ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أي: لو رأيتهم على شاكلتهم تلك لفررت منهم؛ لأن الله أنزل عليهم المهابة حتى لا يقربهم أحد ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي: لتملكك الرعب بسبب هذه المهابة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير قدرة الله عز وجل فيما صنعه بهؤلاء الفتية وحمايته لهم عدة سنين. وفيها: جواز اقتناء الكلب للحراسة فحسب.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾ أي: أحييناهم بعد رقادهم ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضاً ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ ﴾ أي: كم المدة التي رقدتموها هنا في هذا الكهف ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ ﴾ أي: يوماً أو بعضه؛ ذلك أنهم رقدوا في أول النهار وبعثوا في آخره، وقد شكّوا في مدة رقادهم فقال أحدهم ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ أي: هو العالم بالمدة التي مكثتموها في نومكم ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ ولحاجتهم إلى الطعام بعد بعثهم قالوا: يذهب أحد منكم بالنقود التي معكم إلى المدينة ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ ﴾ أي: يرى الطعام الطيب وليأت منه بشيء وليتلطف في القول والمخاطبة مع الناس حتى لا يشك فيه أحد ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾ أي: لا يعلم أحد عنكم وكان قولهم هذا بسبب خوفهم من ملك قومهم والمشركين من قومهم ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ ﴾ أي: إن عرفوكم، فسوف يرجمونكم ويعذبونكم ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾ أي: عبادة الأصنام ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ أي: إذا وافقتموهم على دينهم، فلن يكون لكم فلاح ولا سعادة في الدنيا ولا في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير صحة الوكالة وهي: عقد نيابة أباحه الله بداعي الحاجة والمصلحة، وشاهده من السنة حديث جابر بن عبد الله قال: إني أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت له إني أردت الخروج إلى خيبر فقال: (**إذا أتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقاً فإن ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته**)[(١)].

وفيها تقرير أن الطعام يجب أن يكون طيباً وحلالاً. كما قال عزوجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[(٢)].

وفيها: وجوب التلطف في المعاملة والسماحة فيها كما قال رسول الله ﷺ: (**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**)[(٣)].

وفيها: وجوب الحذر من الوقوع في الكفر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية، باب في الوكالة برقم (٣٦٣٢)، سنن أبي داود ج٣ ص٣٠٩.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف برقم (٢٠٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٣٥٩ .

بيان الآية:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل البلد الذي كان فيه الكهف قيل: إنهم كانوا على دين الله بعد أن مات ملكهم السابق وتبدلت أجيال بمرور الزمن، وقد اختلفوا في بعث الأجساد من القبور وقالوا: إنما تحشر الأرواح، أما الأجساد فتأكلها الأرض، وقد تضرع ملكهم إلى الله أن يبيِّن له الحق فأعثره الله على أهل الكهف؛ ذلك أن أحدهم لما ذهب إلى المدينة ليجلب الطعام لأصحابه استنكر الناس النقود التي كانت معه، فجيء به إلى الملك فقال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد الملك السابق فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم.

ثم سار الملك ومن معه إلى الكهف فرآهم وقد سرّوا به وسرّ بهم. وقيل: إنهم ماتوا بعد ذلك ميتة الحق[١] ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ أي: ليعلم ملك ذلك البلد وأهله أن بعث الناس من قبورهم حق، وأن قيام القيامة عند أجلها حق ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡ﴾ أي: يتجادلون فيما يفعلون بهم. ﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾ أي: إن منهم من قال: نسد عليهم باب الكهف ونذرهم وماهم عليه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ والمراد بهم أهل الكلمة عند الملك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن مطولاً ج١٠ ص٣٧٨ .

أحكام ومسائل الآية:

النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، والبناء عليها، والصلاة عندها.

وشاهد ذلك أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة**)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: (**لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)[2].

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾.

بيان الآية:

﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ أي: سيقول الذين اختلفوا في عددهم، وقد يكون المراد بهم اليهود الذين سألوا رسول الله ﷺ ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أي: عددهم ثلاثة، والرابع كلبهم ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ؟ برقم (٤٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ؟ صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦٢٤ .

كَلْبُهُمْ ﴾ أي: أنهم خمسة، والسادس كلبهم ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أي: أن هذين القولين ظناً من غير علم ويقولون ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أي: ويقول هؤلاء المختلفون إن عددهم سبعة والثامن كلبهم، ولم يقل الله عن هذا القول شيئاً فقد يكون هذا العدد صحيحاً، وقد يكون غير ذلك ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي: لا يعلم عددهم إلا الله ثم قليل من الناس، وقال ابن عباس: أنا من القليل الذي يعلم عددهم لقد كانوا سبعة[١].

﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أي: لا تجادل فيهم إلا جدالاً يسيراً؛ لأن الجدل في عددهم ليس مهما ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم، بل اتبع ما جاءك من العلم من الله.

أحكام ومسائل الآية:

النهي عن الجدل في الأمور غير المهمة، وعدم سؤال أهل الكتاب أو مراجعتهم في علوم الدين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ هم بسؤال نصارى نجران عن أهل الكهف لما وفدوا عليه فنهي عن ذلك[٢].

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٢٢٦، والدر المنثور ج٤ ص٣٩٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٨٤ .

ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذا نهي من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ عن أن يقول قولاً لا يرده إلى مشيئة الله عز وجل؛ لأن مرد الأمور صغيرها وكبيرها إليه، فلا يكون إلا ما شاء وأراد ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي: إذا نسيت الاستثناء عند عزمك على الفعل فاستثن إذا ذكرت ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ أي: إذا سئلت عن شيء لا تعرفه، فتوجه إلى الله بالسؤال، عسى أن يعلمك ما لم تكن تعلم، ويدلك على ما لم تكن تعلم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب الاستثناء بالمشيئة قبل العزم على الفعل؛ إذ ليس للعبد قدرة على فعل ما يعزم عليه، إلا إذا أراده الله ووفقه إلى فعله وقد عاتب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ على قوله لليهود لما سألوه عن أهل الكهف والروح وذي القرنين سأخبركم عن ذلك غداً ولم يستثن فانقطع عنه الوحي، ولم يستطع إجابتهم إلا بعد أن نزل عليه

جبريل بسورة الكهف بعد خمسة عشر يوماً من قوله لهم عليه الصلاة والسلام. ومنها: وجوب ذكر الاستثناء بعد نسيانه ومن سئل عن شيء لا يعلمه، عليه أن يسأل الله عز وجل أن يعلمه ما لم يكن يعلم.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا بيان من الله أن أصحاب الكهف أقاموا رقوداً في الكهف ثلاثمائة سنة شمسية ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي: صارت مدتهم ثلاثمائة وتسع سنوات بالسنة الهلالية. ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي: لا يعلم مدة لبثهم في الكهف إلا هو ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو عالم الغيب في الكون العلوي والسفلي ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: هو البصير بأحوالهم، السميع لأقوالهم ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: لا ولي لخلقه إلا هو ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي: هو المتفرد بالأمر والحكم، فلا يشاركه في أمره أحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن أهل الكتاب لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي، أما بالحساب القمري فقد لبثوا ثلاثمائة وتسع سنين. تقرير اختلاف أهل الكتاب حول مدة بقاء أهل الكهف في كهفهم، وأنهم لا يعلمون شيئاً عن هذه المدة. الحكم بأن الله هو الذي يعلم هذه المدة؛ لأنه يعلم الغيب في الكون كله ويتصرف فيه وحده دون شريك له فيه.

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتلو كتاب الله الذي أنزل إليه فما جاء به هو الحق والخبر الصادق، سواء عن قصة أهل الكهف أو القصص والأحكام الأخرى ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي: لا مغير لهذا الكتاب، لا

في قصصه، ولا في أحكامه، ولا في ألفاظه؛ لأنه كلام الله المعجز الذي لا يضاهيه كلام أحد من خلقه. ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن تجد لك ملجأ إذا خالفته.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ لقد صعب على المشركين وأجلاف العرب أن يروا رسول الله ﷺ يدني بلالاً، وصهيباً، وعماراً، وأبا ذر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من فقراء المسلمين فطلبوا منه أن يجلسهم لوحدهم معه ويضع للآخرين مجلساً غير مجلسه معهم، وقد يكون رسول الله ﷺ طمع في أن يسلم هؤلاء، فأنزل الله هذه الآية[1]. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: يبتغون مرضاته والمراد بهم فقراء المسلمين كما ذكر. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تتخطاهم إلى غيرهم رغبة في أن يدنو منك أصحاب الشرف والأموال.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: لا تطع ولا تسمع للذي غفل قلبه عن ذكر الله، ولم يكن همه إلا الدنيا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: لم يتبع ما جاء من عند الله، بل جعل هواه هو المرجع والحكم له ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ أي: وكانت أقواله وأفعاله كلها فساداً وتفريطاً وضياعاً وبعداً عن الحق.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٨٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٢٣٥.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب تلاوة كتاب الله تعالى بوصفه كتاب الحق والهداية، وأنه لا يتبدل في معناه، ولا في ألفاظه، ولا في أحكامه وهذا يقتضي وجوب تبليغه إلى من لم يبلغه كما قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾(١). والأمر لرسول الله أمر لأمته، بأن تتلو كتاب الله، وتحكِّمه في أقوالها، وأفعالها، وتبلغه إلى من لم يبلغه من الناس.

الحكم بوجوب التعامل مع المؤمنين، ومحبتهم، وتقديرهم، والتحذير من التعامل مع من غفل قلبه عن طاعة الله، واتبع هواه وكانت تصرفاته تصرفات فساد وضياع.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: قل يا محمد للناس وأنت تبلغهم أن ما جئتكم به من كتاب الله هو الحق الذي لا شك فيه؛ لأنه تنزيل

(١) سورة المائدة من الآية ٦٧ .

من عزيز حكيم. ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ أي: من شاء منكم أن يؤمن، فطريق الهداية واضح له، ومن شاء فليكفر أي: وطريق الكفر واضح له كذلك، وهذا تهديد لمن فعل ذلك بدليل قوله ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ أي: هيأنا للكافرين المكذبن بالحق ناراً يحيط بهم سور من نار فيها ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ أي: إذا طلبوا الغوث للنجاة من النار، وطلبوا ماء يطفئون به لهيب النار، أو شدة العطش غيثوا بماء غليظ رديء ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ أي: يلفح وجوههم من شدة حره إذا أرادوا شربه ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ أي: تعس هذا الشراب الذي يسقون به ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ أي: وبئس النار مكاناً ومقاماً.

أحكام ومسائل الآية :

الحكم بأن كتاب الله هو الحق، وأن ما عداه باطل، وأن المكذبين به سوف يلاقون العذاب، وإذا استغاثوا منه أغيثوا بما لا ينفعهم بل يزيدهم عذاباً وألماً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لما بيّن الله تعالى حال الظالمين ومآلهم بيَّن حال المؤمنين الذين عملوا الأعمال الصالحة، فاطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله، وصدقوا ما جاء به رسوله محمد ﷺ فوعدهم الله أنه لا يضيع أجرهم، بل يجزيهم على أعمالهم كما قال تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾. ثم قال مبيناً هذا الجزاء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ أي: لهم الجنات التي يقيمون فيها، فلا يزولون ولا يتحولون عنها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: تجري الأنهار من أسفل إقامتهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ أي: وتكون حليتهم في الجنات أساور من ذهب ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ أي: السندس ما رق ملمسه من الديباج، أما الإستبرق فما غلظ منه ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ أي: مرتاحين على السرر ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أي: طاب هذا الثواب وحسنت الجنة لهم مكاناً ومقاماً.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله لا يضيع أجر المحسنين في أعمالهم، كما قال عزوجل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وفيهما تقرير ما أعد الله للمؤمنين من النعيم في الآخرة.

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ هذا معطوف ومتصل بالآية السابقة في قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ أي: اضرب يا محمد لهؤلاء المشركين مثل رجلين، أحدهما مؤمن، والآخر كافر ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ أي: بساتين من العنب ﴿ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ أي: ويحيط بهذه البساتين نخيل ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ أي: ويتوسط ذلك زروع ونباتات ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ أي: أن كلا من الجنتين أثمرت وأينعت فيها الثمار ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ أي: لم تنقص من

(١) سورة النحل الآية ٩٧ .

ثمرها شيئاً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: ويتفجر نهر بين الجنتين؛ ليغمرهما بالماء ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أي: كان لهذا الكافر مال ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: قال لصاحبه المؤمن وهو يتحاور معه ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ أي: أنا أكثر منك عزاً وجاهاً؛ لأن لدي مالاً وليس لك مثله ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: أكثر قوة ومالاً. وما قال هذا القول إلا وهو يفخر بما لديه، ويتكبر به على صاحبه.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: دخل بساتينه وهو على حال من الكفر والكبرياء والتغطرس على المؤمن ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لما نظر إلى جنته وما فيها أخذه العجب فقال: إنها لن تهلك؛ لأن الله أعطانيها محبة منه لي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: ما أعتقد أن الساعة سوف تقوم ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ أي: إن قامت الساعة فسوف أجد جنةً أحسن من جنتي هذه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضرب الأمثال للناس؛ لتقريب فهم الأحكام والآيات إلى عقولهم لقوله عز وجل ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ

(١) سورة الحشر من الآية ٢١ .

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾[1]. ومن الأحكام: تحريم تكبر الإنسان على أخيه وإعجاب المرء بماله وولده وما يؤدي إليه ذلك من زوال النعم.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: قال له المؤمن وهو يجادله ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾ أي: كيف تنكر فضل الذي خلقك من تراب وأنت معدوم ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ أي: منيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ أي: جعلك إنسانا متكاملاً تسمع، وتبصر، وتتكلم، ثم مع هذا تشرك معه غيره ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أي: أنا على خلاف ما أنت عليه من الكفر والشرك، أعترف بأنه خلقني وصورني، وجعلني بشرا سويا ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ أي: أوحد ربي، ولا أشرك معه غيره، وأتبرأ ممن يشرك به.

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ أي: لو أنك إذا دخلت جنتك وأعجبت بها شكرت الله الذي أنعم بها عليك ﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: لا حول ولا قوة إلا به ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ أي: إن كنت تراني ضعيف المال والولد ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أي: ينعم علي في الآخرة بجنة هي أفضل وأعظم من جنتك في الدنيا ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: يبعث عليها عذاباً من السماء ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أي: تصبح أرضاً لا تنبت نباتا، ولا تثمر ثمرا ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ أي: يغور ماءها ويذهب ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ أي: لن تقدر على إعادته إليها.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الإنكار على من يجحد نعم الله وفضله عليه. ومن الأحكام: تقرير عقيدة التوحيد ومنها: وجوب ذكر الله عندما يرى المرء ما يعجبه لقول رسول الله ﷺ: **(من رأى شيئاً فأعجبه فقال ماشاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره عين)**[(١)].

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه إسماعيل بن محمد الجراحي في كشف الخفاء ومزيل الألباس، ج٢ ص١٠٠، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٧٦٧٠)، ج٦ ص٧٤٦.

عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أتلف الله جنته وما له من مال ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ أي: يضرب بيده على الأخرى جزعاً وندماً على ما أصابه ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: أصبحت جنته مرتدة على بعضها متهالكة من السقوط ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ أي: يتمنى وهو يتحسر على ما أصابه أنه لم يكفر بنعمة الله التي أنعم بها عليه ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: لم تكن له قرابة أو أصدقاء أو أقوام ينصرونه من دون الله ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ أي: لن يكون ناصراً لنفسه؛ لأنه لا ولي إلا الله ولا ناصر إلا هو.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: يوم القيامة لله القوة والعزة ﴿هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا﴾ أي: هو خير من يجازي بالثواب ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: خير عاقبة لمن توكل عليه وآمن به.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عاقبة من يكفر بنعم الله أن يسلبها منه، وحينئذٍ لا يجد

له وليا يواليه، أو ناصرا ينصره. تقرير أن القوة والعزة والسلطان ليست لأحد إلا لله عز وجل.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: اضرب لهم يا محمد أن مثل الحياة الدنيا ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مثلها كمثل المطر الذي أنزل على الأرض، فاختلط بها، فانبتت نباتاً مزدهراً جميلاً ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ ﴾ أي: بعد تلك النضرة الجميلة أصبح النبات حطاماً تفرقه الرياح من كل جانب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ أي: له القدرة المطلقة على جعل الحياة الدنيا على هذه الصفة من الازدهار ثم تحويلها إلى حطام.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ المراد أن المال والبنين مجرد زينة، يراها الإنسان ويسر بها، ويستمتع بها في حياته ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أما الأعمال الصالحة التي

يتقرب بها الإنسان إلى الله كأداء الفرائض والذكر، والتسبيح وبذل الصدقة ونحو ذلك من الاعمال الصالحة، فهذه الأعمال هي التي تبقى لصاحبها ذخيرة عند ربه يوم يلقاه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الحياة الدنيا مجرد عبور وما فيها من زينة، سرعان ما يتحول إلى حطام، وأن الأموال والبنين مجرد زينة ينتفع بها العبد ثم سرعان ما تنتهي، وأن ما يبقى له يوم القيامة هو العمل الصالح.

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ أي: اذكر يا محمد يوم تقوم القيامة فنسير الجبال، فتجتث من قواعدها، وتصير هباء. ونظيره قوله عز وجل ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾[1]. ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا

---

(١) سورة طه الآية ١٠٥.

صَفْصَفًا ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[٢].

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أي: وترى الأرض حينئذٍ ظاهرة لا أثر فيها ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي: جمعنا الخلائق الأولين والآخرين ولم يترك منهم أحد .

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ أي: يعرضون في صفوف متتالية صفاً بعد صف ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ أي: أتيتمونا حفاة عراة غرلا ليس معكم مال ولا ولد ونظيره قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[٣]. ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ هذا توبيخ لمنكري البعث الذين زعموا أن الحياة الدنيا هي نهايتهم.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أي: الكتاب الذي أحصيت فيه أعمال العباد ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ أي: تراهم خائفين مما كتب عليهم من أعمالهم السيئة، وحينئذ يجدون أعمالهم قد أحصيت عليهم كبائرها وصغائرها ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ أي: حسرتنا وحزننا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ أي: لم يترك من

---

(١) سورة طه الآية ١٠٦ .

(٢) سورة القارعة الآية ٥ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٩٤ .

أعمالنا شيئاً إلا أحصاه كاملا غير منقوص ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: وجدوا ما عملوه من حسنة وما عملوه من سيئة حاضرة أمامهم ونظيره قوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[2].

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: هو الحكم العدل لا يظلم أحدا من عباده، فلا يجازيه على عمل لم يعمله، بل يحاسبه على عمله ثم يرحم العاصي، ويتجاوز عن سيئاته، ويخلد أهل الشرك في النار وشاهده قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ذكر أهوال يوم القيامة أمام المنكرين للبعث. تقرير أن الخلائق يبعثون يوم القيامة كحالهم يوم خلقهم الأولي وتعريفهم بأعمالهم التي ارتكبوها في الدنيا حسنها وسيئها. والحكم بأن الله عدل لا يظلم أحداً من عباده. كما قال عز وجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٣٠ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٣ .
(٣) سورة النساء الآية ٤٠ .
(٤) سورة فصلت الآية ٤٦ .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تكريم وتشريف، لا سجود عبادة ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ وفي هذا بيان أن إبليس لم يكن من الملائكة، بل كان من الجن أي: من مارج من نار كما حكى الله عزوجل عنه أنه قال ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**)[2]. ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: عصاه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ أي: تتعلقون به، وتتبعونه بدلاً عني ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ أي: تعست عبادة الشيطان وأوليائه بدلاً عن عبادة الله.

أحكام ومسائل الآية :

تقرير أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة، وأنه عدو لبني آدم،

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، برقم (٢٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٧٥ .

والتحذير من اتخاذه وأتباعه أولياء من دون الله. الحكم بأن السجود الذي أمر به إبليس هو سجود تكريم لآدم، وليس سجود عبادة إذ إنه يحرم السجود لغير الله.

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾.

بيان الآيات

﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: لم أشهد أحداً من الخلق على خلق السموات والأرض، أو خلق أنفسهم وفي هذا رد على المنجِّمين وغيرهم ممن يتحدثون في الكون بأهوائهم، فقد حكم الله بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وخلق الخلق دون أن يشهد على ذلك أحداً ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ أي: ما كنت متخذ الشياطين من الجن أو الإنس أعوانا وشهودا في الخلق، فكيف تعبدونهم وتوالونهم، وهم مخلوقون مثلكم، لا يملكون لكم ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ ﴾ أي: اذكروا يوم

القيامة حين يقول الله للمشركين أين شركائي الذي أشركتموهم في عبادتي فليردوا العذاب عنكم؟ ﴿ فَدَعَوْهُمْ ﴾ أي: نادوهم ﴿ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾ أي: لم ينصروهم بشيء ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ أي: جعل بينهم واديا من جهنم، أو جعل بينهم وبين الأوثان التي كانوا يعبدونها حاجزا ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾ أي: شاهدوها عيانا ﴿ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ أي: تأكدوا أنهم داخلوها ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ أي: لم يجدوا غيرها مكاناً يذهبون إليه.

أحكام ومسائل الآيات

تقرير أن الله لما خلق السموات والأرض خلق الخلق على غير مثال سابق لم يشهد على ذلك أحدا، بل كان المتفرد بالتصرف فيما خلق. ومن الأحكام: تقرير أن المشركين يدعون شركاءهم يوم القيامة فلا يستجيبون لهم، ثم يرون العذاب فيتأكدون أنهم واقعون فيه، ولا محيص لهم منه.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يبيِّن الله

عز وجل أنه وضح في القرآن الأمثال التي تبين للناس طريق الحق والهداية وترشدهم للابتعاد عن طريق الضلال والغواية ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي: ورغم هذا البيان، فإن الإنسان كثير الجدل، والمراد به الكافر الذي يماري في الحق، ويجادل فيه ولا يقتنع بما يرى من الأدلة والآيات.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله بيَّن للناس في القرآن الأمثال والأدلة التي تدلهم على الحق وتبعدهم عن الضلال. تقرير أن من طبائع الإنسان الجدل والخصام كما قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. ومن الجدل ما هو محرم إذا كان الهدف منه رد الحق والقول بالباطل.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: ما منعهم أن يؤمنوا بما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله في إهلاك المكذبين لرسلهم من الأمم البائدة كما قالت أمة منهم ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]. وقالت الأخرى ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]. ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا﴾ أي: عيانا يرونه بأعينهم ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾ أي: إن رسالة رسلنا إلى أممهم، هي البشارة لهم بالسعادة إذا آمنوا والنذارة لهم بما سوف يصيبهم من العذاب إذا أعرضوا ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: يجادلون ظلماً وعنادا ليضعفوا الحق الذي جاءتهم به الرسل وآخرهم محمد ﷺ ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ أي: اتخذوا البينات والبراهين التي جاءتهم بها الرسل سخرية واستهزاء.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من أخطاء الإنسان عدم قناعته بما يراه من الحق فيجادل ويخاصم ظناً منه أنه على حق وهو غير ذلك. تقرير أن رسل الله لا يكرهون الناس على الدين، وإنما يبشرونهم بحسن العاقبة إذا آمنوا بما جاؤوهم به وينذرونهم بسوء العاقبة إذا تولوا وأعرضوا عنه.

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٨٧ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن تأتيه البينات من ربه فيتولى عن قبولها ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أي: تجاهل ما فعله من المعاصي فلم يتب منها ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ أي: جعلنا على قلوب هؤلاء المعرضين عن ذكر الله أكنَّة أي: أغطية وفي آذانهم وقرا أي: صمما ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ أي: وإن تدعهم يا محمد فلن يهتدوا بسبب الكفر الذي ران على عقولهم.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ أي: إن ربك يا محمد غفور رحيم للذين يتوبون ويرجعون عن ضلالهم ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: من السيئات والمعاصي ﴿ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ ﴾ أي: لأتاهم العذاب

بغتة وهم لا يشعرون ولكنه يمهلهم ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ أي: أجل محدد ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ أي: ملاذا وملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ المراد بهم قوم هود وصالح ولوط وغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها. أهلكهم الله لما كذبوا رسلهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتا معلوما لا زيادة فيه ولا نقص.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لا أحد أظلم ممّن كذب على الله كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(١). تقرير أن الله أعذر الناس بما بيَّنه لهم من الآيات على يد أنبيائهم ورسلهم. تقرير أن المرء إذا استمر في غيه رغم ما جاءه من البينات فسد عقله وأصبح من الهالكين. ومن الأحكام: أن الله لا يؤاخذ الناس بسيئاتهم، بل جعل لهم أجلاً معلوماً كما قال تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢١ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٤٥ .

مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ في رواية البخاري أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال: يا رب فكيف لي به ؟ [1] والمراد أن موسى قال لفتاه يوشع بن نون: لا أبرح أي: لا أزال ماشياً ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ وهو ملتقى البحر الأحمر والبحر الأبيض، أو ملتقى البحر الأحمر مع البحر الهندي ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ أي: أمكث ماشياً سنين عديدة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ البيان أنه كان معهما حوت في مكتل وقيل له: متى فقدت الحوت وجدت مبتغاك؟ فلما بلغا مجمع البحرين ناما عند صخرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾، برقم (٤٧٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٦٢ .

فاضطرب الحوت الذي كان مع يوشع لما بلغه قليل من الماء فجعل يسير في البحر، ولما استيقظ موسى نسي فتاه أن يخبره خبر الحوت﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ المكان الذي كانا فيه قال موسى لفتاه ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ أي: تعبا ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ أي: أنسانيه الشيطان فلم أستطع تذكره ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ أي: تعجب موسى وفتاه من إحياء الحوت لما ابتل بقليل من الماء.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أي: هذا الذي نريد ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ أي: رجعا وهما يتلمسان آثار سيرهما ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ والمراد به الخضر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه ليس من حق أحد أن يدعي الأعلمية، فضلاً عن العلم المطلق؛ فما من أحد في الوجود محيط بالعلم إلا الله وحده، وأن مرد كل علم إليه، وقد عاتب الله موسى حين ادعى أنه أعلم الناس. تقرير أن كل إنسان معرض للنسيان والخطأ، وقد تجاوز الله عن ذلك لقول رسول الله ﷺ: **(إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**[1].

---

(١) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ج٣ ص١٧٧١، وقال الألباني «وهو حديث صحيح لطرقه».

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

لما علم موسى أن عند الخضر علما ليس عنده، سأله سؤال المتعلم المسترشد، والمراد هل أرافقك أن تعلِّمني مما علَّمك الله علما أتعلم منه وأستزيد منه علما راشدا؟ فحينئذٍ قال الخضر لموسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ أي: إنك لن تصبر؛ بسبب ما تراه من علم لم تعلمه كما في البخاري، إني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه[1]. ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ أي: كيف تصبر على علم تنكره في شريعتك، والأنبياء لا يقرون أمرا يعد منكرا في شريعتهم قال أي: موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ أي: سوف أصبر على ما أرى ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ أي: سوف ألتزم بطاعتك وما عندك من علم ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾، برقم (٤٧٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٦٢ .

عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي: لا تسألني عما أفعل، بل سأخبرك أنا بما فعلت ولماذا فعلت.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية طلب الإنسان للعلم؛ لأنه مهما كان عالماً فعلمه محدود. تقرير جواز إفصاح الإنسان عن سلوكه، بأنه يصبر على العمل ولا يعصي أمر متبوعه. تقرير جواز اشتراط الإنسان على من يصحبه في سفر وغيره شروطاً يرى فيها مصلحة لهما.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ ﴾ أي: انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلماهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير أجر، فلما ركبا السفينة لم يلبث الخضر إلا قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقَدُّوم ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ أي: أن أصحابها حملونا بغير أجر وقد عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرقهم ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ أي: ارتكبت

أمرا منكرا ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي قال الخضر لموسى: ألم أقل لك من قبل، إنك لن تصبر، واشترطت عليك إذا أردت أن ترافقني ألا تسألني عن شيء حتى أحدثك عنه؛ لأن ما أعلمه لا علم لك به. وحينئذٍ قال موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ أي: لا تؤاخذني؛ لأني نسيت ما اتفقنا عليه من شرط عدم سؤالك ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: لا تضيق صدرك علي فتكره مرافقتي لك.

أحكام ومسائل الآيات :

تقرير مشروعية طلب العلم ممن يعلمه، وجواز اشتراط المصحوب في السفر على الصاحب له بما يرى فيه مصلحة لهما. تقرير وجوب الإنكار على من يفعل شيئاً يرى أنه مخالف لقاعدة من قواعد الدين.

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ أي: سار موسى مع الخضر فوجد غلمانا يلعبون، فأخذ الخضر منهم غلاما كان أوسمهم فقتله، فقال

له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: قتلت إنسانا صغيرا لا ذنب له ولا حول ولا طول ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: ارتكبت منكرا عظيما فرد عليه الخضر قائلا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي: قلت لك مرارا إنك لن تصبر على ما تراني أفعل قال موسى ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: إن سألتك بعد هذه المرة، فاترك صحبتي لك؛ لأنك قد صبرت على سؤالي وأعذرتني وشرطت علي فلم يعد بعد هذا ما أسألك عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب النهي عن المنكر إذا اعتقد المُنْكِرُ أنه محق في إنكاره. التقرير بأن على المتعلم ألا يستعجل في طلبه العلم من معلِّمه. وجوب الاعتذار عن الخطأ.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ أي: سار موسى والخضر فأتيا

أهل قرية قيل: هي أيلة أو أنطاكية(١) ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاما ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وذلك لأنهم كانوا بخلاء لا يقرون الضيوف ولا يقبلونهم ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: وجدا في القرية جدارا مائلا معرضا للسقوط ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: عدله الخضر عن ميله؛ ليكون مستقيما فقال له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لو أخذت على عملك هذا أجرا من أهل القرية، خاصة أنهم لم يضيفونا، فقال له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: لن نترافق بعد هذا، فقد قلت عند قتل الغلام إني أعذرتك وإنك لن تسألني بعده وقد أخلفت ما وعدت به ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: سوف أبيِّن لك ما كنت تنكره علي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الضيافة، وأن من احتاج إلى الطعام، وجب عليه أن يسأله ممن هو عنده، وأن من يمتنع عن ذلك يعد بخيلا، وقد ذم الله البخل. ومن الأحكام: أن للمحتاج للطعام أن يأخذ منه قسرا ما يرد به هلاك نفسه؛ لأن الحفاظ على النفس من الضرورات الشرعية. ومنها: جواز الإجارة.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

(١) تفسير البغوي ص٧٨٧.

بيان الآية:

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ المراد أن السفينة التي سألت عنها كانت لأيتام ينتفعون من أجرتها ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: قصدت تعييبها، لأن ملكهم يأخذ ظلما السفن الجيدة، فإذا رآها معيبة يتركها لهم وهو قوله ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

أحكام ومسائل الآية:

جواز الحيلة إذا كانت لمصلحة ظاهرة لا تتعارض مع الشرع.
تحريم الظلم وأكل أموال الناس بالباطل عن طريق الغصب أو القسر أو نحو ذلك.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ أي: أن الغلام الذي قتلت وأنكرت قتله كان لحكمة فأبواه كانا مؤمنين ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي: قال الخضر: خشينا على أبويه أن يضرهما إذا

كبر بما يسببه لهما من الظلم والكفر ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي: يكون الذي يولد بعده أصلح منه في دينه ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: يكون أرحم وأبر بهما منه.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قال الخضر لموسى: وأما الجدار الذي استنكرت إقامته، فكان لغلامين يتيمين ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ أي: مال كثير ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ أي: في دينه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: أراد الله أن أصلح هذا الجدار حتى يكبر اليتيمان، ثم يقومان بإخراج مالهما وذلك رحمة من الله بهما ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ أي: أن الذي قمت به من إصلاح الجدار لم يكن من قِبَلِي، بل هو أمر من الله ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: هذا تفسير ما لم تصبر عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من واجب المرء أن يرضى بما قدَّره الله، فقد يرى في هذا القدر ما يكره بينما هو خير له كما قال عز وجل ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وفي الحديث: **(أن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له)**[2].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٦ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص١٨٤ .

ومن الأحكام: وجوب مراعاة الأيتام الصغار، والقيام على شؤونهم ورعاية مصالحهم، حتى يكبروا، وقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يلاطفهم بقوله عز وجل ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[١]. وحرم عز وجل التعرض لأموالهم بالظلم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٢].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي: يسألونك يا محمد عن ذي

---

(١) سورة الضحى الآية ٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٠ .

القرنين والمراد أن اليهود -كما سبق ذكره- نصحوا كفار قريش أن يسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن رجل سار في الأرض وتمكن فيها، فنزلت سورة الكهف فيها خبر أصحاب الفتية وخبر ذي القرنين ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: سأقص عليكم خبره وذو القرنين من عباد الله الصالحين، قيل: إنه نبي، وكان ملكا عادلا، وقيل: إنه من التبابعة وأنه الذي بنى الإسكندرية في مصر ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مكَّنه الله من الاستيلاء على كثير من الأرض حتى صار له ملك كبير وقيل: إنه سمي بذي القرنين لأن ملكه بلغ الأمكنة التي تشرق منها الشمس والأمكنة التي تغرب فيها[1] ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: أعطاه الله الأسباب التي يتوصل بها إلى غايته ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: كان يتتبع الأسباب بعضها إلى بعض؛ ليحقق غايته.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي: سلك طريقا أوصلته إلى أقصى بلاد المغرب ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس تغرب في نظره على ساحل المحيط الأطلسي ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي: أمة من الأمم ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ وهذا يدل على أنه تمكن من الاستيلاء على بلاد هذه الأمة، كما يدل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٤٥ - ٤٦، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٩٨ - ٩٩.

على أنه نبي يوحي الله إليه لقوله تعالى ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ أي: تجري عليهم أحكام الحرب من سبي وغيره أو يمن عليهم بالفداء ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أي: من كان ظالما منهم منكرا لربوبية الله ووحدانيته ومصراً على ذلك فسوف نجازيه في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: يعذبه في الآخرة عذابا شديدا ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: من اتبع ما أمر الله به، فوحده وأطاعه، فسوف يجازيه الله الجزاء الأوفى في الآخرة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: سوف نلاطفه ونرفق به ونقول له قولاً معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ لما ذكر الله عز وجل أن ذا القرنين سار جهة المغرب وبلغ المكان الذي تغرب فيه الشمس للناظر ذكر عز ذكره أن ذا القرنين سلك طريقا تجاه مطلع الشمس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: وصل إلى المكان الذي يرى فيه الناظر أن الشمس تشرق من جهته وهو في جهات شرق قارة آسيا ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ وهذا يدل على أنهم قوم بدائيون على فطرتهم، ليس لهم مساكن تحجب عنهم أشعة الشمس، بل كانوا يستظلون بالأشجار، وهذه الحال لا تعدم في هذا الزمان، ففي بعض مناطق قارة إفريقيا وحوض الأمازون

في أمريكا اللاتينية أقوام لا زالوا على بدائيتهم، لا يعرفون من الحضارة شيئاً ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: نحن عالمون بسيره في الأرض وفتوحاته.

أحكام ومسائل الآيات:

التوجيه بأن تتابع الأسباب من قبل أصحابها مدعاة الى بلوغ مرادهم، وما كان الذين نجحوا في صناعاتهم وزراعاتهم ومختلف أمورهم، ليبلغوا هذا الهدف إلا بجعل أسبابهم في العمل تتابع واحداً بعد الآخر. ومن الأحكام: أن الذي يظلم الناس في أنفسهم، أو أموالهم أو أعراضهم يجب أن يعاقب أشد العقاب، وأن يجازى المحسن بما يستحقه من حسن الجزاء، حتى لا يتساوى الظالم مع المحسن فتفسد الأرض ومن عليها.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: سلك طريقا آخر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أي: بين جبلين بينهما فتحة يخرج منها يأجوج ومأجوج ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ أي: وجد قوما يصعب فهم كلامهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي: نجعل لك أجرا ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أي: أن تجعل مانعا يمنعهم عنا فأجابهم ذو القرنين ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ﴾ أي: أنا الذي أنعم الله علي ومكنني من الاستيلاء على البلاد فما أنا في حاجة إلى مال منكم ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ أي: ساعدوني بقوتكم البدنية ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي: أجعل حاجزاً بينكم وبين يأجوج ومأجوج ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ أي: قطع الحديد، فلما أتوه إياها وضع بعضها على بعض ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ أي: بين جانبي الجبلين ﴿ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ﴾ أي: اضرموا النار وأمر بازدياد إشعالها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ أي: جعل الحديد كله نارا ﴿ قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي: زاد على الحديد نحاسا مذابا؛ ليكون ذلك أكثر قوة.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الأجر مقابل العمل، ومشروعية المساهمة بالجهد البدني

كما عرضه ذو القرنين على الأمة التي كانت تخشى خروج يأجوج ومأجوج. ومما تضمنته الآيات: أن يأجوج ومأجوج أمة سوف تخرج على العالم في يوم مَّا، ويكون خروجهم أحد مشاهد الساعة وأشراطها.

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن قوم يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا الصعود على السد ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي: ولم يقدروا على أن يفتحوا فيه فتحة ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾ أي لما نظر إليه قال: هذا رحمة من الله بي وبالناس من شر هؤلاء القوم ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ أي: إذا اقترب الأجل الذي ضربه الله لخروجهم وهو قرب قيام الساعة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أي: دكه بالأرض وساواه بها ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ أي: واقعا لا شك فيه.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ﴾ أي: عندما يخرجون سوف يموجون في الأرض كموج البحر، ويعيثون فيها فسادا وطغيانا ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل؛ ليقوم الناس

من قبورهم لرب العالمين ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ أي: يجمع الله الناس كلهم إنسهم وجنهم للحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن السد الذي بناه ذو القرنين يعد رحمة من الله بعباده؛ لصد قوم يأجوج إلى حين الموعد الذي ضربه الله لخروجهم. تقرير أنهم عندما يخرجون قبل قيام الساعة سوف يفسدون في الأرض ويطغون فيها.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها بارزة ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ ليروها حقيقة لا مراء فيها ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ هذا وصف للكافرين بأن عيونهم كانت كمن عينه محجوبة عن سماع آيات الله وبراهينه المبينة في القرآن وعلى لسان رسوله محمد ﷺ ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: وكانوا لا يحبون أو يطيقون سماع كلام الله من شدة إنكارهم له وكفرهم به ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن

يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: هل ظن الكافرون أن يتخذوا من عبادي كالملائكة والأنبياء والصالحين أولياء يعبدونهم ويشركونهم معي، وأن ذلك ينفعهم، فهذا محال؟ ونظيره قوله عزوجل ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[1]. قوله ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ أي: مقرا ومقاما.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن جهنم ستعرض للذين غطوا أبصارهم، وصموا أسماعهم عن ذكر الله. تقرير جهل الكافرين الذين يظنون أن عبادتهم لأولياء الله وإشراكهم معه سوف ينفعهم.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ أي: نخبركم ونفيدكم أن الخاسرين أعمالا هم ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: بطلت أعمالهم؛ بسبب

---

(١) سورة مريم الآية ٨٢ .

فسادها وضلالها وكونها لغير الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي: يظنون أن ما يفعلونه عملا صحيحا، يجزون عليه بالحسنى، وهؤلاء الذين عناهم الله هم كل من أشرك مع الله في عبادته، أو كفر بآياته، أو كذب أحدا من أنبيائه أو رسله كحال مشركي مكة وغيرهم من المشركين من الأمم السابقة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ لما بيَّن الله حال الأخسرين وضلال سعيهم في الدنيا والآخرة بيَّن أنهم الذين كفروا بآيات الله وكذبوا بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: خسرت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم يوم القيامة قدرٌ حيث تكون موازينهم كالعهن المنفوش كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**)[1].

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ أي: سوف تكون جهنم هي جزاؤهم ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله وتكذيبهم لرسله .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن أخسر الناس عملا هو الذي ضل عن عبادة ربه ويعتقد أنه بعمله الفاسد قد أحسن وينتظر الجزاء الحسن عليه. تقرير أن عمل هذا قد حبط، فلا يحسب لعمله يوم القيامة أي وزن وستكون جهنم جزاءه بسبب كفره.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ برقم (٤٧٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٧٩ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ لما ذكر الله حال الأخسرين أعمالا بيَّن حال المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وأن نزلهم سيكون في جنات الفردوس، وهذه أعلى درجات الجنة وأوسعها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: دائمي الإقامة والسكن فيها ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ أي: لا يرغبون أن يتحولوا عنها إلى غيرها؛ لأنه ليس هناك أحسن منها .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وعد الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات بأن لهم الفردوس وهو أفضل الجنة وأعلاها. تقرير أن المؤمنين مخلدون في الجنان لا يتحولون عنها ولا يتغيرون.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ المراد قل يا محمد للمشركين

الذين كذبوا بآيات الله أن البحر لو كان مدادا لكلمات الله وبيان آياته وبراهينه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي: لو كان مع البحر بحر آخر، أو بحور أخرى ما نفدت كلماته، لأن كلامه عز وجل لا يحد بحدود، ولا يوصف بوصف.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن علم الله وكلامه لا يتناهى، وأنه أعظم من أن يحد بحد أو يوصف بوصف.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

بيان الآية:

هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين الذين كذبوا بما جاء به ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: لا أعلم إلا ما علمني الله إياه وأرشدني إليه، وقد أمرني أن أبلغكم رسالته وهي إفراده بالألوهية وتحريم الشرك به ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: من كان منكم يتوق إلى لقاء الله ويفوز برحمته ومغفرته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: يعمل العمل الذي أمره الله ورسوله به خالصا لله وحده، لا يشرك فيه غيره من ولي أو ملك

أو نبي أو غيره ولا يرائي فيه أحدا ابتغاء نفع منه أو دفع ضر عنه كما قال رسول الله ﷺ: **(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)** قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **(الرياء يقول الله لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)**[١].

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن رسول الله محمداً ﷺ بشر مثل سائر البشر، غير أن الله أعطاه النبوة والرسالة، هدى ورحمة للعالمين، وهذا يقتضي بطلان مزاعم الذين ينزلون رسول الله ﷺ غير منزلته البشرية التي أرادها الله له كما قال عليه الصلاة والسلام: **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)**[٢]. ومن الأحكام أنه لا إله في الوجود إلا الله، هو المستحق وحده للعبادة. ومنها: أن الرياء شرك يبطل عمل صاحبه كما قال عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[٣]. وقوله عزذكره ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص٤٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٥١ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٦٤ .

(٤) سورة البينة من الآية ٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون آية

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ سبق الكلام حول بدايات بعض السور بالحروف المقطعة والأصح القول بأن الله أعلم بمراده منها.

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ أي: هذا الذي نذكره لك - يا نبينا محمداً- هو رحمة من الله بعبده زكريا ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ أي: دعا الله في السر قائلا ﴿ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ أي: ضعف بسبب كبر سني ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ أي: انتشر الشيب في شعر رأسي ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: لم تخيب ما أدعوك به ولم أقنط يوما من رحمتك ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى ﴾ قد يكون

المراد خفت أن يرثني أقربائي؛ لأنه ليس لي ولد أو يكون المراد خشيت أن يضيع أقربائي الذين من بعدي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي: لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي: أرزقني ولداً وكان مراده عليه السلام أن يرث النبوة كما حكى الله عنه بقوله عز ذكره ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي: يرث النبوة كما كان آباؤه ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: ترضى عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة الدعاء في السر لقول الله عز وجل ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(١). وقول رسوله ﷺ: (**خير الذكر الخفي**)(٢). ومن الأحكام: مشروعية الدعاء بإنجاب الولد ولو كانت المرأة عاقرا؛ لأن قدرة الله ورحمته بمن يدعوه سبيل إلى الاستجابة رغم ما قد يرى المرء صعوبة فيه؛ لمخالفته المألوف كحال المرأة العاقر أو كبيرة السن.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ هذا بيان من الله أنه استجاب

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٥٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج١ ص١٧٢ .

دعاء نبيه زكريا فبشره بغلام ذكر ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: لم يسم أحد قبله بهذا الاسم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يستجيب دعاء عباده الصالحين، ويبشرهم باستجابة دعائهم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ أي: ناجى ربه مناجاة تعجب وفرح يقول يا رب كيف يكون لي غلام ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد، وقد كبر سنها على الحمل ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي: كبرت سني ووهن عظمي ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: قال له الملك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: إن ربك يا زكريا قال لك إن الذي حدث من ولادة الغلام له، وهو مسن، وامرأته عاقر، ومسنة هَيِّنٌ على الله ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: وكما خلقت هذا الغلام فقد خلقتك قبله مع أنك لم تكن شيئاً في الوجود.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير تعجب زكريا من ولادة الولد له، رغم كبر سنه وسن زوجته وكان تعجبه ليس شكا في قدرة الله، بل كان من ولادة الولد له خلافا للمعهود. ومن الأحكام: أن قدرة الله لا يحدها حد، بل هي مطلقة في جميع الأحوال وهو معنى قوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ لما تفضل الله على زكريا بالولد، سأل زكريا ربه أن يجعل له آية تقوي حجته أمام قومه عن حمل امرأته، فأوحى الله إليه بقوله عز ذكره ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: ستكون لك آية وهي ألا تكلم الناس ثلاث ليال، وقد ضرب على لسانه فلم يعد يتكلم إلا بالإشارة، ونظيره قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤١ .

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: من مكان صلاته وهو المكان الذي بشر فيه بالحمل ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار إليهم ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: سبحوا الله في الصباح، وفي المساء.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يجعل لأنبيائه آية، تجعل قومهم يصدقونهم فيما يدعونهم إليه، كما آتى موسى العصا، وآتى صالحا الناقة، وآتى نبينا ورسولنا محمدا ﷺ آيات عدة، فقد نصر بالرعب مسيرة شهر وأحلت له الغنائم، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأعظم الآيات كتاب الله العزيز الذي تضمن أحكام الدنيا وأحكام الآخرة.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: يا يحيى بن زكريا خذ التوراة بإيمان، وجِدّ والتزام بما فيها قولا وعملا ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: آتاه الله العلم والحكمة، وهو في صباه ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: وكما أعطاه الله العلم والحكمة أعطاه الحنان والشفقة

والمحبة للناس ﴿وَزَكَوٰةً ۖ﴾ أي: وآتاه الله الطهارة ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي: متقيا لله طائعا له.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: كثير البر والرأفة بهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي: لم يكن متجبرا على غيره، ولم يكن عاصيا لله، بل مطيعا له ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أي: وكتب الله له الأمان من الشياطين في ثلاثة أحوال يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأخذ القرآن بما يليق به من معرفة آياته، وتدبر أحكامه وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرمه. تقرير وجوب البر بالوالدين واللطف في التعامل مع الآخرين وتحريم التكبر عليهم.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

بيان الآيات:

لما بيَّن الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ما أنعم به على زكريا من الولد في حال كبره، وجعل له في ذلك آية ذكر قصة مريم عليها السلام وإنجابها عيسى عليه السلام دون أب. وورود القصتين معاً ربما بدافع التشابه بينهما فيما لم يكن مألوفا من حمل العاقر مع كبر سنها وكبر سن زوجها، وولادة مولود دون أب. فقال عز وجل ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ المراد بها مريم بنت عمران، وقد تقدم ذكر قصة ولادتها، وأن أمها نذرتها لتخدم بيت المقدس، وكانت ناسكة نشأت في بيت خالتها عند زكريا، وكان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي: اعتزلت أهلها وجلست في شرق المسجد ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أي: احتجبت عنهم ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ المراد به جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ أي: مثل الناس الذين تعرفهم حتى لا تنفر منه ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ أي: أستجير بالله وأعوذ به منك إن كنت تخشى الله وتتقيه وكان خوفها منه ظنها أنه يريد مراودتها عن نفسها، فاستعاذت بالله منه، وقيل إن جبريل لما سمع كلمة ﴿بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ استأخر فزعا من ذكره عز وجل[1] ثم قال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٩١.

لها ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي: أرسلني الله إليك يَمُنّ عليك بغلام زكي طاهر.

فأجابته متعجبة ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يحدث أن وطئني بشر بزواج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي: ولم أرتكب فاحشة قط، وعندئذٍ نفخ جبريل في جيب درعها وقال ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ والمراد أنه قال لها: إن الله يقول بأن حملها بالولد دون أب، ودون ارتكابها فاحشة، أمر هَيِّنٌ على الله، فإنه لا يعجزه شيء في أمر خلقه وعباده ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: سيكون دلالة وبينة على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: وستكون ولادته رحمة لمن آمن بما جاء به من عندنا من وجوب عبادة الله وحده ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: إن ولادته مما قدره الله في اللوح المحفوظ فلا راد لما قضى به.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستعاذة بالله من كل ما يخشاه الإنسان، كالاستعاذة من شرور الجن أو الإنس أو الدواب، ولا تكون الاستعاذة إلا بالله، فمن استعاذ بغيره فقد أشرك. أما إذا كانت الاستعاذة بما يقدر عليه البشر لدفع صائل ونحوه فجائزة.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ لما نفخ جبريل عليه السلام في جيبها، ذهبت النفخة إلى المكان الذي يخلق الله فيه الولد ولما تبين حملها، ظن بها بنو إسرائيل سوء الظن، فقالوا: إن ما حدث لها هو من علاقة يوسف الذي كان معها في الكنيسة، وقد أثرت تلك التهمة الفاحشة عليها، فلجأت إلى مكان بعيد عنهم هو بيت لحم على المشهور من الأقوال ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي: ألجأها الطلق، فاستندت مضطرة إلى أصل النخلة ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ أي: ليتني قد انتهيت من هذه الحياة ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي: نسيني الناس فلم يعودوا يتكلمون في عرضي، ويتهمونني بما أنا منه بريئة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجود النخل آنذاك في بيت لحم في فلسطين، وفضل النخلة ومن مسائل الآيتين: تقرير ظلم قوم مريم لها، واتهامها بالباطل. ومنها: جواز تمني الموت إذا خشي المرء أن يفتن في دينه، وقد ورد أن الحي في وقت الفتن يمر على قبر أخيه فيتمنى أنه مكانه.

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قيل: إن المنادي جبريل[١] وقيل إنه ابنها عيسى[٢] ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ من الولادة بالصبي ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ قيل المراد به عيسى، والسري من الرجال السيد[٣] وقيل المراد به نهر تشرب منه[٤] ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ أي: امسكي بجذع النخلة وهُزّيه ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ أي: ينزل عليك من الجذع رطب طيب، وبهذا يكون الله قد هيأ لها الطعام والشراب بقوله ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ أي: اطمئني واهنئي نفسا بما أنعم الله به عليك من الولد والطعام والشراب ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ أي: إن رأيت إنساناً يسألك عن ولدك فقولي ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي: صمتا ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ أي: لن أكلم اليوم أحداً من الناس.

---

(١) تفسير الضحاك ج٢ ص٥٥٧، تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٣١٠ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٦٧ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص٧٠، وتفسير البغوي ص٨٠٠ .

(٤) تفسير الضحاك ج٢ ص٥٥٧، تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٣١٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب فعل الأسباب في طلب الرزق؛ لأن الله وإن تكفل برزق عباده إلا أنه أمرهم بالسعي إليه، ولهذا أمر مريم أن تهز الجذع ليسقط عليها الرطب مع أن الله قادر على إنزاله لها بدون أن تهز الجذع. وفي هذا توجيه إلى أهمية التمر للمرأة الحامل؛ فإن الله لم يختر لها هذا النوع من الغذاء إلا لفائدته، وقد دلت الأبحاث الطبية على أهمية هذا الغذاء للحامل وغيرها.

ومن الأحكام: وجوب الوفاء بالنذر، وقد مدح الله المؤمنين الموفين بنذورهم في قوله عز ذكره ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[1].

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) سورة الإنسان من الآية ٧.

بيان الآيات:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ لما عرفت مريم عليها السلام ما خصها الله به وخص به ولدها من الكرامة، وكونه آية من آيات الله اطمأن قلبها وسَلَّمَتْ أمرها وولدها إلى الله فجاءت به إلى قومها، وهي تحمله من المكان الذي ولدت فيه، وهو بيت لحم كما ذكر، فلما رآها قومها استنكروا حالها وقالوا ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: ارتكبت أمرا عظيما حين جئت بولد تحملينه من غير أب، واستمروا معها في المجادلة بقولهم ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ أي: يا أخت هارون العابد التي كنا نظن أنك مثله في عبادته ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: إنك من بيت أناس صالحين متنسكين لم يعرف عنهم حال سوء، فكيف تفعلين ما فعلت وأنت منهم؟ ولكي تزيل عنهم ما في نفوسهم من الريب والشك أشارت إلى ابنها ليكلمهم ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وقد ازداد غضبهم عليها، وظنوا أنها تسخر منهم فسكتت، وحينئذٍ تكلم عيسى عليه السلام وقال ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أي: عبد لله موحد له ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيل باعتبار ما سينزل عليه بعد كبره ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ أي: أنعم علي بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: رسولا وداعيا إلى

عبادة الله وطاعته ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ أي: أمرني بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما من أركان الدين في نبوة كل نبي ورسالة كل رسول.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ أي: وأمرني ببر والدتي ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: ولم يجعلني متكبرا عن طاعته، فأكون بذلك من أهل الشقاء. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: وقد أنعم الله علي بالأمان يوم ولادتي، وعند موتي، وحينما أبعث حيا في الآخرة، وعندئذٍ توقف كلامه، فعرف قوم مريم أنها مؤمنة طاهرة كما كانوا يعرفونها، وأن ولادتها عيسى آية من آيات الله، نفخ الله فيه من روحه، فجعله بشرا سويا من غير أب، كما هو الأمر في سائر البشر، فكان نطقه وهو في المهد براءة لأمه عليها السلام مما رميت به من قومها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير معجزة عيسى عليه السلام، وكونه ولد من غير أب، وتبرئة الله لأمه مما رماها به قومها. ومن الأحكام: وجوب التثبت في القول قبل معرفة الحقيقة. ومنها: أن الصلاة والزكاة من أركان الدين سواء في ملة عيسى قبل نسخها أو غيره من الأنبياء والرسل، كما أنهما ركنان من أركان الإسلام، ولا يقوم هذا الدين إلا بأدائهما مع بقية الأركان

الأخرى. ومنها: وجوب بر الوالدين وطاعتهما وتحريم التكبر عن طاعة الله أو على المخلوقين.

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ أي: هذا الذي قصصنا عليك يا محمد عن خبر عيسى هو القول الحق، وليس ما يقوله اليهود أنه ابن يوسف النجار الذي كان مع مريم في الكنيسة، ولا هو قول النصارى بأنه ابن الله وهو معنى قوله عز وجل ﴿ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي: يشكُّون ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ ﴾ أي: ما كان ينبغي ولا يجوز لله أن يتخذ ولدا ﴿ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ أي: تنزه عن الولد ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي: لا يعجزه شيء، فما يريد أن يكون يقول له كن فيكون، ونظيره قوله عز وجل ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩ .

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ هذا كلام عيسى لقومه يقول فيه: إن الله ربنا جميعا، ونحن عبيده فاعبدوه، أي: وحدوه وأطيعوه ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ أي: إن ما جئتكم به طريق بيِّنٌ لا شك ولا جدال فيه ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ ﴾ أي: اختلف أهل الكتاب في أمره فقالت اليهود عنه ما يظنون أنه يشينه من جهة أمه عليها السلام، وقالت فرقة من النصارى: إنه ابن الله، وقالت فرقة أخرى: إنه وأمه إلَهان، وقالت فرقة أخرى: إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهذه هي الفرقة الناجية، وهي أمة محمد ﷺ ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ في هذا تهديد ووعيد لمن اتهم مريم، ووعيد لمن قال: إن عيسى ابن الله أو إنه ثالث ثلاثة، والمراد أن لهؤلاء المفترين ويلاً في مشهد ذلك اليوم العظيم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن عيسى عبد لله ورسوله، وأن الله نفخ فيه من روحه وما قالته النصارى عن بنوته لله قول باطل؛ لأن الله نزه نفسه أن تكون له صاحبة أو يكون له ولد. ومن الأحكام: تقرير أن عقيدة عيسى هي عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء، وخاتمهم محمد ﷺ. ومنها: تقرير اختلاف أهل الكتاب في حقيقة عيسى، فمنهم من عيَّره بأمه، ومنهم من رفعه إلى مرتبة البنوة لله أو الألوهية، أما المسلمون فيقولون كما قال

كتابهم إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين يرون العذاب، لا يمارون ولا يجادلون فيه ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أنهم في الدنيا في ضلالهم يعمهون، لا تنفعهم موعظة، ولا يهتدون سبيلا ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ أي: وأنذر يا محمد الكافرين عما سيلاقونه يوم القيامة من الحسرة والندامة على ما فرطوا فيه في الدنيا ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: أخذ كلٌّ كتابه، فأهل اليمين إلى الجنة، وأهل الشمال إلى النار. ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ أي: كانوا معرضين عن الحق. ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا رجعة لهم في الدنيا فيتوبوا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي: نتولاها بعد موت سكانها ورجوعهم إلينا ليجزي كلاً منهم بما عمل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفار يتحسرون يوم القيامة حين يرون العذاب بأعينهم،

ويسمعونه بأسماعهم، ففي حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت**) قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ومن الأحكام: أن الساعة حين تقوم يزول كل من على الأرض، ويرجع الخلائق إلى الله، فيتولاهم بحكمته ومشيئته.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٠٥٤، والبخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ برقم (٤٧٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٨٢ .

بيان الآيات:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ أي: اذكر يا محمد في القرآن قصة إبراهيم ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ أي: كان نبيا صادقا في دعوته إلى عبادة الله ونبذ الأوثان ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ في هذا إنكار من إبراهيم على أبيه يقول له يا أبت كيف تعبد أصناما صُمّاً لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفعك، بل تضرك عبادتها من دون الله؟ ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ﴾ أي: أعطاني الله من العلم والنبوة ما لم يعطك، فبهذا أنا أعلم بما لا تعلمه أنت ولا قومك ﴿ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ أي: اتبع ما أقوله لك؛ لأن فيه الهداية إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يتبعوه.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ أي: لا تصدقه ولا تؤمن بما يوسوس به؛ لأنه عدو لك وذريتك ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ أي: كان عاصياً لله ومعاندا ومتكبرا، فحقت عليه اللعنة وطرد من رحمة الله، فمن اتبعه حق عليه مثل ما حق عليه؛ لأن التابع يتبع المتبوع ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ أي: أخشى أن يعذبك الله إذا بقيت على عبادتك للأوثان ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ أي: تكون حينئذٍ من أولياء الشيطان مصاحبا له في النار.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن دعوة إبراهيم عليه السلام هي: دعوة إلى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام، وهذا رد على المشركين الذين قالوا: إنهم يتبعون ملة إبراهيم. ومن الأحكام: التحذير من عبادة الشيطان، وهذه العبادة قد تكون لذاته كما حصل في هذا الزمان من بعض الفتيان الذين خلت قلوبهم من الإيمان فضلوا سواء السبيل، وقد تكون عبادة الشيطان باتباع غوايته. ومن الأحكام: مشروعية المجادلة بالحق كما فعل نبي الله إبراهيم مع أبيه وقومه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ﴾ هذا جواب آزر لابنه إبراهيم بعدما دعاه يقول فيه: أمبغض لآلهتي يا إبراهيم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ﴾ أي: إذا لم تنته عما أنت عليه من رغبتك عن آلهتي، فسوف أرجمك بالحجارة ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ أي: ابتعد عني وقتا

طويلا ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ أي: ورغم توعد آزر لإبراهيم كان إبراهيم لطيفا معه بوصفه والده، والمراد هنا تركه على حاله مع مفارقته. ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾ أي: سوف أسأل الله أن يردك إلى الحق ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ أي: مجيباً لدعوتي ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: سوف أفارقكم وأصنامكم التي تدعونها من دون الله كفرا وضلالا ﴿ وَأَدْعُواْ رَبِّى ﴾ أي: أعبده وأطيعه وحده ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ أي: أرجوه وأدعوه ألا يخيب دعائي.

أحكام ومسائل الآيات:

عدم جواز الاستغفار للمشرك، أيا كانت قرابته، وقد كان هذا الاستغفار جائزا في أول الإسلام حيث كان المسلمون يستغفرون لآبائهم المشركين؛ لأن إبراهيم قد استغفر لأبيه ثم نهي عنه كما نهي رسول الله ﷺ عن الاستغفار لأمه، وذلك في قول الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[١]. ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[٢]. ومنها: وجوب اعتزال المعاندين لله ورسوله.

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ ﴾ لما عرف إبراهيم عليه السلام أن أباه وقومه لن يتركوا الشرك اعتزلهم وهاجر إلى القدس، فعوضه الله خيرا منهم هو ابنه إسحاق وابنه يعقوب ﴿وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾ أي: جعلناهما من الأنبياء ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا ﴾ أي: أنعمنا عليهم بالنبوة وبالولد ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ أي: أثنينا عليهم بما يستحقونه وبما يذكرون به من الأفعال الحميدة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير مشروعية الهجرة من دار الشرك والكفر إلى دار الإسلام، وكان إبراهيم أول من هاجر معتزلاً أباه وقومه. تقرير أن الله يتفضل على عباده المؤمنين فيعوضهم خيرا مما يفتقدونه.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ﴾ أي: واقرأ يا محمد على قومك قصة موسى بن عمران ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ أي: كان ممن اصطفاهم الله وخصهم بالنبوة، هذا إذا كانت القراءة (مُخْلَصاً) بفتح اللام، فإن كانت بكسرها (مُخْلِصاً) فالمعنى أنه كان مخلصا لله في عبادته متجردا من الرياء والشرك ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ أي: كان له ميزتان ميزة النبوة وميزة الرسالة ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ المراد بالطور طور سيناء، وذلك حين ذهب موسى إلى هناك ليكلمه الله -كما سبق ذكره- ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ أي: كلمناه مباشرة وهو قريب منا ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ أي: أجبنا دعوته لما قال ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[1]. فقال الله له ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ﴾[2].

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الإخلاص في عبادة الله كما قال عز وجل ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[3]. ومن

(١) سورة القصص الآية ٣٤.
(٢) سورة القصص الآية ٣٥.
(٣) سورة الكهف من الآية ١١٠.

الأحكام: أن الكلام من صفات الله العلية كما قال عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[1].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ﴾ أي: واقرأ يا محمد على قومك قصة إسماعيل بن إبراهيم، وهو الذبيح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ أي: لم يخلف ما وعد به أباه إبراهيم لما قال له ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. وقد استسلم لما أمره به أبوه إلى أن جعل الله من الأنعام فداء له ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ أي: كان له ميزة النبوة والرسالة ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ المراد بأهله قبيلة جرهم الحجازية، فكان يأمرهم بأداء هذين الركنين من أركان الدين لعظمهما ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ أي: رضي الله عنه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الصلاة والزكاة من أركان الدين الذي أرسل الله به

---

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

الرسل إلى أممهم. تقرير فضل صدق الوعد وذم إخلافه؛ لأن ذلك من آيات المنافقين، فالوعد عهد، والوفاء به واجب كما قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[١].

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ ﴾ أي: واذكر قصة إدريس ومنزلته وكونه يصدق فيما يقول، وقد اختاره الله ليكون واحدا من أنبيائه وقيل إنه سمي إدريس؛ لكثرة درسه لكتاب الله تعالى[٢]، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة لدعاء قومه[٣] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ أي: رفعه الله من ضمن أنبيائه عاليا في مكانه ومنزلته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضيلة الصدق، وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصدقوا في أقوالهم وأفعالهم كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٤]. وفي الحديث **(إن الصدق يهدي إلى البر**

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٢) تفسير البغوي ص٨٠٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١١٧ .

(٤) سورة التوبة الآية ١١٩ .

وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١].

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ﴾ المراد به إدريس؛ لأنه الأقرب إلى آدم ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ المراد به إبراهيم ﴿ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ المراد به إسماعيل ﴿ وَإِسْرَائِيلَ ﴾ المراد به موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ ﴾ أي: من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ برقم (٦٠٩٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٢٣.

ضمن من وفقناهم للهداية وأنعمنا عليهم بالنبوة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: كلام الله ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ أي: يسجدون لله تعظيما له ويبكون خشية من عذابه.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ لما ذكر الله حال الأنبياء وصلاحهم وإخلاصهم وصدقهم وأداءهم للصلاة والزكاة وقيامهم بتوحيد الله وطاعته ذكر أقواما خلفوهم فكانوا على نقيضهم ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: تهاونوا فيها, فلم يؤدوها في أوقاتها المفروضة ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أي: استمرؤوا المعاصي, وانغمسوا في الملذات المحرمة, واستهانوا بأوامر الله وأحكامه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: واديا من أودية جهنم يلقون فيه جزاء عملهم.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ هذا استثناء, والمراد إلا من تاب إلى الله, ورجع عن غيه, وعمل أعمالا صالحة؛ فإن الله يكفر عنه سيئاته ويدخله جناته كما قال عز وجل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي: يجدون أعمالهم موفاة لهم لا يبخسون منها شيئاً.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: يدخل التائبون جنات عدن ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها وهم لا يعرفونها، ولكنهم يؤمنون بها؛ لأنهم يؤمنون بوعد ربهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ أي: أن

ما وعد به حق لا ريب فيه ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ ﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلاما فاحشا أو بذيئا، وإنما يسمعون سلاما حيث يسلم بعضهم على بعض وتسلم عليهم الملائكة كما قال عز وجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[1]. ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[2]. ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي: أن في الجنة ما يشتهون من المطاعم والمشارب في الصباح وفي المساء.

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ أي: هذه هي الجنة التي وصفناها، نورثها لعبادنا المتقين الأبرار.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوعيد لمن أضاع الصلاة، وغفل عنها كما قال عز وجل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾[3]. ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[4]. ومن الأحكام: تقرير الوعيد لمن اتبع شهواته وانغمس في المعاصي وأعرض عما جاءه من الحق. ومن هذه الأحكام: أن باب التوبة مفتوح للعصاة قبل بلوغ آجالهم. ومنها: أن الله لا يظلم أحدا من خلقه أو يبخسه حقه كما قال عز وجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[5].

---

(١) سورة الرعد من الآية ٢٣ .
(٢) سورة الرعد من الآية ٢٤ .
(٣) سورة الماعون الآية ٤ .
(٤) سورة الماعون الآية ٥ .
(٥) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ لما انقطع الوحي فترة من الوقت حزن رسول الله ﷺ لذلك، فلما جاءه جبريل قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**ما يمنعك أن تزورنا؟**) فأنزل الله هذه الآية أي: أننا معشر الملائكة ما نتنزل من السماء إلا أن يأمرنا الله[1] ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: له أمر الدنيا وأمر الآخرة وما بينهما، فهو المالك، والمتصرف، والمدبر والآمر لا نتصرف إلا بإذنه ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي: إن الله لم ينساك لأنه جل وعلا لا ينسى.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما بقدرته ومشيئته وحكمته ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ أي: الزم طاعته وعبادته واصبر عليها ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أي: هل تعلم شبيها أو مثيلا أو نظيرا؟ ونحن نقول حاشا وكلا أن يكون له ذلك.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الملائكة لا يدبرون أنفسهم، ولا يتصرفون إلا بإذن الله

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٩ ص١٠٣.

عزوجل. ومن الأحكام: نفي النسيان عن الله عز وجل ومنها: وجوب عبادة الله، والصبر عليها، مهما كانت المصاعب والمتاعب. ومنها: الحكم بنفي الشبيه، أو المثيل، أو النظير لله تعالى كما قال عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1].

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ القائل أبيٌّ بن خلف، فقد وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: يزعم محمد أنا نبعث بعد الموت؟ والمراد إذا مامت كيف أعود حيا مرة أخرى، وهذا على سبيل الاستهزاء والإنكار ليوم القيامة[2] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهذا جواب الله عز وجل له: ألا يعلم هذا القائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن

---

(١) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٣١٨، وتفسير ابن وهب ج١ ص٤٩٢، وتفسير البغوي ص٨٠٧ .

قَبْلُ ﴾ أي: أوجدناه من العدم ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ أي: لم يكن له وجود أو صفة.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ هذا قسم من الله عز وجل، وقسمه الحق أنه سوف يحشر الخلائق من قبورهم، فيقفون بين يديه حفاة عراة غرلا ﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ أي: ولنحشرن الشياطين مع هؤلاء المكذبين بالبعث ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ أي: سوف يجثون على ركبهم لا يستطيعون السير؛ لما هم فيه من الضنك والشدة ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ أي: سوف نأخذ من كل أهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴾ أي: نبدأ بالأظلم فالأظلم منهم؛ ليذوق العذاب ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ المراد أن الله يعلم من هو الأولى بأن يصلى النار ويعذب بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من بني الإنسان من يكفر بالبعث ويكذب به كالدهريين الذي قالوا ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[١]. الحكم بأن الذي خلق الإنسان وأماته هو القادر على إحيائه كما قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[٢]. ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤ .

(٢) سورة يس الآية ٧٨ .

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

ومن الأحكام: أن الله سوف يحشر المكذبين بالبعث مع الشياطين ثم يحضرهم إلى العذاب وهم جاثون على ركبهم.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾ هذا قسم من الله تعالى وقسمه الحق بأن الناس سوف يردون النار؛ أما المؤمنون فيمرون على الصراط مرور البرق لا تمسهم النار، وأما المشركون فيدخلونها وشاهده ما ورد في صحيح مسلم: (**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلّم سلِّم**) قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: (**دحض مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلَّمٌ، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم**)[2]. ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ أي: حكما قضى به وأمرا أمر به.

---

(١) سورة يس الآية ٧٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص١٠٠٣ - ١٠٠٤ .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ هذا بيان لحال الصراط حين يمر عليه الناس حسب أعمالهم كما في الحديث الآنف الذكر، ينجي الله العباد الذين اتقوه في الدنيا، فيمرون على الصراط، يعبرون منه إلى الجنة ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ أي: عندما يدخل المتقون الجنة يدخل الظالمون النار، وهم جاثمون على ركبهم، ويخلد فيها من كتب الله عليهم الخلود لشدة شركهم وكفرهم ويخرج منها من كان يقول لا إلَه إلا الله وإن لم يعمل عملا غير ذلك، وهذا رحمة منه عز وجل بمن كان في قلبه ولو مثقال ذرة من إيمان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الخلائق سوف يمرون على الصراط، فعابر منه إلى الجنة وهم عباد الله المتقون، وعابر منه إلى النار وهم الذين كفروا بالله واستحلوا محارمه واتبعوا شهواتهم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ أي: إذا تتلى آياتنا البينات على

المشركين المكذبين بالبعث، وفيها البشرى للمؤمنين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: يقول المشركون مفتخرين على المؤمنين أن فريقهم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ أي: أحسن منزلا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: أحسن مقرا من دار الأرقم الذي كان المؤمنون يجتمعون فيه في مكة، والغاية من ذلك أن يصوروا للمستضعفين من المؤمنين أن الذين أعطاهم الله المال، والجاه، والولد، هم أفضل من الذين لا مال لهم ولا قوة وأن الله ما أعطاهم هذا المال والقوة إلا لأنه يحبهم. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وهذا جواب الله لهؤلاء، والمعنى أنه قد أهلك قبلهم عدة أمم ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ أي: متاعاً وقوة ﴿وَرِءْيًا﴾ أي: منظرا وجمالا.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن المال لا ينفع صاحبه إذا كان كافرا كما قال عز وجل في حق قارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[١]. ومن الأحكام: أن الله يملي للظالم، لعله يتوب فإذا لم يفعل أخذه أخذ عزيز مقتدر وفيه قول الله عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢]. وفيه قول رسول الله ﷺ: **(إن الله ليملي**

---

(١) سورة القصص الآية ٨١ .

(٢) سورة هود الآية ١٠٢ .

للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[١].

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ أي: قل يا محمد لمن ضل عن سبيل الله ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ أي: سوف يمهله الله حتى يكون ذلك أشد لعذابه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ أي: يمهلون حتى يروا العذاب في الدنيا بما يصيبهم من الكوارث أو الهزيمة، وإما قيام الساعة بغتة فلا تنفعهم حينئذٍ توبة ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ هذا رد على المشركين الذين تباهوا وافتخروا على المؤمنين بأموالهم وقوتهم، والمراد أنهم سيعلمون حينئذٍ أن مكانهم في الآخرة مكان عذاب وأنهم لن يجدوا لهم أعوانا أو شفعاء ينفعونهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يستمر في ضلاله، ولم يتب إلى الله ولا ينتفع بالمواعظ يمهله الله ويستدرجه؛ ليكون ذلك أشد في عذابه كما قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ برقم (٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٠٥ .

تعالى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾[1]. وقوله ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2] ومن هذه الأحكام أن المشركين والمستهزئين بالله ورسوله هم في أشر مكان في الآخرة وأضعف أعواناً.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾ لما بيَّن الله عز وجل أنه يملي لأهل الضلالة إذا استمروا على ضلالتهم، ثم ينزل عليهم العذاب الشديد بيَّن أنه يزيد المؤمنين هدى على هداهم فيبارك لهم في حسناتهم وأعمالهم ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه كأداء الفرائض، والذكر، والتسبيح، ونحو ذلك ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: أحسن عاقبة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يمهل للظالم؛ ليكون عنده فسحة من التوبة، فإن تاب وإلا كان عذابه أشد؛ لأن الله قد أعذره. تقرير أن الله يزيد المهتدين هدى، وأن الأعمال الصالحة هي التي تبقى لأصحابها في الآخرة.

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٧٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ نزلت هذه الآية في العاص بن وائل؛ لما روى خباب قال: كان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه منه فقال: لن أقضيكه حتى تكفر بمحمد قال: فقلت له لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مالي وولدي قال ذلك استهزاء فنزلت هذه الآية[1].

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: اطلع على الغيب، وعرف أين مكانه في الآخرة ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ أي: هل عاهد الله على أن يدخله الجنة ﴿كَلَّا ۚ﴾ أي: لم يطلع على الغيب، ولم يكن له عهد عند الله، فهو مشرك ضال ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنحصي وندون ما قاله من الكذب والاستهزاء ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: سنضاعف له العذاب يوم القيامة ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: سوف نسلب منه ماله وولده ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: أعزل، لا مال له ولا ولد ولا ولي ولا ناصر.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٥، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ برقم (٤٧٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٨٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام هذه الآيات: إطلاع الله لرسوله محمد ﷺ على مقالة أحد المشركين واستهزائه بدين الله وتكذيبه بالبعث. ومنها: وعيد الله لهذا المشرك ومن كان أو يكون على ملته أن أقواله سوف تدون وتحصى عليه حتى يجازى عليها بالجزاء المضاعف كما قال تعالى في حق المجرمين والظالمين ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١).

ومنها: أن أموال هذا المشرك ومن هو على شاكلته سوف تسلب منه ويأتي يوم القيامة حسيرا، لا يجد من ينصره أو يرد عنه العذاب.

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ المراد بهم المشركون في مكة حين نصبوا لهم أوثانا ظنوا أنهم بعبادتها ينجون

(١) سورة الكهف الآية ٤٩ .

من عذاب الله ﴿ كَلَّاۚ ﴾ نفي لزعمهم وظنهم أنها ترد عنهم عذاب الله ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ أي: سيتبرؤن من عبادة المشركين لهم؛ لأنهم من مخلوقات الله ويتبرؤون من عبادة غيره ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ أي: سوف يكونون ضدهم فيكذبونهم ويخاصمونهم ويتبرؤون من عبادة المشركين لهم. ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ في هذا تنبيه لرسول الله محمد ﷺ بأن الشياطين يغوون الكافرين حين سولوا لهم الشرك وكفروا بما جاءهم به رسول الله ﷺ من الهدى والبينات ﴿ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ أي: تغريهم وتزين لهم الضلال ﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد لا تطلب العذاب لهم؛ لقاء تكذيبك ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴾ أي: نحسب آجالهم المكتوبة لهم، إلى أن تنتهي وحينئذٍ يلقون سوء أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام الآيات التنديد بالمشركين؛ لاتخاذهم آلهة يعبدونها ويزعمون أنها تقيهم عذاب الله، وهذا يدل على جهلهم وسفه عقولهم؛ لأن الآلهة التي كانوا يعبدونها أحجار وأشجار، لا تسمع ولا تبصر، ناهيك عن أنها من مخلوقات الله! فلو كان هؤلاء يعقلون لعبدوا الذي خلق هذه الأوثان. ومن هذه الأحكام أن هذه الأوثان ستتبرأ منهم يوم القيامة كما قال عز وجل عنهم ﴿ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا

يَعۡبُدُونَ ﴾[١]. ولن يتبرؤوا منهم فحسب بل سيكونون ضدهم فيشهدون عليهم. ومن هذه الأحكام: أن الشياطين يتسلطون على الكفرة فيهيجون نفوسهم ويغرونهم بارتكاب المعاصي إلى أن تنتهي آجالهم فيلقون حينئذٍ سوء أعمالهم.

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ هذا بيان من الله عن حال المتقين الذين يفدون إلى الجنة ركبانا تحفهم الملائكة، ينادونهم بأسمائهم، ويسلمون عليهم، ويهنئونهم بما أنعم الله عليهم من دخول الجنة ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ لما بيَّن الله حال المؤمنين يوم القيامة بيَّن حال المجرمين، وأنهم يساقون إلى العذاب وقد أنهكهم العطش والنصب وشدة الحزن من هول ما يرون من العذاب ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا أحد يشفع لهم من جنسهم؛ بسبب كفرهم خلافا للمسلمين الذين يشفع بعضهم لبعض كما قال عز وجل ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أي: كان على ملة الإسلام يشهد ألا إلَه إلا الله وأن محمدا رسول الله.

---

(١) سورة القصص من الآية ٦٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

من هذه الأحكام: أن المؤمنين يحشرون يوم القيامة إلى الجنة، وهم وفود راكبون متزامنون، تحفهم الملائكة، وهم يستبشرون بما أنعم الله عليهم من دخولها كما قال عز وجل ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1]. ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2].

وفي المقابل يحشر الكفرة إلى العذاب وهم ظِماءٌ مثقلون من التعب والحزن على تفريطهم في الدنيا كما قال عز وجل ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]. ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[4]. وهم على تلك الحال من سوقهم إلى العذاب

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر الآية ٧٤ .

(٣) سورة الزمر الآية ٧١ .

(٤) سورة الزمر الآية ٧٢ .

لا يجدون من يواليهم أو يشفع لهم كما ذكر عز وجل كلامهم بقولهم ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾[1]. ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[2]. ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]. وهم على تلك الحال على نقيض المؤمنين الذين يشفع بعضهم لبعض كما قال عزوجل عنهم ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ في هذا بيان من الله عن قول المشركين: إن الملائكة بنات الله وقول اليهود: إن عزيرا ابن الله وقول النصارى: إن عيسى ابن الله كما مر في الآيات السابقة ثم قال

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٠١ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٢ .

عزوجل منكرا عليهم هذا القول ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ أي: قلتم منكرا كبيرا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي: تكاد السموات تتشقق من هذا القول ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تتصدع وتتجزأ كذلك من هذا القول ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تسقط وتتهدم من شدة صوت سقوطها ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ أي: يكاد يحدث كل ذلك عند سماع قول الكافرين بأن لله ولدا ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لا يليق به ذلك؛ لأنه نزه نفسه عن الصاحبة والولد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ أي: إن كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن وكل المخلوقات عبيد لله يأتون يوم القيامة، وهم مقرون بعبوديتهم له.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾ أي: علم عدد عبيده ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ توكيد لعلمه عز وجل لعددهم ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ أي: يأتون يوم القيامة فرادى، لا ولد ولا مال ولا معين ولا ناصر لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام هذه الآيات: الإنكار الشديد على المشركين وعلى اليهود والنصارى قولهم بأن الله قد اتخذ ولدا فنسبوا إليه الملائكة وعزيراً وعيسى وتوكيد أنهم بقولهم هذا قد ارتكبوا منكرا

عظيما وإثما كبيرا، كادت السموات والأرض والجبال أن تتفطر وتتشقق وتسقط من شناعته، ومع ذلك يصبر عز وجل على أذى خلقه كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾(١). وفي حديث أبي موسى: أن رسول الله ﷺ قال: (**ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً وإنه يعافيهم ويرزقهم**)(٢).

ومن هذه الأحكام: أن الله نزه نفسه عن الولد؛ لأن المولود لابد أن يكون له والد، وهذا لابد أن يكون له أصل، وهذا يتنافى بالكلية مع ذات الله العلية، فهو الخالق وحده لجميع المخلوقين وهم بهذا عبيده، وقد أحصاهم جميعا، وسيأتون إليه يوم القيامة فرادى، ليس معهم إلا أعمالهم التي يحاسبون عليها فتكون لهم خيرا أو شرا حسب حالها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

في هذه الآية بيان من الله عز وجل أن الذين آمنوا به وعملوا الأعمال

---

(١) سورة النحل من الآية ٦١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الصبر في الأذى وقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ برقم (٦٠٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥٢٧.

الصالحة التي تقربهم إليه، وهي اتباع ما أنزله على رسوله محمد ﷺ من الهدى سيجعل لهم ﴿وُدًّا﴾ أي: محبة في قلوب عباده بسبب محبته لهم ورضاه عنهم، وقد روي أن هذه الآية نزلت في علي رضي الله عنه فيما رواه البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: (**قل يا علي: اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة**)[1]. وقيل إنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف فقد كان له محبة في قلب من يلقاه مؤمنا كان أم كافرا[2].

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله إذا أحب عبدا جعل محبته في قلوب عباده وشاهده حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض**)[3].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٨٩٨، والجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١٦١ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٧٩ .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ المراد به القرآن، والمعنى قد بيناه بلسانك العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: لتبلغ المصدقين به أن لهم العقبى الحسنى في الدارين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ أي: لتنذر به المجادلين والمخاصمين في الحق أن لهم سوء العاقبة إذا استمروا على ضلالهم وجدالهم بالباطل.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله يسر نزول القرآن بلغة العرب وجعله بيِّنا ليكون فهمه يسيرا على من يقرؤه كما قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[١]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[٢]. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٣]. وقال عز وجل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[٤]. وفيها الحكم بأن القرآن بشارة للمؤمنين

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

(٤) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

ونذارة للكافرين كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1].

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ في هذا تهديد ووعيد لمشركي مكة، وتذكير لهم أن الله سبق أن أهلك قبلهم أمما لما كذبوا رسلهم وعصوهم، فما كان لغيرهم من الهلاك قد يكون لهم ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ أي: أنهم لما هلكوا لم يسمع لهم ركزا، أي: صوتا، والمراد أنذر يا محمد هؤلاء المشركين عن حال من سبقهم من الأمم الهالكة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير التهديد والوعيد لمن يشرك بالله ويكفر بآياته؛ لأن سنته قد مضت في إهلاك أهل الطغيان والضلال إذا لم يتوبوا من خطيئاتهم.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه

مكية وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية[١]

﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿طه﴾ حرف من الحروف المقطعات والله أعلم بمراده منه أو المراد به اسم من أسماء رسول الله ﷺ على قول ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ أي: لما نزل القرآن على رسول الله ﷺ اجتهد هو وأصحابه رضوان الله عليهم في العبادة، وإطالة الصلاة فقال المشركون

---

(١) نزلت سورة طه قبل أن يسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روي أنه دخل بيت صهره سعيد بن زيد فوجده يقرؤها مع زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم فطلب أن يرى ما يقرؤون فلم تعطه إياها حتى يغتسل لأنه مشرك والقرآن لا يمسه المشرك فلما قرأها دخل الإسلام في قلبه وقال له خباب يا عمر لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم أعز الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عندئذٍ دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٠٣ - ١٠٤ .

وعلى رأسهم النضر بن الحارث: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى به فأنزل الله هذه الآية[١] بيانا وبلاغا بأن الله لم يجعل القرآن شقاء، وحاشاه بل جعله رحمة لعباده المؤمنين الذين يصدقون به ويتبعون ما جاء به ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ توكيد بأن الله أنزل القرآن، رحمة لعباده وذكرى لهم؛ لينتفعوا به في دنياهم وأخراهم.

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ هذا بيان من الله جل وعلا أنه هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ وأنه هو خالق الأرض في انبساطها وكونها ذلولاً لخلقه وخالق السموات في علوها ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أي: وكما أنزل القرآن وخلق السموات والأرض علا على عرشه علوا يليق بكماله وجلاله ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي: هو المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من المخلوقات والعوالم كلهم تحت قبضته وإرادته وحكمته ﴿ وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ أي: هو المالك لكل ما تحت الأرض ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ أي: كما أنه منزل القرآن وخالق السموات والأرض وما بينهما وما تحت ثرى الأرض، فهو يعلم أسرار خلقه وعلانيتهم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: وفوق كل ذلك هو الله الذي لا رب ولا إله في الوجود غيره، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، لا يماثله أو يشابهه أو يناظره أحد.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات حقائق وأحكام: منها: أن الله عز ذكره أنزل القرآن رحمة لعباده، لم يرد منهم أن يتكلفوا بسببه كما قال عز وجل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1]. ومنها: أنه تنزيل من الله، وفيه دحض لشبه المشركين والكافرين الذين نسبوه إلى غير الله. ومن هذه الأحكام: توكيد قدرة الله وخلقه للأرض والسموات، وأنه يعلم ما في نفوس خلقه من سرهم وعلانيتهم، وخفايا صدورهم، وأنه الإله الواحد، له الأسماء الحسنى التي ينادى بها كما قال عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى وبداية

---

(١) سورة المزمل من الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

نبوته، ذلك أنه لما انتهى الأجل الذي بينه وبين نبي الله شعيب في إجارته -كما سيأتي إن شاء الله- ذهب بأهله إلى مصر ومعه أهله فضلّ طريقه بعد أن حل عليه الليل في ليلة باردة، فبينما هو يحاول أن يستضيء بما معه من آلة تنير له الطريق ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ أي: ظهر له ضوء من جبل كان بقربه فاستبشر بما رأى ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أي: استقروا في مكانكم، لا تتحركوا منه ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي: قد رأيت ناراً وأرجو أن آتي منها بشهاب نقتبس منه؛ لكي نستدفئ من البرد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أو أجد عند هذه النار من يدلني على الطريق.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نبوة رسول الله محمد ﷺ وما أوحى الله إليه من قصة موسى؛ لأنه ما كان له عليه الصلاة والسلام أن يعرف هذه القصة إلا بعد أن أوحى الله إليه بها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ أي: لما أتى النار التي رآها ﴿ نُودِيَ ﴾ أي: من جهتها ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ أي: أنا ربك الذي يكلمك ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ أي: أنزعهما احتراما للبقعة التي أنت فيها وهي وادي طوى. ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ أي: اصطفيتك لحمل الرسالة؛ لإبلاغها لقومك ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي: أنصت لما ينزل عليك من الوحي ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ أي: هذا هو المراد من جميع العباد أن يقروا بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحق غيره ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ أي: اجعل عبادتك لي ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ أي: داوم على إقامة الصلاة، واذكرني فيها ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ أي: قائمة في موعدها المحدد ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ أي: أخفيها عن الخلق ﴿ لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ أي: حين تقوم سوف تجزى كل نفس بما عملت من خير أو شر ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا ﴾ أي: لا يصرفك عن التصديق بقيامها ﴿ مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ أي: لا يصرفك عن الساعة منكرها بعد أن غلبه هواه على ما جاءه من البينات ﴿ فَتَرۡدَىٰ ﴾ أي: تهلك في دنياك وأخراك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: إثبات الكلام لله عز وجل كما

قال ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[١]. ومنها: وجوب احترام بعض الأماكن بعدم المشي فيها بالنعال تكريما لها كالمساجد؛ لما قد يكون في النعلين من الأذى كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: (**ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟**) قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا فقال رسول الله ﷺ: (**إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً أو قال أذى إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما**)[٢].

ولا خلاف بين العلماء في جواز الصلاة بالنعلين، أو ما في حكمهما إذا كانتا طاهرتين؛ أما إن كان فيهما نجاسة وجب تطهيرهما بما يزيل النجاسة.

ومن هذه الأحكام: وجوب حسن الاستماع لآيات الله وذكره، وقد مدح الله عز وجل المستمعين للكلام الحسن بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٣]. ومنها: وجوب إقامة الصلاة؛ لكونها ركناً من أركان

---

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، برقم (٦٥٠)، سنن أبي داود ج١ ص٢٥٢ .

(٣) سورة الزمر الآية ١٨ .

الدين الذي جاء به النبيون والمرسلون، وهذه الصلاة لا تسقط بحال حتى في حال الخوف والنسيان؛ لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها**)[1].

ومن هذه الأحكام: توكيد قيام الساعة مع إخفائها عن الخلق كما قال تعالى ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ لقد جعل الله لكل نبي آية حتى يصدقه قومه، وهذه الآية تكون من خوارق العادات مما يكون مدعاة للتصديق خاصة من الذين لا يؤمنون إلا إذا رأوا مثل هذه الخوارق، ومع أن الله يعلم ما في يد موسى، إلا أنه استفهام للتقرير ﴿قَالَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، برقم (٦٨٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٠٩٣ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧ .

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ أي: أعتمد عليها لتساعدني في المشي ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ أي: أهز الشجر حتى يتساقط ورقه لتأكل منه غنمي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي: حوائج عدة ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ أي: اطرح هذه العصا التي في يدك، وذلك ليريه الله معالم النبوة ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي: تحولت بمجرد إلقائه لها إلى حية حقيقية تمشي ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أي: خذ الحية ولا تخف منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: سوف نحولها إلى عصا كما كانت من قبل ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: ضم يدك إلى عضدك ثم إلى جيبك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: تخرج يدك بيضاء ناصعة من غير أذى ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: أتيناك بهذا آية أخرى غير الآية الأولى، وهي تحول العصا إلى حية تمشي ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ أي: الآيات العظيمة.

أحكام ومسائل الآيات:

تضمنت هذه الآيات عدة أحكام: منها: استحباب حمل العصا وقد كان رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب سترة الإمام سترة من خلفه، برقم (٤٩٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦٨٢ .

ومنها: أن للنبوة دلائل ربانية، لا يخص بها الله إلا الذين اصطفاهم لهذه المنزلة العظيمة، وهذا يدحض شبه المتنبئين في أي زمان ومكان حين يفترون الكذب فيدعون النبوة كما فعل مسيلمة وغيره من الكذابين.

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ لما تهيأت لموسى النبوة بما آتاه الله من الآيات، أمره الله أن يذهب إلى فرعون؛ لإبلاغه الرسالة وهي الإقرار بربوبية الله وألوهيته. ومعنى طغى أي: عصى وتكبر ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ أي: نَوِّرْه بالإيمان ﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾ أي: اجعل مهمتي سهلة ويسيرة حتى أبلغ الرسالة ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ ﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ المراد بها العجمة أو اللثغة التي أصيب بها موسى في طفولته ومعنى يفقهوا قولي أي: يدركوه بوضوح، فلا يلتبس عليهم ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴾ أي: هب لي معاونا وناصرا يساعدني على إبلاغ الرسالة ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ أي: اجعل هذا المناصر أخي هارون

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ أي: قوِّ به ظهري ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: امنن عليه بالنبوة كما مننت علي بها ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ أي: نسبحك ونقدسك ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ أي: نذكرك في صلاتنا وعبادتنا ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ أي: باختيارك لنا للنبوة وإبلاغ الرسالة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب إبلاغ الرسالة إلى سائر العباد بما فيهم الطغاة؛ لما قد يكون في ذلك من عودتهم إلى الحق أو إقامة الحجة عليهم إذا لم يعودوا إليه. ومنها: وجوب لجوء العبد إلى الله يدعوه أن ينور بصيرته، وييسر له أموره. ومنها: وجوب تسبيح الله وذكره في السراء والضراء؛ لكون ذلك من خصائص العبودية ومقتضياتها.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ هذه إجابة من الله لدعاء موسى بأن يشرح صدره وييسر أمره، ويحلل عقدة لسانه، ويرزق أخاه هارون النبوة؛ ليشد أزره، وحين أعطاه الله سؤله ذكَّره بما منَّ عليه من قبل في قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ أي: مننا عليك قبل هذا السؤال الذي طلبته وهي نجاتك من شر فرعون حال طفولتك كما قال تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي: ألهمناها بوضعك في التابوت ثم قذفك في الماء، فقد ولد موسى في السنة التي يقتلون فيها غلمان بني إسرائيل خوفا من وجود موسى بينهم، فجعلت له أمه تابوتا - كما سيأتي في سورة القصص - وكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترمي به في النيل، وتشده إلى منزلها بحبل. وفي إحدى المرات ذهبت تربط الحبل، فانفلت منها وذهب به الماء فأصابها الغم كما قال تعالى عنها ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

ولحكمة الله وقدره ذهب به الماء إلى فرعون ليتربى في بيته كما قال تعالى ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ أي: جعلت عدوك يحبك رغما عنه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ أي: تتربى على مرأى

---

(١) سورة القصص الآية ١٠ .

مني ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ والمراد أنه لما استقر في دار آل فرعون عرضوا عليه المراضع فلم يقبلهن كما قال تعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾[1]. فجاءت إليهم أخته وقالت ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[2] أي: هل ترغبون أن أدلكم على مرضعة ترضعه بأجر، وتكون ناصحة له مشفقة عليه؟ فوافقوا على ذلك فذهبت به برفقتهم إلى أمه، فعرضت عليه الرضاع فقبله، ففرحوا بذلك واتفقوا معها على إرضاعه كما قال تعالى ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾.

وقوله ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ أي: قتلت القبطي ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ والمراد به عزم فرعون على قتله ثم فر منهم إلى بلاد مدين ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ أي: امتحناك امتحانا، وابتليناك ابتلاء كبيرا ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ أي: هاربا من فرعون وقومه، وقد لبث هناك يرعى الغنم على إجارة -كما سيأتي ذلك في سورة القصص- إلى أن انتهت مدة هذه الإجارة ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أي: رجعت إلى مصر في الوقت الذي أردناك فيه لتقوم بالرسالة إلى فرعون وقومه.

---

(١) سورة القصص من الآية ١٢ .

(٢) سورة القصص من الآية ١٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام في هذه الآيات: أن الله يستجيب سؤال عباده المؤمنين فيهيئ لهم من الأسباب التي تحفظهم وتعينهم على الحياة. ومنها: أن محبة الله للعبد سبيل إلى محبة العباد له، وفيه قول رسول الله ﷺ: -كما سبق ذكره- (**إن الله إذا أحب عبدا قال لجبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السموات وأهل الأرض**)[1].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي: اخترتك لرسالتي لإبلاغها إلى قومك ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾ أي: قم أنت وأخوك هارون بإبلاغ آياتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ أي: ولا تفترا في ذلك ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: قم أنت وأخوك هارون بدعوة فرعون الذي طغى وتكبر، وحادّ الله بادعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: خاطباه برفق وأناة ولطف ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي: لعله يعود إلى رشده، فيقر بربوبية الله وألوهيته.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٧٩.

أحكام ومسائل الآيات:

لما أمر الله موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون لدعوته، أمرهما الله أن يتلطفا معه في الدعوة، رغم كونه قد تجاوز بطغيانه إنكار ربوبية الله وادعاءه أنه رب العالمين، وفي هذا توجيه عظيم للدعاة أن تكون دعوتهم إلى الله بالرفق واللين والحكمة كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[2].

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ أي: يعتدي

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

علينا ويعجل بعقوبتنا ويزداد طغيانا وتجبرا ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ أي: لا تخشيا منه أذى، فأنا أسمع كلامه وكلامكم، ولن يستطيع أن يؤذيكما؛ لأنه تحت قهري وتصرفي ونفسه بيدي ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أي: قولا له إنا مُرسلان من ربك لدعوتك إلى الحق والبعد عن الضلال ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي: اترك سبيلهم ﴿ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ أي: ارفع عنهم السخرة والقهر ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: جئناك بمعجزة تدل على نبوتنا وصدقنا، وقيل: إن الآية المرادة العصا، واليد ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ أي: نقول لك السلام عليك إن اتبعت هدى الله وآمنت وصدقت بما جئناك به من البينات. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ المراد أن الله أوحى إلينا أن الهلاك والخزي في الدنيا والآخرة سيصيب من كذب بآيات الله وأعرض عنها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دلالة على أن الخوف من العدو من طبيعة البشر، سواء كانوا أنبياء أم غيرهم كما قال عز وجل عن موسى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[1]. وقوله ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[2].

---

(١) سورة القصص من الآية ٢١ .

(٢) سورة طه الآية ٦٧ .

وفيها من الأحكام: أن الله يحرس أولياءه من الأعداء وينصرهم عليهم كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾[1]. ومنها: أن السلام لا يكون إلا لمن اتبع الهدى، وأن من كان على خلاف ذلك لا يستحق الأمن ولا السلام. ومن هذه الأحكام: أن الهلاك يصيب من كذب بآيات الله وأعرض عنها.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ أي: من هو الذي خلقكما يا موسى وهذا إنكار منه لربوبية الله عز وجل كما قال لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾[2]. ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أي: هو الذي خلق الخلق، وأعطاهم كل ما يحتاجونه في خلقهم من الطعام والشراب والمأوى ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أي: هدى الخلق إلى ما يصلح أحوالهم في الدنيا ويدلهم على خيرهم في الآخرة ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ لما ذكر موسى لفرعون أن الله الذي سأل عنه هو خالق

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة القصص من الآية ٣٨ .

الخلق، ورازقهم، ومدبرهم، وأن عليه أن يعترف برسالة الله حاول أن يتخلص من الجواب فسأل عن حال الأمم السابقة التي كانت تعبد غير الله كقوم نوح، وهود، وصالح، فقال له موسى ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ أي: إن خبرها في اللوح المحفوظ عند الله ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ أي: لا يعزب عن ربي مثقال ذرة، ولا ينسى كبيرة أو صغيرة، فعلمه محيط بكل شيء، وكل أعمال خلقه تحت تدبيره وتصرفه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: وجوب إقناع السائل بالأدلة التي تقطع عليه شكه فيما يسأل عنه. ومنها: مشروعية كتابة العلم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1]. وقال عز ذكره ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[2]. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[3].

ومن هذه الأحكام: تنزيه الله تعالى عن النسيان، فلا يحتاج إلى كتاب، ولا يغيب عنه شيء مما في الأرض والسموات.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٥ .

(٢) سورة القمر الآية ٥٢ .

(٣) سورة القمر الآية ٥٣ .

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ لما سأل فرعون موسى وهارون عن ربهما وأجاباه بأنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأنه لا يضل ولا ينسى، استمر موسى في تذكير فرعون قائلا بأن ربهما هو الذي جعل لكم الأرض مكانا آمنا ومستقرا صالحا لحياتكم ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: جعل لكم طرقا ومعابر تمشون عليها في إقامتكم وفي سفركم ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: هو الذي أنزل المطر من السماء، وأنبت به لكم أصنافا من النباتات ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ أي: وجعل لكم هذه النباتات؛ لكي تأكلوا منها كالحبوب، والفواكه، وتأكل أنعامكم الأخضر واليابس من النباتات ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ المراد إن في هذه النعم التي امتن الله بها على عباده براهين لذوي العقول؛ ليقرّوا ويعترفوا بربوبية الله وألوهيته.

قوله ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: إنه عز وجل هو الذي خلقكم من تراب الأرض، ثم يعيدكم فيها بعد

موتكم ثم يبعثكم منها يوم تقوم الساعة للحساب والجزاء ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ المراد به فرعون، فقد بيَّن الله لموسى وأخيه ما أمرهما أن يبلغاه به، لعل في ذلك ما يجعله يتذكر آيات الله ويخشى عقابه، إلا أنه أصر على ضلاله ومعاندته رغم قناعته بما جاء به موسى وأخوه كما قال عز وجل ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتفرد الخالق عز وجل بالربوبية، فهو الذي جعل الأرض سهلة للقرار فيها كما قال عز وجل ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾[2]. وهو الذي هيأ فيها السبل لعباده حتى يمشوا فيها آمنين مطمئنين كما قال عز وجل ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[3]. وهو الذي ينزل الماء من السماء؛ لينبت به الزرع والنباتات للحفاظ على حياة خلقه وحياة أنعامهم وهو المتفرد بخلق خلقه، ثم إماتتهم، ثم إحيائهم مرة أخرى.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ

---

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

(٢) سورة النبأ الآية ٦ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٣١ .

بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ هذا قول فرعون لموسى لما رأى ما معه من الآيات، والمراد أن ما جئت به يا موسى هو سحر، تريد أن تستولي به على عقول الناس، فتخرجنا من أرضنا، لتكون لك الغلبة فيها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: طالما أنك تريد ذلك بسحرك فسوف نأتيك بسحر مثله ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ هذا قول فرعون لموسى، والمراد حدد لنا يوما نلتقي فيه، ولا نخلفه نحن ولا أنت، ويكون هذا الموعد في مكان بيِّن للناس حتى يروا معارضتنا لك، فحدد موسى عليه السلام الموعد بيوم الزينة ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ أي: يوم عيدهم، وهو اليوم الذي يجتمع فيه القبط، ويلبسون زينتهم، ويتباهون فيه ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ أي: يأتون جميعهم لحضور هذا العيد في أول النهار وضحوته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دليل على اهتمام الناس بالسحر منذ القدم. وفيها: دليل على وجود الصراع بين الحق والباطل منذ الأزل وفيها: أيضا دليل على تحديد المواعيد وأهميتها.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾ لما حدد موسى عليه السلام يوم المباراة بينه وبين سحرة فرعون، ذهب فرعون لجمع كيده، وهم السحرة من أنحاء مصر ليوم المباراة كما قال عز وجل بأنه قال لخاصته ﴿ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[١]. ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ أي: جاء إلى الاجتماع للمباراة، ومعه خاصته وقومه، ثم جاء موسى ومعه أخوه هارون، ولا يملك موسى إلا عصاه، ولما رأى أن فرعون يحث السحرة، ويشجعهم، ويعدهم بالأجر العظيم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[٢]. ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[٣]. عندئذٍ قال موسى لفرعون والسحرة ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: ويل لكم، لا تكذبوا على الله وتضلوا

---

(١) سورة يونس من الآية ٧٩ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١١٤ .

الناس بسحركم ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ أي: يهلكم بعذاب من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي: خسر وهلك من يفتري الكذب على الله ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم السحرة، فقد تشاجروا فيما بينهم عما إذا كان موسى نبيّاً حقا، أم أنه مجرد ساحر ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: تناجوا سرّاً بينهم، واتفقوا على أن موسى وأخاه هارون ساحران كما قال عز وجل ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ أي: إن هذين الساحرين متمكنان من السحر، وعلمه، وصناعته، وهدفهما هو إخراجكم من أرضكم بعد أن يستوليا بسحرهما على عقول العامة ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أي: إنهما بسحرهما سوف يفسدان دينكم ويسلبانكم ما أنتم فيه من الشرف، والجاه، والنعمة، وفي هذا دليل على مكانة السحر في مصر والتعامل به آنذاك ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ أي: احزموا أمركم وكونوا يدا واحدة، ولا تختلفوا حتى تتمكنوا من هزيمة موسى وأخيه ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ أي: إن من يفوز في هذا اليوم، فإنه سيعلو وستكون العزة والغلبة له على مدى الدهر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم الكذب على الله، وأنه ظلم عظيم لقوله عز وجل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ

ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ ﴾[١]. وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾[٢]. ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[٣].

ومن هذه الأحكام: تحريم استنفار الناس بحجة الدفاع عن الدين أو الأرض، بينما المراد الدفاع عن مصالح فردية؛ ذلك أن هم السحرة حصولهم على الأجر مقابل سحرهم، والخشية من فقد نفوذهم.

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ أي: قال السحرة لموسى ﴿ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ ﴾ أي: تبادر بإلقاء سحرك أمام مشهد الناس ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾ أي: نقوم بإلقاء ما لدينا قبلك ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ ﴾ أي: ألقوا أولا ما عملتموه، وما صنعتموه من السحر، فألقوه ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٤ .

(٢) سورة النحل من الآية ١١٦ .

(٣) سورة النحل الآية ١١٧ .

وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ وكانوا سبعين ساحرا من عتاة السحرة في مصر، فألقى كل واحد منهم عصاه الملطخة بالزئبق، فلما تعرضت لحر الشمس اهتزت وتمايلت، فخيل لموسى أن الأرض قد امتلأت حيات تسعى على بطونها، فأحس بالخوف كما قال عزوجل عنه ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ فأوحى الله إليه بقوله ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي: لا تخشَ ما رأيت فأنت الذي ستغلبهم وتنتصر عليهم.

﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾ أي: اطرح على الأرض ما في يمينك وهي عصاه، فألقاها فإذا هي عبارة عن تِنِّين ضخم يسير بسرعة نحو حبال السحرة وعصيهم فتلتهمها واحدة بعد أخرى والسحرة ينظرون إليها مشدوهين، والناس يتعجبون مما رأوا، فتبين لهم صدق نبوة موسى وأخيه، كما تبين لهم أن ما فعله السحرة زيف لا قيمة له، وأن الساحر لا يحقق مقاصده وأهدافه، ولهذا قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الخوف من طبائع البشر يستوي في ذلك النبي وغيره. الحكم بأن الله ينصر أنبياءه ورسله على أعدائهم. ومن الأحكام: تقرير أن السحر تخييل يستخدم فيه الساحر أساليب الشياطين وتزييفهم.

ومنها: تحريم السحر بكل أصنافه وصناعته. ومنها: أن الساحر لا يفلح في أي عمل يعمله؛ لأن كل شيء حرمه الله يمحقه ويبطله.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ (٧٢) إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (٧٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لما رأى السحرة ما فعلته العصا التي ألقاها موسى أدركوا أن هذا ليس سحرا، وإنما هو من قدرة الله وصنعه، فعند ذلك خروا لله سجدا مؤمنين بما جاء به موسى ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قال فرعون للسحرة منكرا فعلهم: لقد صدقتم موسى قبل أن آمركم بذلك، ولما رأى أنه أسقط في يده توجه إليهم يتهمهم ويؤنبهم بقوله ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: إن موسى رئيسكم الذي تعلمتم السحر على يديه، ونظيره قوله

في الآية الأخرى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(١).

قوله ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ هذا تهديد من فرعون للسحرة بأنه سوف يعذبهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم ويصلبهم على جذوع النخل ليراهم الناس ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أي: سترون من هو الذي سوف يعذبكم هل هو رب موسى كما زعم أم أنا الذي أتحكم فيكم؟ ولما سمع السحرة التائبون تهديده ووعيده ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ أي: لن نختارك على الهدى والعلم اليقين الذي جاء به موسى من عند الله، ولن نختارك على الله الذي خلقنا ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: احكم فينا بما تشاء، وفي هذا دلالة على صدق إيمانهم بحيث لم يعودوا يهتمون بأي عقاب يعاقبهم به ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: إن سلطانك وقوتك في هذه الحياة الدنيا فقط؛ اما الآخرة فهي عند الله القادر عليك والقاهر لك ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ أي: صدقنا بالله ووحدناه، فلا نشرك به ولا نفعل ما حرمه ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ﴾ وندعوه أن يغفر لنا ما أكرهتنا عليه من صنع السحر ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾

(١) سورة الأعراف من الآية ١٢٣ .

أي: هو الخير ولديه الخير، وهو أبقى لنا بما نؤمله في ثوابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن على المؤمن ألا يؤثر الكافر أو يحابيه على حساب إيمانه؛ لأن الإيمان والكفر ضدان، فمن يؤثر أحدهما على الآخر يوصف به. وفيها: أن الطاغية يستطيع أن يتكبر في الدنيا فيقتل من يشاء ويعذب من يشاء، ولكن طغيانه يرتد عليه إما بتعجيل العقاب له في الدنيا كما حصل لفرعون، ناهيك عن عذابه في الآخرة! أو تأجيل العذاب له في الآخرة. وفي هذه الآيات أيضاً: دليل على قبول توبة الساحر إذا صدق فيها.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ لعل هذا من قول السحرة لفرعون يذكّرونه ويعظونه بعد تهديده ووعيده لهم والمراد أن من يلقى الله وهو مرتكب للشرك والسحر والظلم ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾

أي: لا هو بميت موتا أبديا يستريح فيه من العذاب ولا هو بحي، يحيا حياة طيبة، بل هو كما قال عز وجل عن أهل جهنم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾(١).

﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ومن يلقى الله وهو مؤمن به مصدق لما جاء به رسوله وعمل الأعمال الصالحة الواجبة عليه ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ المراد بها المنازل العالية من الجنة التي يجزي الله بها الذين زكوا أنفسهم بالتقوى والإيمان وطهروها من المعاصي. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: إن لهم هذه الجنات بما فيها من النعيم وذلك جزاء إيمانهم وتزكية نفوسهم بمحبة الله وطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوعيد للمجرمين بالعذاب، وأنهم لا يموتون موتا نهائيا يستريحون فيه من العذاب ولا هم يحيون حياة طيبة. ومن الأحكام: تقرير أن الدرجات العليا من الجنة للمؤمنين الذين حصنوا أنفسهم بعمل الصالحات.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ

(١) سورة فاطر من الآية ٣٦ .

﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ في هذا بيان من الله تعالى أنه أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل بعد أن أبى فرعون إرسالهم معه، فلما علم فرعون بذلك جمع الجند وأرسل في طلبهم، وكان أمام موسى ومن معه البحر وفرعون من خلفهم فأوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر، فضربه بعصاه، فانفلق إلى قسمين كما قال عزوجل ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]. أي: كالجبل الكبير، فأرسل الله الريح إلى أرض البحر فجففته فصار يابسا كما قال عزوجل ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي: لا تخف أن يلحق بك فرعون وجنده ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي: ولا تخش أذى من البحر.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ أي: سار وراءهم هو وجنده؛ لكي يلحق بهم ويردهم إلى مصر ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: غطاه ومن معه البحر ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: أبعد قومه ومن معه عن طريق الرشاد وسلك بهم طريق الضلال وهو تكذيب ما جاءه من عند الله .

أحكام ومسائل الآيات:

استحباب السير في الليل للتعمية على العدو. ومن الأحكام: عدم

(١) سورة الشعراء من الآية ٦٣ .

الخشية، أو الخوف إلا من الله، وإن كان من الواجب أخذ الحيطة والحذر من مكايد العدو. ومنها: أن القائد الذي يتَّبع هواه ويعرض عن الحق يضل قومه؛ لأنهم يتبعونه، ويتحمل أوزارهم مع وزره كما قال عز وجل ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[1].

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ أي: مَنَنَّا عليكم يا بني إسرائيل حين أنجيناكم من فرعون ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ﴾ أي: مننا عليكم وعلى موسى بإعطائه التوراة حين سار عن يمين الجبل ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ أي: أنزلنا عليكم الحلوى، وأنزلنا عليكم الطير الذي تأخذون منه حاجتكم ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ المراد أن هذه المنن التي امتن الله بها عليكم، يجب

(١) سورة العنكبوت الآية ١٣ .

أن تشكروه عليها، ولا تطغوا فيما أعطاكم ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: إن طغيتم بهذه النعم ولم تشكروني عليها تعرضتم لغضبي وسخطي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: شقي وخسر.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ هذا عهد من الله لعباده أن يتوب على من ارتكب المعاصي بما فيها الشرك ثم تاب منها وآمن بالله واستقام على إيمانه وعمل الصالحات في حياته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: تحريم الطغيان، ووجوب شكر نعم الله على خلقه، والوعيد لمن كفر بها كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]. ومنها: عهد الله لعباده أن من تاب منهم من المعاصي كالشرك أن يتوب عليه إذا آمن واستقام على إيمانه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قيل إن موسى عليه السلام لما اقترب من الطور لسماع كلام الله وتوجيهه له اشتاق إلى ذلك فاستعجل عن بني إسرائيل، وذهب وحده، فلما وقف أمام ربه قال الله له لماذا عجلت وتركت بني إسرائيل؟[1] ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ أي: سيأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: استعجلت إلى لقائك شوقا إليك، وطلبا لرضاك ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ أي: امتحناهم؛ لنعرف مدى صدقهم في إيمانهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ قيل: إن المراد به رجل من القبط، كان جارا لموسى آمن به وخرج معه وقيل: إنه زعيم من زعماء بني إسرائيل، وقيل: إنه من قوم كانوا يعبدون البقر[2] والمراد أنه أضلهم حين وضع لهم عجلا يعبدونه ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ أي: رجع إلى

(١) تفسير البغوي ص٨٢٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٩١٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص٢٣٣-٢٣٤.

بني إسرائيل وهو حزين على ما حدث منهم قال ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: لم يعدكم ربكم أنكم إذا آمنتم وصدقتم واتبعتم ما جاءكم من عند الله أنه سيثيبكم على عملكم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي: هل نسيتم ما قيل لكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أردتم أن تعصوا الله؛ ليكون ذلك سببا لغضبه عليكم وانتقامه منكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ أي: أنكم أخلفتم ما وعدتموني به من الاستقامة على طاعة الله وترك معصيته.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي: قال له بنو إسرائيل جوابا على أسفه وغضبه: ما أخلفنا ما وعدناك به بقدرتنا واختيارنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا﴾ لما تركهم موسى عليه السلام على أثره، وتركهم تحت قيادة أخيه هارون ليسيروا إلى الطور لعب السامري بعقولهم فقال لهم: هذا الحلي الذي أخذتموه من القبط حرام عليكم، ثم حفر لهم حفرة، وقالوا: ألقوا الحلي فيها ففعلوا ثم أوقد نارا في الحفرة ليحترق الحلي، ثم صنع لهم منه عجلا، فألقى فيه أثراً من تراب حافر فرس جبريل، فأخرج لهم منه جسداً، له خوار أي: صوت وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ قيل إن خواره كان بسبب الريح، فكان له خروق؛ فإذا دخلت فيه الريح صار له صوت فظنوه حقيقة فعندئذٍ تحادثوا

بينهم وقالوا ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ أي: إلَهكم أنتم وإلَه موسى الذي نسي فلم يعرف الطريق فاعبدوا هذا العجل حتى يرجع موسى.

﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾ أي: أفلا يعقلون ﴿أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ أي: أنه لا يتكلم، ولا يرد لهم قولا إذا كلموه ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ أي: لا ضرر منه، ولا نفع له، بل هو مجرد جماد فكيف يعبدونه مما يدل على سفه عقولهم وضلالهم وجهلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها: ذم العجلة ونظيره قول الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾[2]. ومن السنة: قول رسول الله ﷺ: (**العجلة من الشيطان**)[3]. وإذا كانت العجلة مذمومة من حيث العموم، فهي في حق القائد أشد، إلا أن عجلة موسى عليه السلام كان لشدة شوقه إلى كلام الله، وما حدث من بني إسرائيل من عبادتهم العجل بعد ذهابه عنهم كان بسبب عصيانهم؛ فهم الملومون.

---

(١) سورة طه من الآية ١١٤ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم (٢٠١٢)، سنن الترمذي ج٤ ص٣٢٢ .

ومن هذه الأحكام: ذم إخلاف الوعد، بل وتحريمه وهو من علامات النفاق لقول رسول الله ﷺ: (**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**) الحديث[1]. ومنها: وجوب الغضب عند فعل المحرمات، ولهذا لعن الله من بني إسرائيل الذين كانوا لا ينكرون المعاصي، ولا يغضبون لله عندما تنتهك حرماته كما قال عز وجل ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الناس إذا رأو الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**)[3].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٧، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٧ .

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ لما كان هارون هو الخليفة عليهم بعد غياب موسى عنهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل قال لهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أي: هذا الذي تعبدونه، إنما هو فتنة ابتليتم بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي: إن هذا ليس ربكم ولا إلَهكم، إن ربكم هو الله الرحمن الذي خلقكم وأمركم بعبادته وحده ﴿فَٱتَّبِعُونِى ﴾ أي: اتبعوا ما أقوله لكم ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾ أي: لا تعصوني فيما آمركم به ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ أي: سنكون عاكفين على عبادته ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ أي: يعود من سفره فنرى رأيه، ولما سمع هارون منهم ما سمع اعتزلهم هو ومن اتبعه.

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾ هذا بيان من الله تعالى يخبر فيه أن موسى لما رجع إلى قومه، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل غضب على أخيه هارون، وكيف تحولت حال قومه إلى الشرك بالله وقد سبق ذكر ما قصه الله عز وجل في سورة الأعراف عن هذا الغضب بقوله ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾(١). ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أي: لماذا لم تنفذ وصيتي؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ وهو قوله ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٠ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٤٢ .

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾ أي: ابن أمي؟ وهذا من الرقة في الاعتذار ومناداته باسم أمه أدعى لحنانه عليه، مع أنه شقيقه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ أي: لا تمسك بلحيتي ولا بشعري، وكان موسى قد فعل ذلك بأخيه حين تملكه الغضب غيرة لله عز وجل.

﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ هذا قول هارون لأخيه، أي: خشيت أن أخرج لألحق بك وأتركهم فيتبعني قوم منهم ويتخلف آخرون فتقول شتت بني إسرائيل ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ أي: لم تعمل بوصيتي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها أن الأمم تفتن في دينها ليرى الله مدى قوتها وصبرها وثبات عقيدتها كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1]. وتكون الفتنة في الدين، إما بالتلبيس على الأمة من أعدائها ومحاربتهم لدينها أو بما يحدث فيها من داخلها كما قال عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾[2].

ومن الأحكام: مشروعية لوم من يُعتقد تقصيره فيما أسند إليه

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٥٣ .

من عمل كما فعل موسى مع أخيه هارون، ومشروعية اعتذار المتهم بالتقصير، وإبداء الأسباب التي تؤدي إلى قبول عذره كما فعل هارون مع أخيه.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن موسى قال للسامري: (وقد تقدم ذكره) ما الذي دعاك إلى أن تفعل ما فعلته من الإثم العظيم؟ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ ﴾ أي: قال السامري لموسى: رأيت ما لم يروا، فقد رأيت جبريل لما جاء لإغراق فرعون ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: من أثر فرسه ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي صنع منه العجل، فصار له صوت ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ أي: حسنت لي نفسي هذا

العمل ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أي: اذهب في الأرض، لا تمس الناس ولا يمسونك، فمن مسسته ضررته، ومن مسك ضرك، وذلك عقابا لك على ما فعلت من مس أثر جبريل ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: يوم القيامة، فتحاسب أشد الحساب على ما فعلت.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أي: انظر إلى العجل الذي أقمت عليه عاكفا، سوف نذيبه بالنار حتى يتفتت ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نذره في البحر بعد إحراقه وتفتيته ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: إن الله فاطر السموات والأرض وخالق الخلق ومدبر الكون ومصرفه هو إلَهكم، وليس العجل الذي صنعتموه بأيديكم ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاط بكل ما في الوجود كما قال عز ذكره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١].

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها: وجوب سؤال المتهم بالجرم عن التهمة الموجهة إليه؛ لمعرفة أسباب فعله. ومنها: تحريم

---

(١) سورة سبأ من الآية ٣ .

الهوى الذي تسوله النفس لصاحبها وكون الهوى يتحول إلى إله يعبد كما فعل ذلك السامري، وشاهده قول الله عز وجل ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾[1].

ومنها: وجوب عزل المجرم عن الناس تأديبا له، وقد يكون هذا العزل طيلة حياته. ومن هذه الأحكام: وجوب تحريق الأصنام والأوثان، إهانة لها وعقابا لأصحابها، وقد كسر رسول الله ﷺ الأصنام لما دخل الكعبة وكان يقول ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2]. ومن هذه الأحكام: تقرير ألوهية الله وحده وأن كل ما عداه باطل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ برقم (٤٧٢٠) ، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٥٢، والآية في سورة الإسراء الآية ٨١ .

بيان الآيات:

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ هذا بيان من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أنه قص عليه خبر موسى وما حدث لقومه كما قص عليه أخبار الأمم السابقة ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ أي: أنزلنا عليك القرآن، فيه القصص والأحكام ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ أي: من تولى عنه وعن اتباعه وتحكيم ما فيه فسوف يأتي يوم القيامة، وهو يحمل الإثم العظيم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: لا مناص له من هذا الإثم الذي يعاقب عليه أشد العقاب ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ أي: تعس الحمل الذي يحمله يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ المراد به القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل؛ ليقوم الناس من قبورهم؛ متجهين لرب العالمين.

﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي: تكون عيونهم زرقا من شدة ما يشاهدون من الحساب والعقاب ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يسر بعضهم لبعض يقولون ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: إن المدة التي لبثتموها في الدنيا عشر ليال، وهذا على طريق التقليل لا على طريق التحديد ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نعلم تناجيهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: عاقلهم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: إن مكثكم في

الدنيا ليس إلا كيوم واحد، ولو كنتم على بصيرة وعقل لعملتم للآخرة؛ لأنها الدار الباقية.

أحكام و مسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام ومسائل عدة: منها: الحكم بأن القرآن ذكر ينتفع به الذاكرون؛ لأنه كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن من أعرض عنه، فالنار موعده كما قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[1]. الحكم بأن إسرافيل سوف ينفخ في الصور؛ ليقوم الناس لربهم، لا ينفعهم سوى إيمانهم كما قال عز وجل ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[2].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

---

(١) سورة هود من الآية ١٧ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٠١ .

بيان الآيات:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ أي: يسألك -يا محمد- المشركون عن حال الجبال عند قيام الساعة فقل لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ أي: يحطمها فتكون هباء ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ أي: يجعل الأرض مستوية لا جبال فيها ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ أي: لا ترى في الأرض منعطفا أو مرتفعا أو منخفضا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي: يتبعون الداعي الذي يدعوهم إلى الحشر، ليقوموا لرب العالمين لا يترددون في مناداته، كما كانوا يترددون في الاستجابة لمن كان يدعوهم إلى الإيمان في الدنيا ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾أي: سكنت وسكتت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ أي: لا تسمع إلا صوتا خافتا.

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي: يوم القيامة لا يشفع أحد لأحد إلا من يأذن له الرحمن ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ أي: رضي قوله، وهو شهادة ألا إلَه إلا الله مخلصا فيها ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: يعلم سر خلقه وعلانيتهم، ويحيط بحياتهم وموتهم وأرزاقهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ أي: لا أحد من خلقه يحيط بعلمه ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ أي: خضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ أي: الدائم القائم على تدبير خلقه ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ أي:

خسر وهلك من أشرك بالله أو ظلم أحدا من خلقه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ المراد أن من يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله مصدق بما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي: لا يخاف أن يزاد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: لا يخاف أن يبخس شيء من حسناته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الجواب عن سؤال المشركين عن حال الجبال بعد قيام الساعة، وأنها تتناثر كالهباء، وتصبح الأرض قاعا متساويا. وفيها: الحكم أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن يأذن الله له فيها، سواء كان طالب الشفاعة ملكا، أو نبيا، أو رسولا كما قال عز وجل ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[2]. وقوله تقدست أسماؤه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[3]. وفي حديث الشفاعة الطويل: قال رسول الله ﷺ: (.. **فأقول: أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد**

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

(٣) سورة النبأ الآية ٣٨ .

وأخر له ساجد فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول ياربي أمتي أمتي ..)[١].

وفي هذه الآيات: الحكم بخسارة وهلاك من يأتي يوم القيامة وهو ظالم. وفيها: أن من يأتي يوم القيامة وهو مؤمن لا يخشى من أن تزاد سيئاته ولا يخشى أن تبخس حقوقه؛ لأن الله قد حكم على نفسه بالعدل كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ لما ذكر الله حال الخلائق بعد قيام الساعة وأنهم يأتون إلى الله خاضعين له، وأن أحدا منهم لا يشفع لأحد إلا بعد أن يأذن الله له بيَّن عز وجل أنه أنزل عليهم في حياتهم القرآن، فيه بشارتهم ونذارتهم كما قال عز ذكره ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: بينا لهم فيه العقاب، لعلهم يخافون الله ويتقونه ويجتنبون معاصيه ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: يكون لهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم (٧٥١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤٨١ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

فيه موعظة وعبرة ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي: تقدس على ما أنعم به على خلقه من بشارتهم بالثواب إذا اتقوه وما أنعم به عليهم من النذارة حتى لا يعصوه ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ في هذا تربية وتعليم لرسول الله ﷺ كيف يتلقى القرآن حين ينزل عليه، فلا يتعجل بقراءته قبل أن ينتهي جبريل من تعليمه له، ليكون ذلك أدعى وأتقن لحفظه. وقوله ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ أي: لا تعجل بقراءته قبل أن ينتهي جبريل من قراءته عليك. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ أي: فهما.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان بأن القرآن نزل بلسان عربي فيه البشارة للخلق بحسن الجزاء إذا اتبعوه، وفيه النذارة من العقاب إذا أعرضوا عنه. وفيها -كما سبق ذكره- تعليم لرسول الله ﷺ ألا يتعجل بقراءة القرآن قبل أن يكمله له جبريل عليه السلام كما قال عز وجل ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾[١]. ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾[٢]. ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾[٣]. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾[٤]. وهذا يقتضي عدم

---

(١) سورة القيامة الآية ١٦ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .
(٣) سورة القيامة الآية ١٨ .
(٤) سورة القيامة الآية ١٩ .

العجلة في قراءة القرآن، بل يجب التأني فيها من أجل التدبر في أحكامه وأوامره ونواهيه، وأن يسأل العبد ربه أن يرزقه فهم القرآن.

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾ أي: أمرناه ألا يأكل من الشجرة فنسي ما أُمِرَ به ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ أي: لم يصبر عن الأكل من الشجرة، وفي هذا بيان لرسول الله ﷺ أن الشيطان كما أغوى آدم حريص على إغواء ذريته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ وهذا أيضا بيان من الله جل وعلا عن أمره للملائكة السجود لآدم تكريما له ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ أي:

استكبر عن السجود ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ أي: إنه يناصبك العداء أنت وزوجك حواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ في هذا نهي لآدم عن طاعة إبليس فيما يوسوس له به لإخراجه من الجنة؛ لأنه إن فعل ذلك، فسوف يشقى في الدينا لطلب رزقه فيها، بينما هو منعم في الجنة كما قال عز وجل ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ أي: لن يمسك فيها جوع ولا عري، وذلك خلافاً لأهل الدنيا الذين قد يتعرضون لذلك ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الضَّحاء: شدة وهج الشمس أي: لا تعطش فيها ولا تصيبك فيها شمس ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: داخله بغروره ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ أي قال له: سوف أدلك على الشجرة التي يخلد في الجنة من أكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ أي: لا يفنى، وأقسم له أنه ما قال ذلك إلا نصيحة له ولزوجه كما قال عز وجل ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[1]. ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[2].

قوله ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: انكشفت عورتهما حين ذهب عنهما النور الذي كان يسترهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٢٢ .

﴿ مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: أسرعا إلى ورق الشجر الذي كان بجانبهما فأخذا يضعانه على عورتيهما سترا لها ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ أي: غوى، بسبب الأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ أي: اختاره وهداه للتوبة وعلَّمه كيف يتوب كما قال عز وجل ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]. كما سبق ذكره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان وأحكام: أما البيان فهو ما قصه الله على نبيه ورسوله محمد ﷺ عن آدم وما زينه له الشيطان. وأما الأحكام: فمنها: أن العهد لازم لمن عهد إليه ممن هو أكبر منه كما أنه لازم لمن قبل به طواعية، ولا يسقط هذا العهد إلا النسيان كما قال عز وجل ﴿ فَنَسِيَ ﴾ وقول رسول الله ﷺ: (**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان..**) الحديث[2]. ومنها: تقرير عداوة إبليس لآدم وذريته، ووجوب الحذر من وسوسته. ومن هذه الأحكام: وجوب ستر الرجل والمرأة عورتهما كما قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٦٥٩ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٢٦ .

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ ﴾ هذا أمر من الله لآدم وحواء بالهبوط إلى الأرض بعد أن خرجا من الجنة ﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴾ أي: أصبح إبليس عدواً لكم هو وأتباعه وأنتم وذريتكم أعداء له ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ﴾ أي: إذا أتاكم مني كتب ورسل ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ أي: لا يضل عندما يكون في الدنيا، ولا يضل عندما يؤول إلى الآخرة ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾ أي: من تولى عن القرآن، وعما أمرته به، وعصى رسولي ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ أي: حياة ضيقة وعسيرة لا ينعم فيها بالإيمان، ولا يطمئن فيها قلبه باليقين كما هو حال الكفرة والظلمة الذين يشعرون في أنفسهم بالضيق وعدم السعادة في أنفسهم وذرياتهم، رغم ما قد يكونون فيه من وفرة المال وقوة الجاه، وهذا خلاف المؤمنين الذين تطمئن قلوبهم

بذكر الله ويشرح الله صدورهم بالإسلام كما قال عزوجل ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]. وقوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: عديم البصر والبصيرة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أي: لماذا حشرتني يارب عديم البصر، بينما كنت في الدنيا مبصرا فيجيبه الله بقوله ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ أي: جاءك الحق والدلائل والبراهين من عندنا فأعرضت عنها وتناسيتها عمدا ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: وجزاء لك في هذا اليوم سوف تنسى من ثواب الله ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: ومثل هذا الجزاء لمن تناسى آيات الله سوف يجزى كذلك من أسرف بارتكاب ما حرمه الله ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ﴾ أي: التي نهته عن ذلك ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: أشد ألما من عذاب الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان من الله جل ثناؤه أن من اتَّبع هداه يذهب عنه الضلالة والشقاء، وأن من أعرض عن ذكره سوف يحشر يوم القيامة فاقد البصر والبصيرة. وفيها: حكم الله أن من أتته آيات الله وتولى

(١) سورة الزمر من الآية ٢٢ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٢٨ .

عنها متناسيا لها سوف يُنْسَى من ثواب الله ورحمته، وسيكون هذا الجزاء كذلك للذي أسرف بارتكاب ما حرمه الله عليه.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: ألم يبين للمشركين في مكة ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ الذين ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ أي: يمرون عليها في سفرهم، ويرون كيف أهلكناهم كعاد، وثمود، وغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها فحق عليهم الهلاك فلم يبق لهم باقية ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ أي: أهل العقول السليمة الذين يتدبرون ويفكرون ويعتبرون بمن سبقهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي: لولا أن حكمة الله وكلمته اقتضت ألا يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم الحجة عليه وأن ينتهي أجله لكان من اللازم أن يعاجله الله بالعذاب ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يصبر على ما يسمعه من أقوال قومه إنه ساحر وكاهن وشاعر وكذاب.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ المراد به صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي: صلاة العصر؛ لما رواه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشر فقال: (**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**) ثم قرأ هذه الآية[1]. ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: العشاء ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المراد الظهر والمغرب ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ أي: لعلك تؤجر على هذه الأعمال بما ترضى به.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب التفكر فيما سبق من الأمم التي أهلكت بسبب ذنوبها، وقد مدح الله المتفكرين في آيات من كتابه العزيز في قوله جل شأنه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[4].

ومنها: وجوب الصبر، وتحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله كما قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ برقم (٤٨٥١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٦٢ .

(٢) سورة النحل من الآية ١١ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٢ .

(٤) سورة النحل من الآية ١٣ .

عزوجل ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴾[2]. ومنها: وجوب أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، والتوكيد على صلاتي الصبح والعصر، كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي الآنف ذكره.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ ﴾ أي: لا تتطلع إلى ما عليه المشركون من متع الحياة الدنيا ﴿ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ المراد به الأغنياء منهم إذ إن ﴿ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فانية إنما متعناهم بها ﴿ لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ﴾ أي: لنبتليهم ونرى هل يشكرون الله ويصدقون بآياته ورسوله أم يكفرون فتقوم الحجة عليهم؟ فعندئذٍ يحق عليهم العذاب إن لم يؤمنوا ﴿ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ هذه تحتمل معنيين للرزق أولهما: رزق الدنيا وهو ما وعد الله به رسوله من الفتح المبين والغنائم، ورزق الآخرة هو ما عند الله يوم القيامة جزاء الصبر على الإعراض عن متاع الحياة الدنيا وزينتها، وهو ما سلكه رسول الله عليه الصلاة والسلام في حياته فكان كثيرا ما

---

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة المعارج الآية ٥ .

يبيت وليس في بيته إلا قليل من التمر والماء، وكان يحزم أحيانا بطنه من الجوع زهدا في الحياة الدنيا. ولما طرحت الغنائم بين يديه لم يقم من مجلسه إلا بعد أن فرقها دون أن يبقي لنفسه منها شيئا.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي: يجب عليك أن تأمر أهلك والمؤمنين بإقامة الصلاة فهي من أعظم أركان الدين وفيها الخير والفلاح لهم. ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ أي: إذا أقمت الصلاة فإن الله يتكفل برزقك من حيث لا تحتسب. ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي: إن العاقبة والعزة في الدنيا والآخرة للمتقين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: عدم النظر إلى متاع الحياة الدنيا وعدم التعلق بها أو التنافس فيها؛ لكونها مجرد زينة زائلة. ومنها: أن هذا المتاع قد يكون مجرد فتنة يفتن به المرء؛ ليرى هل يشكر الله على ما أعطاه أم يكفر به؟ فتكون عاقبته الخسران والهلاك. ومن هذه الأحكام أنه يجب على المسلم أمر أهله وخاصته بالصلاة كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[1]. ومنها: أن الله قد تكفل برزق من اتقاه، وشاهده قوله عز وجل ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[2]. ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

---

(١) سورة التحريم من الآية ٦ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٢ .

يَحْتَسِبُ ﴾[1]. وفي الحديث: (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة)[2].

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هذا بيان من الله تعالى عن قول المشركين في مكة هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صدقه كما فعل ذلك الأنبياء من قبله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: ألم يأتهم ما في الكتب السابقة التوراة والإنجيل بما يدل على نبوته ورسالته وصدقه ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ أي لو أهلكناهم قبل إرسال محمد إليهم ونزول القرآن عليه مصدقا له

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم (٤١٠٥)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٧٥، والترمذي في كتاب صفة القيامة باب (٣٠)، برقم (٢٤٦٥)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٥٤ .

﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي لقالوا يوم القيامة: هلاّ أرسلت إلينا رسولا ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ أي نؤمن بك ونطيعك ولا نشرك بك قبل أن نكون في هذا اليوم الذي يصيبنا فيه الذل والخزي أمامك وأمام خلقك وهذا كقولهم الذي حكاه الله عنهم بقوله ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾(١).

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين كل من المؤمنين والكافرين متربص أي منتظر عاقبة فعله ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي انتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ أي ستعرفون يوم القيامة من هم الذين على الطريق الصحيح ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي من اتبع الحق واجتنب الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أنه لا حجة ولا عذر لمن أرسل الله إليه رسولا بيَّن له آيات الله وبراهينه. وفيها: أن المعرضين عن آيات الله يتعرضون يوم القيامة للذل والخزي لإعراضهم في الدنيا عن الحق كما قال عزوجل ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة فاطر الآية ٤٢ .

(٢) سورة القلم من الآية ٤٣ .

فهرس المجلد الخامس

مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣